المكتبة السلطانية بالشحر



عبد الله صالح حداد

المكتبة السلطانية بالشحر

عبد الله صالح حداد

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت (٢٠٥) ٢٠١٩م

عنوان الكتاب
المكتبة السلطانية بالشحر

المؤلف
عبد الله صالح حداد

الصف الطباعي
نور عبد الله باوزير

الإخراج الفني
عدنان أحمد الصبان

التنفيذ الطباعي
مطبعة وحدين الحديثة للأوفست . ت : ٣١٦٦١٥

قام بتصحيح مفردات الكتاب
الأستاذ / عوض سالم غريبان
أستاذ اللغة العربية بالثانويات

تصدير ..

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * ﴾

[العلق : ١ - ٥]

الإهداء

- ❖ إلى كل عشاق القراءة العرب وأخص أهل الشحر..
- ❖ إلى زوجتي وأولادي الذين حافظوا على كل أوراقي كما أتركها..
- ❖ وإلى طبيب الأسنان الدكتور محمد كرامة بن دهري الذي أعانني طويلاً حتى أكملت هذا الكتاب..
- ❖ فلولاهم لما جاءت فكرة هذا الكتاب أساساً، ولما تحقق إتمام نضوجه على ما هو عليه بين أياديكم..

المقدمة

يفتخر المسلمون على سائر الأمم لأن دينهم الإسلام حث على القراءة والعلم وأداته القلم، وأن أول آيات القرآن الكريم نزولاً على النبي صلى الله عليه وسلم كانت سورة (اقرأ) التي أفادت التعليم والتعليم المستمر وفي رواية أخرى أن الآية التالية كانت (ن والقلم وما يسطرون) وفيها يقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم أهم أداة للعلم، وقد قيل إن الكتابة ومشتقاتها وأدواتها قد ذكرت في القرآن بما يقرب من ألف مرة.

فهل هذا الاهتمام من الله جل شأنه في دينه وعبر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه، والحث على الكتابة وأدواتها لأن ثقافة هذه الأمة شفاهية؟ فالشعر كانت تقام له المهرجانات والأسواق ولكنه لا يكتب وقل مثل ذلك في الحكايات والأمثال والنوادر والفكاهات والخطب التي تلقى في هذه المناسبات، وحتى القرآن نفسه نزل شفهياً، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بكتابته وقال لهم: (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن) وإذا كان هذا من الممكن فإن الله سبحانه وتعالى بين لنا دور الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمة فقال مكرراً (ويعلمكم الكتاب والحكمة) نعم إنه كذلك لهذا النبي الأمي الذي سعى إلى تعليم الناس أدوات العلم والحكمة.

ومع كل هذا يعاب على هذه الأمة وعلى العرب جميعاً في قولهم (أمة اقرأ لا تقرأ!) إنه لأمر محير للغاية فهل كانت الكتابة والتعليم غير واضحة لهؤلاء، ولا تميز الكتّاب على غيرهم من الجهلاء؟ ربما انتشر بين الجهلاء شيء من هذا القبيل.

لقد استمر هذا الأمر طويلاً، وإلى وقت متأخر جداً عندنا، رغم أن عصر التدوين الذي دونت فيه الأحاديث والأشعار وغزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسيرته أيام الدولة الأموية.

وأنا لا أعلم لِمَ لمْ يهتم أصحاب المذهب الأباضي بتدوين مذهبهم وفقههم وتاريخهم وكل ما يعلق به على العموم؟ فهل حدث في الحقيقة ما يدعيه البعض ممن هم على خلاف معهم؟ وهل هذه حقائق أو من قبيل الكيد لهم ومسح آثارهم، إذ لم يتبق من آثارهم إلا القليل؟ فهل الذين جاءوا من بعدهم، وهم من أعدائهم من سنة وشيعة، قد أبادوا تلك الكتابات التي لم نعد نعرف عنها شيئاً، بل من القرون الأولى الإسلامية وحتى القرن السادس وما بعده بقليل؟ وهل الرأي الذي أورده أحد المؤرخين في قوله: (إن

سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها، أن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

إن أخبار الأباضية قد أبيدت كلها ودون استثناء هنا في حضرموت، وإن معارفنا القليلة عنهم لم تكن إلا عن طريق سلطنة عمان الدولة الشقيقة والجارة، وأنك تسأل عن كثير من الكتب خاصة التاريخية وما يخص الأنساب مثلاً، فيدخلك الشك في عدم وجودها في مظانها، وكأن هناك من قام بعمل منظم ولقطها واحداً واحدا، وأصبحت دون تاريخ، وقل مثل ذلك في أخبار الدولة الصليحية الشيعية، فلم يزد المؤرخون على قولهم: (وامتد نفوذ الصليحيين إلى حضرموت ساحلها وداخلها، إلا أننا لا نعلم شيئاً عن طبيعة ذلك الحكم ولا عن كيفية استيلاء الصليحيين على حضرموت).

ونحن قد علمنا أن هناك أفراد وجماعات ومذاهب وأقوام ودول ساعدت على تجهيل أبناء المنطقة وتعمدت ذلك، واستكان أفراد المجتمع هناك لرغبات أعدائهم، وهذه أمور لا تخفى على أحد، ولعل أقرب نموذج هو ما جاء في صفحة (١٦٢) من كتاب تاريخ الدولة الكثيرية في طبعته الأولى، الذي أشار إلى التعليم الشفهي دون استعمال القلم معللاً ذلك بأن القلم قد يضر البعض، وكأنه غفل عن أمر الله سبحانه الذي أمر بالتعلم بالقلم، ونذكر هنا بالمناسبة محاضرة الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف (رحمه الله) الذي ذكر أمر الدولتين الكسادية والقعيطية، حيث امتد عمر الكسادية إلى مائة وعشرين سنة ولم تقم فيه بفتح أية وسيلة تعليمية وقل مثل ذلك في الدولة القعيطية التي امتد عمرها لمائة سنة، ولم تقم للتعليم في نصف عمرها الأول أي مدرسة لكن ذلك بدأ من بعد توقيع الاستشارة مع الإنجليز.

وهنا لا بد من ذكر كتاب أو ديوان الشاعر الحسن بن علي بن جابر الهبل وهو شيعي مغالٍ كان ينشر قصائده ويذيلها باسم كلب آل محمد، وقد قام بتحقيق ديوانه الأديب المعروف علي بن علي صبرة، وجاء في مقدمة تحقيقه: (ولقد أسعدني الحظ وأنا أقلب الكتب المكدسة التي تركها الإمام أحمد في قصره بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م أن تقع عيني على مجلد عتيق يحمل من الوهن والكآبة أكثر من عمره، وكان لي يومها اهتمام خاص بالمخطوطات القديمة، لعلمي أن الإمام كان ينصب لها الشباك ويصطادها من كل يد ومن كل رف، لا ليكون له شرف السبق في طبعها وإخراجها إلى حيز الوجود العلمي والثقافي، وجعلها في متناول كل يمني وعربي، لكن لتأخذ مكانها في زوايا النسيان وعالم الضياع حتى لا يعرف شعبنا أن له تراثاً علمياً وأدبياً مجيداً يربطه بماضٍ حضاري مجيد، وإذا بالمجلد يحمل هذه العبارة ديوان الحسن بن علي بن جابر الهبل) وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري ومن رواد الشعر اليمني، ورغم أننا نختلف معه ومع مذهبه فإن هذا هو سياسة التجهيل، كما هو سياسة الأئمة.

ولعل هناك من يشير إلى مثل شعبي يردد من قبل جميع قبائل المنطقة بأن (من قلت رجاله تمشيخ)، وأن التعليم لا يجب للقبيلي فالتعليم يرهف القلب.

إني بمحاولتي هذه إنما أشير إلى القول القرآني: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) سورة الذاريات الآية/٥٥، فلعلي بهذا أسعى إلى هدية عشرة من الذين سوف يقرؤون ما كتبته ويقتنعون بضرورة القراءة وأن العلم في بطون هذه الكتب، ولسوف يحثون أولادهم وأقرباءهم على القراءة.

وإني لمدين لمن كتب في هذا المجال قبلي، وإن شاب ما أقدمه القصور والنواقص، فقد أغرت على ما كتبوه ونظرت إلى بعضه بالإعجاب والنقد والتصحيح، وهم على أي حال الأساس والواقع الرئيس لوضع كتابي هذا.

كما أني أدين بالشكر والجميل والعرفان لمن ساهم وساعد ومد يد العون مادياً ومعنوياً حتى وصلت هذه المحاولة إلى أياديكم، وأخص بالذات الأخ العزيز عدنان أحمد الصبان الذي لولاه بعد فضل الله تعالى لما قام هذا العمل وتم واستقام على قدميه، وهنا أشير إلى ما قد سبب له بعض ما كتبته من الإشكالات، ولكني أقر وأعترف بجهده المبذول في كل ما صدر عني.

تمهيـد

عندما أطلعني الأستاذ خالد عمر عبد الرحمن بازرقان على بعض من كتب مكتبة جده عبد الرحمن سعيد بازرقان نائب وزير السلطنة القعيطية، كان منها كتيب صغير بعنوان (رحلة إلى الثغرين، الشحر والمكلا) وضعه المؤرخ محمد بن هاشم، وهو مؤلف كتاب (تاريخ الدولة الكثيرية). والأصل في هذا الكتيب، محاضرة ألقاها مؤلفه بنادي الشبيبة المتحدة بتريم في ١٥ شعبان ١٣٥٠ = ٢٥ ديسمبر ١٩٣١. وموضوع المحاضرة التي أصبحت هذا الكتيب، رحلة قام بها الثري عبدالرحمن بن شيخ الكاف إلى الثغرين، مصطحباً معه جمعاً من الأعيان والأصدقاء، وكان أن دون الرحلة مؤلفها، وضمت مواضيع شتى من الاجتماع والسياسة والتاريخ والفكاهة، بجانب المشاهدات والمناظر ... وكانت الرحلة ما بين ١٣ جماد الأولى إلى ١٧جماد الثانية من عام ١٣٥٠هـ (٢٩ أكتوبر إلى ١٥ ديسمبر ١٩٣١م).

وشدّ نظري قوله: (وليس في المكلا إدارة بريد ولا مكتب تلغراف ولا مكتبة عامة ولا خاصة...) والزيارة هذه تمت في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي (١٢٨٧- ١٣٥٤) = (١٩٢١- ١٩٣٥) (جامع بامطرف) وهو الذي باع الباغ (بستان / هندية) لآل الكاف في نفس عام الزيارة / الرحلة. (ابن هاشم، الرحلة، ص٤١) وهذا يعني أنه أمر طلاب مدرسة مكارم الأخلاق وإدارتها بإخلاء المبنى الذي فتحت به أبوابها في ١٠صفر ١٣٣٧ = ١٤ نوفمبر ١٩١٨. فلم استغرب أن يكون بائع المدرسة هو من ينشئ المكتبات العامة. وربما ننصت إلى ما كتبه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في محاضرته (كيف كنا وكيف أصبحنا) وذلك عند ذكره لوصية الجمعدار (رتبة عسكرية) سلطان الشحر والمكلا = حضرموت عوض بن عمر القعيطي، حيث أوصى بترتيب تولية الحكم بين أولاده وأحفاده، وتطرق إلى وجوب اهتمام الورثة بجباية المعشرات والرسوم والعوائد التي للدولة، وإلى وجوب الاهتمام بممتلكات الدولة ورعايتها وصيانتها وإيراداتها إلى آخره ... وقال: (ولم تذكر الوصية الشعب ولا ما يجب على الحاكم أداؤه نحو التعليم، أو الرعاية الصحية، أو الأمن، أو أي شيء من الأوليات الواجب على الحاكم نحو رعيته) (بامطرف. كيف كنا وكيف أصبحنا، محاضرة).

ومن المؤكد أن ما جاء في محاضرة ابن هاشم قد نقل أغلبه إن لم يكن كله إلى السلطان عمر القعيطي، بما فيه من نقدات وهمزات ولغزات هادفة، وما بين سطور تلك المحاضرة وألفاظها وعباراتها من أبعاد ظاهرة وباطنة، فقد جمح بي خيالي بأن السلطان عمر قد أسس مكتبة أو نواة لمكتبة جعلها

داخل القصر السلطاني بالمكلا، ثم استأجر لها مقرا أوسع يقع إلى الشرق من مستشفى المكلا، وكان قد بدأ تكوينها في أواخر أيامه. (المكتبات في المحافظة الخامسة، ص٩)، كل ذاك كان صدى لنقد كتاب رحلة إلى الثغرين للأستاذ محمد بن هاشم.

وكان فحوى ما جاء في محاضرة ابن هاشم قد ترك أثرا لدى الناس عامة وظلوا يرددونه كصدى لما أثارته تلك المحاضرة من أمور يجب لأن يتولاها الحاكم نحو رعيته، ونظن أن هذا يصل تباعاً إلى مسامع السلطان الذي فكر للتو في افتتاح مدرسة إنجليزية، وكانت فعلا في آخر أيامه. ومن مذكرة الأستاذ محمد سعيد بايعشوت ننقل ما كتبه عن فترة تعليمه. كتب الأستاذ: (وكان من حسن حظي أن افتتحت الحكومة مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في المكلا، في فاتحة محرم ١٣٥٣هـ (١٥ إبريل ١٩٣٤م) انضممت إليها بعد تردد، بالرغم من وجود صعوبات في الانضمام. وكان ذلك في يوم الأربعاء الموافق ١٠جماد الأولى ١٣٥٣هـ (٢٠ أغسطس ١٩٣٤م) ومكثت بها سنة وستة أشهر، درست فيها كتابين ابتدائيين، ما عدا الكتابين التحضيريين. وسبب انسحابي منها، أن المدرسة بلا نظام، ومديرها معتوه ومتلون ...) هذه المدرسة التي ذكرها الأستاذ محمد بامطرف في محاضرته (كيف كنا ...) وقال عنها متهكما: (إنها كتاب متطور بمعلم واحد).

في عهد السلطان صالح:

يرى بعض الكتاب والمتنورين من أهل البلد أن هناك أمور تضافرت معا ليحدث شيئ من التطور والإصلاح في شأن البلد في أكثر من مجال، وسوف نورد أهمها والتي تمت إلى ما نحن فيه اليوم:

- استيلاء السلطان صالح بن غالب القعيطي على السلطة في حضرموت بعد وفاة عمه السلطان عمر بن عوض الذي توفي بحيدر أباد الدكن بالهند في ٤ الحجة ١٣٥٤هـ = ٢٦ فبراير ١٩٣٦م.
- رغبة هذا السلطان في الإصلاح.
- ثقافة السلطان صالح وخبرته بشئون العالم وإطلاعه على التطور في العالم من حوله.
- واجبات الدولة تجاه رعيتها وما تركه من سبقه من السلاطين وهم من أهله.
- توقيع اتفاقية الاستشارة وقبول مستشار له في عاصمة بلاده المكلا، ورغبة المستشار الأول في السعي للتطور وجعل الدولة حديثة.

- استعداد الناس في الداخل ورغبتهم في الرقي ببلدهم وسكانها كانعكاس لما شاهده المهاجرون منهم ومن وجد فرصة الدراسة في عواصم البلدان العربية والأجنبية.

ومن هذه الإصلاحات ضرورة الأمن وإنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية ومنها المدارس والمكتبات، ومن ذلك إنشاء المكتبات العامة.

المكتبة السلطانية بالمكلا:

اختلف من كتب عن هذه المكتبة، وكلها مقالات صحفية مختصرة، لهذا فضلت أن أنقل خبر افتتاحها من مذكرات الأستاذ محمد سعيد بايعشوت، وكان أن مكنني ابنه الصحفي المعروف بيننا الأستاذ سند محمد من الاطلاع عليها، وكان والده صاحب المذكرات قد حضر هذا الافتتاح:

(لأول مرة افتتحت الحكومة مكتبة عربية لعموم الشعب الحضرمي في المكلا، فتحها وأنشأها السلطان صالح بن غالب، وفتحت باحتفال رسمي في يوم الخميس ٦جماد الأول سنة ١٣٥٦هـ (١٤ يوليو ١٩٣٧م)، وحضرها نخبة من الأدباء والعلماء وحضرها سمو الأمير عوض بن صالح ولي العهد والأمير علي بن صلاح القعيطي النائب الأول للسلطان والأستاذ الطيب الساسي مدير المدارس. وهاك برنامج الحفلة:

افتتحت الحفلة بقراءة آي من الذكر الحكيم قرأها الأستاذ عبد الله باعنقود، كما ارتجل فيها كلمة قوبلت من السامعين بالاستحسان، ثم تلاه الشيخ عبد الله الناخبي، فالأستاذ بانعيمون الذي ألقى قصيدة رنانة قوبلت بالاستحسان. وختم الحفلة الأستاذ الطيب الساسي بكلمة عرض فيها للحالة الأدبية والعلمية في المكلا. كما أشاد بنوايا السلطان العظيمة في ترقية الشعب عن طريق العلم، ثم انفضت الجلسة وانصرف المدعوون وكلهم ألسنة ناطقة بالثناء على السلطان، ولا يفوتني أن أقول إن المكتبة كانت في بادي الأمر صغيرة إلا أنها عظمت فيما بعد، لأن السلطان جلب إليها كتباً كثيرة كما نقل دارها إلى دار أوسع من الأولى وأقام لها مديراً وموظفين، وأسن لها قوانين أسوة بالمكاتب في سائر البلدان) (مذكرات الأستاذ محمد بايعشوت).

ونحن نجدها فرصة سعيدة لأن نشكر الأستاذ محمد سعيد بايعشوت لأنه كتب هذه في مذكرته ولم نجد من سجل هذا قبله فيما بين يدي من مصادر عن المكتبة السلطانية بالمكلا ونشفعه بالشكر لابنه صديقي الأستاذ الصحفي سند محمد لحفظه مذكرات والده ومكتبته ومخاطباته ولتمكيننا من الاطلاع على هذه المذكرات أو هذا الجزء منها، وبكل تقدير واحترام نظن أنه كتبها بعد مدة ربما لا تكون قريبة من

الحدث كما نظن، فجاء هذا الخطأ الذي سنشير إليه عند مناقشتنا لخبر افتتاح المكتبة السلطانية في مذكرته.

مناقشة الخبر:

- إن هذا حدث أيام السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي تولي حكم حضرموت بعد وفاة عمه.
- إن هذا الافتتاح غير الآخر الذي حدث في موعد لاحق وبعد استكمال مقرها الجديد وهو المقر الحالي.
- وهذا الافتتاح كان بمناسبة جلب السلطان صالح لهذه المكتبة (كتباً كثيرة كما نقل دارها إلى دار أوسع) وكان ذلك بافتتاح رسمي في يوم الخميس ٦جماد الأول ١٣٥٦هـ. وهو نص ما جاء في مذكرة الأستاذ بايعشوت الأب، وهو يوافق ١٤ يوليو ١٩٣٧م.
- وكان على رأس الحاضرين نائب السلطان / السلطان علي بن صلاح القعيطي، وكان السلطان صالح قد عينه نائباً عنه أثناء غيابه عن البلاد عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م. وكانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي يتولى فيها المنصب، ولم يول السلطان صالح ولي العهد الشرعي ابن أخيه محمد بن عمر لأنه بالهند، ولم يول ابنه عوضاً لأنه لم يصبح ولي عهده بعد (القدال والقعيطي، السلطان علي بن صلاح، ص٧٠).
- وكان مصاحباً لنائب السلطان، الأمير عوض بن صالح القعيطي ولي عهد السلطان فيما بعد.
- وكان من حضور هذا الاحتفال الرسمي الأستاذ الطيب الساسي مدير المدارس بحضرموت، وهذا ما جاء بنص المذكرة. والساسي من أنصار حكام الحجاز الهاشميين الذين فروا من أمام جحافل إمام نجد عبد العزيز بن سعود، ومنهم من هرب إلى حضرموت، كمؤسسي مدرسة الفلاح بالمكلا وهم آل الدباغ ومن بصحبتهم ومن يدورون في فلكهم. والطيب الساسي أحد الفارين أيضاً، وقد كسب ثقة السلطان عمر وولي عهده وابن أخيه الأمير صالح بن غالب، ونصب مديراً للتعليم وأسندت إليه رئاسة تحرير صحيفة (النهضة الحضرمية) التي صدر العدد الأول منها في ١٩٢٧م.
- وقد انتدبه المؤتمر الإصلاحي الداعي لإنهاض حضرموت، وغادر المكلا إلى جاوا ممثلاً للسلطنتين لعقد المؤتمر الإصلاحي الثاني هناك وكان الأول قد عقد بمدينتي المكلا والشحر في ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

- وقد وصل إلى سنغافورا في شهر جماد الآخرة ١٣٤٦هـ = يناير ١٩٢٨م، ثم عاد إلى المكلا فور انتهاء المؤتمر الذي عقد هناك ما بين ٢٥شوال - ١٠القعدة ١٣٤٦هـ = ١٥- ٢٩ إبريل ١٩٢٨م).

- وكان ذلك بعد حفل الوداع في ٤ الحجة ١٣٤٦هـ = ٢٣ مايو ١٩٢٨م، ذلك ما جاء في كتاب الأستاذ علي أنيس (الحركة الإصلاحية ص٤١، ١٠١).

- فقد قفل الطيب الساسي عائداً إلى المكلا (حاملاً تلك القرارات وخطابات أخرى معتقداً أنه سيلقى أمامه قبولاً حسناً، ولكنه لم يكد يضع قدمه على أرض المكلا إلا وألقي عليه القبض وصودر ما معه من القرارات والخطابات السرية، ثم نفته الحكومة اليافعية من بلادها كما نفت أيضاً الجاسوس الأكبر ضد الحكومة محمد بن عقيل بن يحيى باعلوي. (البكري، تاريخ حضرموت السياسي ٢/٧-٦٣).

- إن رفض السلطان عمر بن عوض القعيطي المؤتمر وقراراته ومسه الطيب الساسي جاء في رده على المؤتمر بمنشور نشرته له مجلة الشرق الأدنى (عدد ٤٤ الصادر في ١٤ ربيع الأول ١٣٤٧هـ) جاء فيه ما نصه: (إنه رجل غريب لا ناقة له ولا جمل في حضرموت... وبعد اطلاعنا على ما قرره مؤتمر سنغافورا بدعوى الساسي، فنحن رفضناه لمعرفتنا بضرره على أمتنا) ولم يكتف السلطان عمر بما كتب، بل أمر بإقصاء المرحوم السيد محمد بن عقيل بن يحيى والشيخ الطيب الساسي من حضرموت (أمين سعيد، ملوك المسلمين، ص٤٢٩).

- لكل هذا نرى أن الأستاذ محمد سعيد با يعشوت قد جانبه الصواب عند تسجيل أخبار افتتاح المكتبة السلطانية بالمكلا في حضور الطيب الساسي، فهو قد أبعد من حضرموت إلى عدن (علي أنيس، مصدر سابق) ومن غير الممكن أن يكون حاضراً لهذا الحفل إلا أن يكون قد أستدعي وهذه ليس عندي خبرها.

- ومن الذين حضروا حفل الافتتاح الشيخ عبد الله سعيد باعنقود، وهو الذي قرأ آيات من القرآن الكريم وألقى كلمة ارتجالاً أرتاح لها جميع الحضور وألقى الشيخ عبد الله أحمد الناخبي قصيدة ربما تكون موجودة بديوانه، والرجلان لهما أهمية في تاريخ المكتبات بحضرموت، وسوف نأتي على إخبارهما لاحقاً.

- وحضر أيضا الشيخ بانعيمون الذي ألقى قصيدة قال عنها وعنه الشيخ بايعشوت: (فالأستاذ بانعيمون الذي ألقى قصيدة رنانة قوبلت بالاستحسان) وهو الأستاذ علي بن عوض بانعيمون أحد المدرسين بالقطن وصديق للدولة أو رجال الدولة، فقد كلفه الأمير على بن صلاح بتسجيل أخبار الإذاعات له عندما يكون غائباً (السلطان علي بن صلاح ص٤٤)، وطلب له إذناً من السلطان صالح بأن يقوم بجمع المعلومات الخاصة بيافع والدولة القعيطية (نفسه ص٧٤).

مقر المكتبة الجديد :

تلك كانت مرحلة من مراحل تاريخ المكتبة السلطانية بالمكلا، وقد تلتها أخرى في تاريخ مسيرتها، وهي انتقالها إلى (موقع المكتبة الحالي، وذلك بعد استكمال بناء مسجد عمر (المنسوب للسلطان عمر بن عوض القعيطي) حيث اختار السلطان صالح موقعاً خاصاً للمكتبة تتوافر فيه الإضاءة والتهوية، وأشرف بنفسه على ذلك العمل. والافتتاح الرسمي كان في عام ١٩٤١م وكان ذلك حدثاً ثقافياً وحضارياً) (القحوم، ملحق حضرموت الثقافية عدد ١٠) ويزيد الأستاذ عبد الله السكوتي الأمين الحالي للمكتبة السلطانية بأن السلطان صالح قد عين الشيخ عبد الله أحمد الناخبي ناظراً للمكتبة (السكوتي، مجلة حضرموت عدد١) وهو يخالف ما أورده الشيخ سعيد عوض باوزير بأن ذلك كان سنة ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م.

لكن إذا اطلعنا على ما جاء في مقدمة ديوان الشيخ الناخبي (ديوان شاعر الدولة) نجد تحت عنوان جانبي، الناخبي أميناً للمكتبة السلطانية: (كان تأسيس المكتبة السلطانية بالمكلا في أواخر عهد السلطان عمر بن عوض، وافتتحت رسمياً عام ١٣٦١هـ، وفي موقعها الحالي شرقي مسجد عمر في الدور الثاني، وتسلم الناخبي نظارتها من عام ١٣٦٣هـ إلى نهاية الحكم القعيطي) (ص٢٠) وفيه: (أنه ألقى قصيدة يوم فتح المكتبة السلطانية في ٦ إبريل ٤١الموافق ١٠ ربيع أول ١٣٦٠هـ) لقد توهوني هؤلاء، فكم مرة تم افتتاح هذه المكتبة؟؟؟

وبالرجوع إلى جداول السنين نجد الآتي:

- إن ١محرم ١٣٦١هـ = ١٨ يناير ١٩٤٢م.
- وإن ١محرم ١٣٦٢هـ = ٢٧ ديسمبر ١٩٤٣م.

وعلى هذا فإن الشيخ الناخبي لم يستلم نظارة المكتبة في بداية عام ١٣٦٣هـ ولكن ذلك تم في أجواء من هذا العام، ولم نجد فيما بين أيدينا من ضبط تاريخ الاستلام باليوم أو الشهر، وأن الأستاذ الشيخ سعيد باوزير يقول: إن سنة ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م.

الفصل الأول

المكتبة السلطانية بالشحر :

لعلي بهذا أحاول التعريف بالمكتبة السلطانية بالشحر رغم أني لم أجد من سجل شيئاً عنها من أهل الشحر أو على أقل تقدير لم يصلني شيء عنها مما أملته إلا القليل النادر والمختصر، إلا إن هذا لا يعفينا من ذكر ما استطعنا جمعه - على قلته- للتعريف بها وبمحتوياتها ومن عمل بها وروادها وزوارها. إن هذا القليل هو بمثابة الجواب لمن قال: (لم يكن نشاطها فعالاً في هذه الفترة بل ولم يعرف عنها شيئاً إلا القليل من الناس) (المكتبات في م/٥، إدارة الثقافة، المكلا).

ولم أجد غير الأستاذ خميس كرامة حمدان من أشار إلى هذه المكتبة، فقد كتب عنها في كتابه (الشحر عبر التاريخ) ومن الخير له ولنا أن نكتب نصه كاملاً:

(المكتبة السلطانية، من حسنات السلطان صالح بن غالب على الشحر أن فتح لهم مكتبة علمية واسعة، ملئت بالكتب المفيدة، من كتب الشريعة الإسلامية من أمهات كتب التفسير وكتب الحديث وكتب الفقه والأدب والشعر والروايات والمعلومات العامة، وكانت شعلة علمية نادرة استفاد منها عدد لا يستهان به من التحصيل العلمي، وكان فتحها في عام ١٩٤٢م.

وعمدت نظارة المعارف لإعداد فتحها الشيخ عبد الله سعيد باعنقود، من أهل المكلا وأحد كبار المدرسين بالمدرسة المتوسطة بغيل باوزير، وهو نحوي ولغوي وفقيه جيد وخطيب مبدع، واختير لها منزل آل رمضان بسوق البلد، وخط الشيخ باعنقود بخطه فهرسة عامة وأخرى خطها المستر عبد الرحمن خان مدير جمرك الشحر (بالأردو).

وبعد إكمال إعدادها، حضر عظمة السلطان لفتحها رسمياً واحتفل مساء بمقر المكتبة، وألقى السيد/ هارون العطاس كاتب نائب الدولة كلمة قيمة رحب بالسلطان، ثم قدم شكر أهل الشحر بفتح هذا المشعل العلمي وشكر لفاتحها الحسنة التي لا ينساها أهل الشحر وجميع طلبة العلم.

ثم حددت لها مواقيت لفتحها من الساعة الخامسة عصراً إلى التاسعة مساءً، وأول من عمل على الإشراف بها علي سعيد سرور، قبل أن يلتحق بسلك التدريس، ثم خلفه أبو بكر عبد الله بافضل، من سكان محلة الخور.

وللسلطان أعمال علمية أخرى، فقد فتح في المكلا قبل مكتبة الشحر، مكتبة عظيمة جمع بها كتباً كثيرة العدد والتنوع العلمي سميت المكتبة السلطانية، خصصت بجناح بجوار مسجد عمر، وكانت مرجعاً لطلبة العلم والقضاة والعلماء، ومنهلاً لهيئة التدريس ولمن يرغب في الاستزادة من معين العلم والمعرفة).

وكنت قد كتبت للأستاذ خميس أسئلة بشأن المكتبة بالشحر وتاريخ افتتاحها، فكان جوابه في رسالة وجهها إلي محررة في ٦شوال ١٤١٦هـ (٢٥ فبراير ١٩٩٦م) ولا يزيد ما كتبه فيها عما جاء هنا، لكنه أضاف قائلاً: (فأي خطأ في التاريخ تصححه الفهرسة) ذلك كان بسبب ما حدثني به الشيخ محمد بن أبي بكر الجرو في لقاء معه صباح الجمعة ٤ فبراير ١٩٩٤م من أن الافتتاح كان في عام ١٩٤٧م.

لكن رسالة أول موظف للمكتبة وهو الشيخ علي سعيد سرور محررة ١٩٩٦/٦/٥م أفادت بأنه عمل بالمكتبة السلطانية عند افتتاحها لفترة قصيرة لكنه لم يستطع أن يتذكر التاريخ.

أمام كل هذا كان اعتمادنا على مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي (أنظر ما كتبناه عنه بمجلة الفكر العدد الخامس ـ يناير، فبراير، مارس ١٩٩٧م) حيث يقول: (في ٢٠ ذي الحجة ١٣٦٢هـ استأجر بيت برمضان لأهل العلم) وهو اليوم الذي تم فيه افتتاح المكتبة ويوافق ١٧ ديسمبر ١٩٤٣م.

زوار المكتبة أو آراء حول المكتبة أو ما قيل عن المكتبة :

لقد أشرنا فيما مضى إلى رأي الأستاذ سعيد عوض باوزير الذي ضمنه كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي) وتحت عنوان جانبي (الحركة الثقافية الحديثة) إذ يقول: (يمكن القول بأن هذه الحركة الثقافية بدأت عقب تولي المرحوم السلطان صالح بن غالب لزمام الأمور في الدولة) ص١٨٨. وكان هذا السلطان قد تولى حكم حضرموت على أثر وفاة عمه عمر بن عوض القعيطي في ٢٦ فبراير ١٩٣٦م.

وإذا أضفنا ما جاء في تحليل وصية جده عوض بن عمر القعيطي المتوفى بحيدر أباد الدكن في ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠/١٢/٢٥م. فإننا نجد أن هذه الوصية (لم تذكر الشعب ولا ما يجب على الحاكم أداؤه نحوه من تعليم أو رعاية صحية أو أمن أو أي شيء من الأولويات الواجبة من الحاكم نحو رعيته) (بامطرف، كيف كنا محاضرة) ثم نشفعها برأي الأستاذ ابن هاشم - الذي أورده في محاضرته التي ألقاها بنادي الشبيبة المتحدة بتريم في ١٥ شعبان ١٣٥٠هـ = ٢٥ ديسمبر ١٩٣١م والتي

أصبحت كتاباً مطبوعاً- : (وليس في المكلا إدارة بريد ولا مكتب تلغراف ولا مكتبة عامة ولا خاصة، وبها مستشفى للحكومة أتينا على ذكره آنفا) (رحلة إلى الثغرين).

نستنتج أن هذه النهضة الثقافية لم تكن عقب تولي السلطان صالح ولكن نستطيع أن نقرنها بوجود المستشار البريطاني بالمكلا، ففي عام ١٩٣٦م تم تعيين انجرامس مقيماً لكل من السلطنتين القعيطية والكثيرية، وسكن المستشار المقيم بمدينة المكلا.

ولنا الحق أن نسأل أنفسنا جميعاً في السبب الذي جعل السلطان مكتبة الشحر فرعاً للمكتبة التي تحمل نفس الاسم بالمكلا، ولم يجعلها مكتبة مستقلة بأمرها وجعل لها مبلغاً من المال كميزانية سنوية تتنفس فيه لشراء الكتب والتجديد والاشتراك بالدوريات الشهرية والفصلية والصحف اليومية، ولكن السلطان هنا خلق روح التنافس بين المكتبتين، وجعل مكتبة الشحر تنتظر الفتات من طعام المكتبة السلطانية بالمكلا وفضلاتها، وإن الرسائل والكشوفات لتدل على ذلك، ثم إنها لم تقم بواجبها نحو أختها الصغرى بالشحر، فإني شخصياً أعرف عدداً كبيراً من الكتب المكررة نسخها بالمكتبة في المكلا، فلماذا لا ترسل نسخة واحدة منها لمكتبة الشحر؟ وفوق هذا وذاك فإن أهالي الشحر أنفسهم لم يعطوا أمر المكتبة أي أهمية ولم نسمع منهم أي رأي حول هذه المسألة لا من المسئولين ولا من المثقفين، ولم تعلق أي صحيفة أو مجلة على أي رأي من زوار المكتبة أو المواظبين على الحضور والقراءة.

إني واقف على ما سبق أن قلته من أن السلطان صالح بافتتاحه مكتبة الشحر، لم يكن جاداً كل الجد بدعمها والسعي لتطويرها، ولكنه أراد أن يسكت أو يلجم من سوف يحذو حذو محمد بن هاشم. وقد أوردنا رأيه سابقاً.

وإذا فتحت هذه المكتبة في عام ١٩٤٣م أي بعد سنتين من افتتاح مكتبة المكلا، فإني أنظر إلى عدد كتبها الضئيل، رغم ما يقال أنه كلف الشيخ عبد الله سعيد باعنقود بتسجيل الكتب العربية وانتدب المستر عبد الرحمن خان، موظف جمرك الشحر لتسجيل فهرست الكتب الأجنبية وهي مقصورة على اللغة الإنجليزية واللغة الأردية (ربما السنسكريتية)، إن هذا العدد يستطيع أن يحصيه ويضع له فهرسة عددية أي طالب من طلاب المدارس الإعدادية، ولا بأس بالأجنبية، حيث إننا لم نجد من أفادنا من أن الفهرسة تلك كانت مبوبة، أي موزعة على أبواب العلم والأدب، ولكنها فيما نظن أنها فهرسة عددية فقط، وإذا لم نستطع أن نحصل على تعدادها الصحيح لفقدان السجلات أو كشوفات الجرد، فإني سوف أنظر إلى الجزء الثاني أو الثالث من هذه الكشوفات. ذلك عند تسليم الموظف الجديد للمكتبة الأستاذ محمد مصطفى المغربي. وهذا ما جاء في التقرير الخاص بالاستلام الذي جاء فيه: (جميع الكتب الموجودة

بالمكتبة وعددها (٦٠٤) كتب حسب قيدها بالفهرسة) وكان الاستلام بما جاء في هذا التقرير بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١٩م.

إننا ننظر إلى هذا العدد الذي تحتويه دواليب المكتبة السلطانية بالشحر، نظرة ازدراء وشماتة، إذ أن هناك من صنف لوحده مثل هذا الرقم وأكثر، ويمكننا أن نضرب مثلاً على ذلك.

لقد ذكر المستشرق كارل بروكلمان (٤١٥) كتاباً كمصنفات للعلامة جلال الدين السيوطي، لكن ابن أياس في كتابه (تاريخ مصر) ذكر بأن مصنفاته قد بلغت (٦٠٠) مصنف، وبالغ بعضهم بأكثر من ذلك، لكن الأستاذ أحمد الشرقاوي قال في كتاب وضعه تحت عنوان (مكتبة الجلال السيوطي): إن عدد مؤلفاته بلغ (٧٥٠) مصنفاً.

وجلال الدين السيوطي عاش الفترة ما بين غرة رجب ٨٤٩هـ (١٤٤٥م) و جمادى الأولى ٩١١هـ (١٥٠٥م)، وهذا يفيد بأنه توفي قبل أن تفتح مكتبة السلطان بالشحر بأكثر من خمسة قرون.

كان هذا عدد مؤلفات رجل واحد بارك الله في وقته وفكره ورزقه، جاءت بين مجلدات وكتب وأبحاث وأحيان من ذات الورقة أو الوريقات. ولسوف ينتابنا الخجل عند مقارنتنا ليس بما وضع السيوطي من مؤلفات، ولكن في حجم مكتبته وأعداد ما قرأ من كتب مكنته من أن يضع ويصنف تلك القائمة الكبيرة من المصنفات، رحمه الله تعالى.

ولم تحفظ لنا الأيام السجلات الخاصة بزوار المكتبة السلطانية بالشحر، مع أن هناك من أشار لنا بوجودها، ولكنا سنتلقط أخبار من زارها منذ افتتاحها من كل حدب وصوب. فقد أشار لنا المؤرخ مبارك صالح الأرضي في مدونته اليومية من أنه في يوم الافتتاح بدار (برمضان / بن رمضان) قد حضر السلطان صالح بن غالب بنفسه ويصاحبه (مسلم بالعلا وباصديق وعبد الله الخريصاني، وعبد اللطيف...).

ولقد سعينا حثيثاً للبحث عن هذه السجلات دون فائدة، لكن هذا لا يعفينا من تتبع الأمر بالتذكر والسؤال على أن قصة السجلات هذه ربما حفظت في مكان لم نعثر عليه وهذا متروك لمن سيأتي بعدنا ويكون من حظه أن يعثر عليها.

وكنا نتوقع أن نجد شيئاً تركه لنا أدباء المنطقة وبالذات من أهل الشحر، ولكن لم يقع شيئ من ذلك في أيدينا.

الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف (١٩١٥-١٩٨٨م) :

وهو من مواليد الشحر يوم الجمعة ٢٥ يونيو ١٩١٥م، درس بمدرسة مكارم الأخلاق ثم قام بالتدريس بها تولى العديد من المناصب في الدولة، ووضع عدداً من المؤلفات، وأعطى لتاريخ مدينته قسطاً كبيراً من مؤلفاته وأبحاثه، وكان له اهتماماً كبيراً بشأن المكتبات والكتب. أسهم هذا المؤرخ والأديب في المرحلة الثانية من تاريخ المكتبة السلطانية بالمكلا في فهرسة محتوياتها من الكتب في مختلف المجالات، ثم أطلق عليه اسمه عرفانا بدوره في خدمة الثقافة ككل وهذه المكتبة بالأخص، إذ أن له بصمة واضحة في نشاط المكتبة، ولم نجد أي أثر له فيما يخص المكتبة السلطانية بالشحر من خلال ما وقع في أيدينا مما كتبه لكننا نعرف أن له مذكرات تتكون من أربعة أجزاء أخذت من بيته في زمن مضى ولم تعد إليه وعبثاً كان العثور عليها، ونظن في شبه من التأكيد أنها لن تخلو من ذكر لمكتبة الشحر السلطانية.

لعله من محاسن الصدف أن أتعرف على الأديب المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف ولم أكن أتأسف إلا أن كانت هذه المعرفة والمتابعة والتلمذة عليه متأخرة جداً، ولكن رب ضارة نافعة فقد يكون الأمر الأحسن هو أن تعرف رجلاً مثله وقد بدأ عند الشباب شيء من الرغبة في الاستفادة وقد بدأ عليه شيئاً من النضج أو قل شيء من الفهم والقابلية والاستعداد لأن تطرح أسئلتك الدالة على الرغبة في كسب العلم أيا كان نوعه، ولا تصل إلى جواب المحدث (آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه) وكان الخجل يملأ الشباب وهم يذهبون لزيارته وكنت أرهب هذه الزيارات وأتحين الفرص وأخلقها أحياناً ومعي عدد من الأسئلة ويضيع الزمن في واحد منها أو في الثاني و لقد كان - رحمه الله- ولوحده مكتبة متكاملة أجد عنده وفيه أجوبة لكل أسئلتي، وقد علمت أن لديه مكتبة في غرفته التي بها سريره لم تكن كبيرة ولكنها وأيم الحق نوعية، وأذكر أنه مكنني من الاطلاع عليها ومنها أعارني كتباً، منها المطبوعة ومنها المخطوطة وأخرى من تأليفه، ومنها كتابه (الشعر الشعبي الحضرمي، فن وصناعة) الثلاثة الأجزاء الأولى، وكتاب (الميزان) وكان يرى في بعض الشباب الذين مكنهم من الاطلاع عليه أن يرى صدى نشره ومدى فهم محتوياته. وقد اطلعت على مخطوطة كتابه الشهير (الشهداء السبعة) ولاحظت في نهاية مقدمته وبعد اسمه قوله: (سجن المنورة زنزانة رقم ٢٥) وقد سألته بعد نشر الكتاب لأول مرة بالعراق المجيد، فأجاب أنه استمع لنصيحة وزير الثقافة آنذاك عبد الله عبد الرزاق باذيب من أن الآخرين سوف يركزون على هذه المسألة دون الكتاب وسيأخذ السجن وقصته جزءاً من أهمية الكتاب ومحتوياته وأهدافه. وكان الأستاذ محمد لا يبخل علينا بمدخراته وأعماله الميدانية، فقد سمح لي أن أطلع على ملف ميداني يضم ربما أكثر من مائة قصيدة التي جمعها من الرواة والشعراء أنفسهم وسمح لي أن أنقل ما

يعن لي منه وقال: إن الكتابة ستستمر طالما أن هناك حياة وأن ما سآخذه لغرض عندك يختلف عن ما أراه وأدرسه فيه. وبلغ أن أعارني كراسات عليها مسميات (دفتر ميدان رقم ...) ومنها عن باحسن شعراً وكتابة وآراء ومعلومات. وقد طلب تفريغي من عملي لمدة شهر من الزمان بغية وضع كتابه (لمحات من تاريخ اليمن) الذي صدر بآلة النسخ عن دائرة الفكر والأعلام بمنظمة الحزب بالشحر في ١٥نوفمبر١٩٨٣م، وضعه ببيت الضيافة بالشحر ولم يكن دوري غير توفير المراجع والمصادر وكتابة ما يمليه علي من عنده ومن المصادر وقد كانت تجربة لي استفدت منها وحاولت أن أحتديها. وللأستاذ الأديب المؤرخ عناية خاصة بالكتاب والمكتبات، فهو قد شارك في إعادة فهرسة المكتبة السلطانية بالمكلا، وعمل على حفظ بعضها وأكمل بعض نواقصها ورمم أوراق بعضها، وكان يحرص على إلقاء بعض محاضراته في قاعتها الواسعة وذلك لغرض تقريب الشباب منها والتعريف بها وبمحتوياتها بعد الاستقلال ولهذا أطلق عليها اسمه فترة زمنية، وقد أشار كتيب التأبين (بامطرف الغائب الحاضر) الذي صدر عن اتحاد الأدباء بالمكلا في الأربعين لفقده إلى مكتبته المتنوعة والمنتقاة بشكل دقيق وموزعة على أبواب أفدنا منها واتبعناها.

إن هذا غيض من فيض وإلا ماذا علي أن أكتبه عن الفقيد بامطرف؟ هل علي أن أذكر رسالته الموجهة بطريق غير مباشر للشاعر حسين أبو بكر المحضار وهو مزمع على طباعة وإصدار المجموعة الشعرية الثانية (ابتسامات العشاق) أن يعطي اهتمامه بالتصحيح والعناية به حتى لا يفقد الكتاب أهميته، قال فيها: (فضلاً إذا كتبتم له أن تؤكدوا من حيث تصحيح بروفات الديوان تفادياً للأخطاء التي تفقد الكتابة -وخاصة الشعر- رونقها وأثرها في القارئ) -رحمه الله- كان بنفسه مكتبة تسير على قدمين وتتنفس الهواء وتمشي مع الجميع وتجد في حضورها وتنقلاتها الفائدة المرجوة للجميع.

الدكتور محمد عبد القادر بافقيه (**١٩٢٨- ٢٠٠٢م**) :

من أهل الشحر رأت عيناه النور في مدينة أديس أبابا الإثيوبية، ولكنه استقام على رجليه هنا على الطينة الحضرمية وفي مدينة الشحر. درس بمدرسة مكارم الأخلاق، ثم بالمدرسة الوسطى بالمكلا، ثم انتقل معها إلى الغيل، سافر إلى السودان الشقيق بعد ذلك لاستكمال دراسته الثانوية والجامعية.

والدكتور محمد شخصية معروفة كأحد علماء الآثار، وله مؤلفات كثيرة وأبحاث ودراسات، ويهمنا في مقامنا هنا أن نلتفت إلى مداخلة سجلها معلم الآجال الأستاذ سالم أحمد حسن بن سلم لأحدى المحاضرات قال: (إن الطالب محمد بافقيه ذكر بأنه كان يتعمد المرور بالسوق عند انصرافه من مدرسته مكارم الأخلاق ليدخل إلى مكتبة والد المتحدث الشيخ أحمد بن سلم التي تقع بهذه السوق وهو في طريقه إلى بيته الذي يقع بحي الحوطة غربي المدينة) وكنا نتابعه كي نطلع على سلسلة الأحاديث التي كان

يكتبها وينشرها تباعاً تحت عنوان (شيء من تلك الأيام) وقد بدأت الأيام في نشرها من العدد (٧٥) الأربعاء ٢٢ أبريل ١٩٩٢م وحتى العدد (١٣٤) ١٦ يونيو ١٩٩٣م، ورغم أن أغلب هذه الحلقات كان عن الشحر فلا نجد ذكراً للمكتبة، لكن هذا الذي تم نشره كان القسم الأول وقد وقف عنده، وفي آخر هذه الحلقات ختمها بالقول: (إلى اللقاء في القسم الثاني) ولم تنشر منه أي حلقة، لكني أعلم أن للدكتور كتاباً بنفس عنوان الحلقات وهو مخطوط من أربعة مجلدات قدمه مرة لمؤسسة كنوز المعرفة بجدة لغرض نشره فاعتذرت له، ولم نعد نسمع عن الكتاب شيئاً، ولعلي على ثقة من أن هذا الكتاب لن يخلو من ذكر المكتبة السلطانية بالشحر.

وإذا كان الدكتور محمد عبد القادر بافقيه قد رأت النور عيناه في مدينة أديس أبابا عاصمة الحبشة، ١٩٢٥م حيث كان والده عبد القادر أحمد بافقيه يسكنها كدار هجرته، فإنه قد استقام على قدميه هنا بالشحر ولعب في شوارعها وامتلأت ملابسه بترابها، وبها كانت مغارس النجابة ورضاعة لبانها، فقد كان من طلاب مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية، ولا يستطيع أحد أن ينكر علاقة الرجل بالكتاب والكتابة طيلة أيامه في الحياة حتى أسلم روحه لباريها في ١٦ أغسطس ٢٠٠٢م. كان أحد طلاب مدرسة مكارم الأخلاق المدرسة الأهلية بالشحر، وواصل دراسته بالمدرسة المتوسطة بالمكلا التي انتقلت إلى غيل باوزير عام ١٩٤٤م بمعية الصفوف الأول والثاني والثالث، وفي عام ١٩٤٥م استقبلت الطلاب الأوائل من جميع مدارس ألوية حضرموت ومدنها، وكان الطالب محمد بافقيه من طلاب الدفعة الأولى، وهذا يعني أنه ترك مدرسة مكارم الأخلاق عام ١٩٤١م لينضم إلى طلاب المدرسة المتوسطة بالمكلا وعمره آنذاك ثلاثة عشر عاماً.

وهنا نجدها فرصة سانحة لأن نقتطف جزءاً قصيراً من تعقيب أستاذي وأستاذ الجيل الشيخ سالم أحمد بن سلم الذي قال: إن أخاه محمد أحمد كان يعمل بمكتبة صغيرة افتتحها والدهما الشيخ أحمد حسن بن سلم، يبيع فيها كتيبات دينية صغيرة مثل متن الزبد والمقدمة الحضرمية وسفينة النجاة والأربعين النووية وغيرها من الأذكار والتسبيح والأدعية والأوردة وغيرها كالحصن الحصين وحرز الجوشن، بجانب مصاحف القرآن والأجزاء الأولى منه وكتب ميسرة في التفسير والحديث وكتاب القاعدة البغدادية لتعليم الصغار الحروف وجمعها لتكوين المفردات والألفاظ، ثم تطورت لاستجلاب بعض الكتب الأكبر والدوريات المصرية مثل الرسالة لأحمد الزيات وقد صدر العدد الأول منها ١٥ يناير ١٩٣٣م واستمرت نحو عشرين سنة، والمنار لمحمد رشيد رضا التي صدر العدد الأول منها في مارس ١٨٩٨م واستمرت حتى عام ١٩٣٥م، حيث استغرقت ٣٣ مجلداً.

وأشار إلى أن طالب المدرسة محمد بافقيه يمر في طريقه إلى مسكنه بحي الحوطة بغرب مدينته من مدرسته التي تقع بحي الباعوين بشرق المدينة، يمر على مكتبة بن سلم ويظهر له أن هذا الطالب قد اطلع في أول حياته على تلك الدوريات المهمة في الأدب العربي وتاريخه، وربما يكون الطالب بافقيه قد اطلع على غير هاتين المجلتين.

والأستاذ محمد أحمد صاحب المكتبة هاجر بعد ذلك إلى الحبشة وجعلها مقر هجرته، ومارس هناك مهنته أو فنه متعهداً للكتب وبيعها، وكان صديقاً لعمي أحمد سعيد حداد، ولعل فكرته في إنشاء مكتبة (المكتبة الوطنية) بالمكلا هي مما استفاده من تجربة صديقه محمد بن سلم.

وللمزيد من أخبار هذا عالم الآثار الدكتور محمد عبد القادر بافقيه، الاطلاع على كتيب التأبين الذي أصدرته جامعة عدن تحت عنوان (عالم النقوش والآثار المؤرخ محمد عبد القادر بافقيه، وثائق حلقة نقاش حول سيرة ومسيرة الفقيد).

الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي (**١٩١٣ ـ ١٩٧٩م**) :

قدم بمعية والده وأخيه الشيخ عبد الكريم عبد القادر من جزيرة مروني إحدى جزر القمر، درس بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بالشحر عاد إلى الجزيرة قبل أن يتم منهجها ويظهر أنه درس هناك، فعند عودته عين معلماً لمادة الرسم والخط، ثم قام بالتدريس بها، ثم تحول إلى غيل باوزير عندما تحول عمله للتدريس بمدرسة المعلمين في الرسم وتكوين وسائل إيضاح الدروس للتلاميذ وخلق الوسائل التعليمية البسيطة، وللشيخ أحمد اهتمام بالتاريخ المحلي، فوضع كتاباً اسماه (المذكرة التاريخية) ولا زالت المذكرة مخطوطة، ولكني لم أجد ظلاً للمكتبة السلطانية في هذه المذكرة رغم أنها لا تخرج عن النشاط الثقافي والتعليمي.

وتوفي بمدينة غيل باوزير يوم الأحد ٣ رمضان ١٤٢٢هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٠١م.

الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي (**١٩٣٠ـ ٢٠١٤م**) :

من أهل الشحر درس هنا بمكارم الأخلاق ثم بوسطى الغيل وبدار المعلمين، وكل حياته نشاط ثقافي في مجالات كثيرة من قصة ومسرح وأبحاث تاريخية وثقافية في التاريخ والتعليم والفلك، وأعطى لمدينته قسطاً وافراً من كتاباته، وأحد أبحاثه كان بعنوان (الأهمية العلمية والاجتماعية لمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بالشحر) جاء فيه ما نصه: (في هذه المدينة نشأ مركزان علميان مهمان عبر تاريخها،

شعا بالعلم والعلماء، فكان لهما الدور الأهم في تطوير المدينة وظهورها، وقاما في ظروف تاريخية متقاربة، أسهم النشاط الفكري بها في الدفع بقيامهما وعرفا بأنهما ضروريتان ملحتان مستجيبتان له.

المركز الأول هو المدرسة السلطانية البدرية في منتصف القرن العاشر الهجري (٩٥٩هـ = ١٥٥٢م).

والمركز الثاني هو مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية التي نشأت في الثلاثينات من القرن الرابع عشر الهجري (افتتحت في ١٠ صفر ١٣٣٧هـ = ١٤ نوفمبر ١٩١٨م).

ونحن هنا نلاحظ أنه رغم اهتمامه بقضايا التعليم والثقافة بمسقط رأسه مدينة الشحر، وكتاباته في الغالب منشورة، فلا نجد للمكتبة السلطانية بالشحر أي مكان، ولكن لعل الله يقيض من يفتش فيما لم ينشر من أعماله ونعثر على شيء منها يخص المكتبة السلطانية ولو في أسطر قليلة، لأنه من غير المعقول أن يعتبر المركز الأول والثاني مركزان علميان في تاريخ المدينة فقط دون الإشارة إلى الكتب والمكتبات. إن المدرسة لا تكون إلا بعناصرها والكتاب عنصر أساسي في المدرسة للطلبة ومرجع هام للمعلمين وفوق هذا وذاك نقول: إذا كان الأستاذ عبد الرحمن قد ولد ونشأ ولا تفارق الكتب عينيه أنى التفت أو توجه، فمكتبة والده الأستاذ والداعية عبد الكريم عبد القادر الملاحي تملأ أضابير ورفوف كل بقعة من بيته وكل فجوة أو فسحة في غرف مسكنه، وقد شهدت هذا بنفسي عند التلمذة على هذا الشيخ المتوفى بالشحر في ٣١ أغسطس ١٩٩٦م. وتوفي الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي في الشحر في ٢٠١٣م.

الأستاذ محمد أحمد عمر الشاطري (١٩١٢ـ ٢٠٠١م) :

المؤرخ الشاعر الأستاذ أحمد عمر الشاطري من أهل تريم، وقد كنت متوقعاً أن يأتي على شيء مما يتعلق بالمكتبة بالشحر ولو كان نقداً سالباً لصغرها وقلة كتبها ولعدم توفر المصادر والمراجع لكتابه الذي يعكف على تحبيره آنذاك! فقد مكث بالشحر مدة ربما عدة أشهر وبالقرب من المكتبة، وذلك لينجز كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي). سكن بيت من أصهره من آل شامي أصحاب التجارة في تريم والشحر وغيرها لكني لم أجد في كتابه هذا أي ذكر للمكتبة، مع أنه ذكر الكتاب في الجزء الأول من كتابه وتحت عنوان جانبي: (المكتبة الحضرمية)، لكن ربما كتب شيئاً عنها ولم يقع بين أيدينا أو ربما وجد أنها لا تستحق حتى الإشارة إليها.

أمام هذه المعضلة قررنا الاكتفاء بالزوار من الأدباء والكتاب الذين وردت عنهم وفي كتبهم وأبحاثهم وكتاباتهم، أنهم زاروا المكتبة وكتبوا عنها شيئاً، وكان من حسن حظنا أن اطلعنا عليه.

صلاح عبد القادر البكري : (١٩١٢ ـ ١٩٩٣م) :

ولعله أول من أشار إلى المكتبة هو هذا المؤرخ وذلك في كتابه (في جنوب الجزيرة العربية) والكتاب كله عبارة عن رحلة قام بها من مصر حيث إقامته في أجزاء من منطقة الجنوب العربي، ومكث بها ثلاثة أشهر وعاد من حيث أتى بعد انتهاء الرحلة في أكتوبر ١٩٤٧م، وقال المؤرخ صلاح: (زرت المكتبة السلطانية التي أنشأها عظمة السلطان، وهي في أشد الحاجة إلى المساعدة الأدبية وقد أهديتها نسخة من كتابي تاريخ حضرموت)(صفحة ٥٥٤).

والأستاذ صلاح مؤرخ وضع عدد من الكتب التاريخية (أنظر ما كتبنا عنه في مجلة العرب لحمد الجاسر، ج٩، ١٠ أغسطس/سبتمبر ١٩٩٧م ص٦٩٤) وكان الكتاب الهدية أجمل ما كتب، وفيه تجرأ على كتابة ما حدث بين الحضارمة أنفسهم في إندونيسيا، وهو ما عرف بالحركة الإرشادية . وكان هو أحد تلاميذ مدارس هذه الحركة. ويعد كتابه أول إشارة تصل إلى كل الحضارم وغيرهم عن نشاط هذه الحركة وفكرها، رغم التكتم الشديد وعدم السماح لدخول فكر الحركة إلى حضرموت المنشور على صفحات مجلاتهم وكتبهم ومنشوراتهم، ثم إن له كتاباً آخر خصصه للحركة الإرشادية، جاء بعنوان (تاريخ الإرشاد بإندنيسيا).

ومع أننا نعي بأن كل مؤلف له هدف من تأليفه وربما أهداف من كل ما يكتب، وقد نأتي معه وقد نأتي عليه، فإننا هنا نرى أنه أراد نشر آراء هؤلاء القوم وفي وطنهم حضرموت كما نظن ورفض الحصار الفكري.

عاد إلى إندونيسيا في آخر عمره وتوفي هناك.

سعيد عوض باوزير (١٩١٥ ـ ١٩٧٨م):

بعد ما يزيد على عشر سنوات من إشارة البكري وضع المؤرخ الأستاذ سعيد عوض باوزير كتابه الجميل والذي أعطاه عنوان (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي) كتب مقدمته في عام ١٩٦٠م، وفي عنوان جانبي باسم (مكتبة المعارف والكتابات العامة) أشار إلى المكتبة السلطانية بالشحر فقال ما نصه: (وفي مدينة الشحر مكتبة صغيرة تعتبر فرعاً لمكتبة المكلا ولها موظف واحد وتحتوي من الكتب المختلفة على حوالي ثمانمائة مجلد) (ص١١٩) وهذا يفيدنا بأن المكتبة وبعد عمر يقدر بسبعة عشر سنة لم تزد عدد كتبها إلا بمائة وستة وتسعين كتاباً، هذا إذا لم نكلف أنفسنا بالبحث عن عناوين المجلدات ومعرفتنا السابقة من أن بعض الكتب من أكثر من مجلد.

والمؤرخ باوزير من بيت علم وثقافة وضع ثلاثة كتب تاريخية أهمها في نظري (صفحات من التاريخ الحضرمي) فقد تتلمذنا عليه وذلك بعد درسنا في الصف الرابع حصص (تاريخ حضرموت في شخصيات) وهو له أيضاً، الذي كان يلقننا إياه أستاذنا القدير عمر مبارك بقرف جزاه الله كل الخير، وفي صفحاته تلك تجرأ المؤرخ باوزير وأبدى شجاعة في وضع شخصية تاريخية كانت على رأس المذهب الأباضي الذي كان سائداً بحضرموت، على الرغم من معارضة بعض المؤرخين ورفضهم إدراجه ضمن المنهج التاريخي الحضرمي، لكنه أصر على إدراج هذا الفصل عن أباضية حضرموت في كتابه صفحات من تاريخ حضرموت في علمها البارز العلامة الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني. ومن معانيه أن لا يمنع الفكر ولا يجب وضع السدود والموانع والعراقيل لمنع نشر فكر معين أو تحجيمه والافتراء عليه.

رحم الله المؤرخ سعيد فقد توفى في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٨م.

الأستاذ سعيد يسلم الرباكي :

هو من أهل بلدة شحير الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بين الشحر والمكلا، وهي على شرق مطار الريان أقرب، وهو رجل تربوي حيث ظل أكثر عمره بمكاتب التربية والتعليم، وقد عرفته مبكراً وفي سنة ١٩٥٩م عندما جاء إلى الشحر مشرف امتحان المرحلة الابتدائية لمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية (الشرقية) وكنت حينها طالباً بالصف الرابع الابتدائي أي نهاية المرحلة، وقد عرفته لاحقاً أيام نادي كوكب الصباح الرياضي بالشحر، وزرته مع آخرين إلى بيته في بلدة شحير واستقبلنا بغرفته الجميلة الشرقية المطلة على السوق.

الأستاذ سعيد تحول من إدارة التربية والتعليم إلى مكتب الثقافة والسياحة بمحافظة حضرموت أيام جمهورية اليمن الديمقراطية وأسندت إليه مهمة المكتبات، ومن هذا المكتب أصدر مكتبه هذا كتيباً تحت عنوان (المكتبات في م/الخامسة حقائق وأرقام) وضعه بنفسه وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة عشر للثورة، وقد جاء عن مكتبة الشحر التي تعرف حينها (مكتبة الجماهير) وجاء فيه: (لم يكن نشاطها فعالاً في هذه الفترة، بل ولم يعرف عنها شيئاً إلا القليل من الناس)، ولكني لم أقبل هذا العذر، إذ كان في مقدوره أن يطلب تقريراً عبر فرع الثقافة بالمديرية الشرقية آنذاك، أما أن يقال بأنه لا يعرف عنها أي شيء فهو أشبه بمن لا يريد أن يعرف عنها وحتى لا يلزم نفسه ولا مكتبه أي تبعات حيالها.

السلطان غالب الثاني :

هذا هو السلطان الذي رده رجال الجبهة القومية مع السلطان الكثيري مع آخرين، على أعقابهما من بحر المكلا وهم على باخرة نقل سعودية. واعتبر من يومها مخلوعاً من السلطنة التي ورثها من أبيه وأجداده الأربعة، وتولى حكم حضرموت بعد وفاة والده السلطان عوض بن صالح بن غالب القعيطي المتوفى بالمكلا في ٢٦ جماد الآخرة ١٣٨٦هـ الموفق ١١مارس ١٩٦٦م.

ويعيش هذا السلطان المخلوع عن سلطنة حضرموت بالمملكة العربية السعودية، وقد وضع كتاباً أسماه (تأملات عن تاريخ حضرموت) وضمنه رأيه في حكومة من سبقه من أسرته وهم السلاطين الخمسة، وتجميل ما أبدوه وقدموه. وكان عليه كمؤرخ وليس كسلطان أن ينتبه إلى تأثير الأبوة على الأبناء وتأثير العظمة السلطانية على مختلف الأصعدة وخاصة في ما ينسب إلى السلاطين من أخطاء، إضافة إلى رغبته في العودة إلى سدة حكم حضرموت، ومن هنا كان المنطلق كي ننصف الكتاب ونعطيه حقه، مع علمي بأن هناك من لن يعجبه ما طرحته ولكنها مجرد آراء، ثم إني لي الحق كما هو لغيري لأن أقول ما عندي ولن نطيل المكوث هنا فالهدف هو ما جاء عنده حول المكتبات في حضرموت، وعند ذكره لجده السلطان صالح بن غالب قال: (كما أسس مكتبتين في كل من المكلا والشحر، وإني أعتقد بأن الأولى تعد أضخم مكتبة عربية في جنوب الجزيرة وهي منظمة ومرتبة بشكل رائع...) (ص٩٩) ونضيف نحن إلى كلامه، وأن الثانية لا تستحق الذكر لأننا لسنا بعيدين من رأي المؤرخ صلاح البكري في المكتبة السلطانية بالمكلا التي زارها: (وهي في أشد الحاجة إلى المساعدة الأدبية).

الشيخ عمر أحمد بن سميط (١٨٨٥ ـ ١٩٧٧م) :

جاء في ترجمته أنه ولد في ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م ببلدة (أساندا) من جزر القمر وأنه توفي بمدينة (مروني) عاصمة جزر القمر في ٩ صفر ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م. وقد جاء ذكر المكتبة في (النفحة الشدية) وهو عنوان كتاب رحلتين له، وكانت الرحلة الثانية لحج بيت الله وزيارة مسجد نبيه صلى الله عليه وسلم. وفي عودته زار حضرموت التي وصلها في شهر محرم ١٣٧١هـ (أكتوبر ١٩٥١م) ثم غادر إلى عدن ليمكث يوماً واحداً ويغادرها إلى زنجبار في ١٦ربيع الثاني ١٣٧١هـ = ١٣ يناير ١٩٥٢م. وكان قد تمكن من زيارة مدينة الشحر ولكنه لم يزر مكتبة الشحر السلطانية بل زار بعض الأضرحة والشخصيات على مدى يومين. فهل كانت المكتبة لا تستحق الزيارة، أو أنه لا يحب زيارة المكتبات الصغيرة وهو داعية مشهور، أم أن أهل الشحر لا يعتزون بهذه المكتبة، أو أنهم لا يهتمون

بأمر المكتبات فلم يدرجوا زيارته للمكتبة ضمن برنامج الزيارة؟ إن واحد من هذه يكون السبب الرئيس في عدم الزيارة.

ثم أنه تحرك إلى المكلا، ويهمنا أنه زار المكتبة السلطانية بها بصحبة ناظر المكتبة (أمين المكتبة) الشاعر عبد الله أحمد الناخبي وكتب عنها قائلاً: (... وبعد الصلاة ذهبنا إلى زيارة مكتبة السلطان صالح بن غالب القعيطي بمعية الشيخ عبد الله أحمد الناخبي وهي تشتمل على زهاء (٥٠٠٠) خمسة آلاف مجلد في مختلف العلوم، وأهدي إلي من مؤلفات السلطان (مصادر الأحكام الشرعية)، فشكرته على تلك الهدية السنية، وختمت الشكر بالوداع) (ص٢١٥).

حسين عبد الله الجيلاني :

الأستاذ حسين من مواليد الشحر هاجر والده إلى جيبوتي وهناك أصبح قاضياً بها. الأستاذ حسين وبعد الاستقلال مباشرة تحول إلى المكلا ليستقر فيها، وعمل هناك بإدارة القضاء حتى أحيل للمعاش. وهنا تجدد نشاطه الذي تمثل في تكوين (منتدى الخيصة) الذي تولى رئاسته بطرقه الخاصة كمحبة من قبل من يهتمون بأمر المنتديات، ومنتدى الخيصة بالذات، وله اهتمام بالتاريخ المحلي والشعر العامي، ولكن لم تتكلل هذه الأعمال بالنجاح ويتحول الكلام إلى الكتابة، ولعل لديه اليوم فسحة من الوقت أطال الله مداها ومده في العمر كي ينجز ما وعد. وقد حصل هذا المنتدى على دعم الدولة ممثلاً في الرئيس السابق علي عبد الله صالح ومحافظي حضرموت ومنهم على الخصوص علي صالح عباد وعبد القادر علي هلال، الذين مدوه بالدعم المالي والدعم المعنوي ليواصل نشاط المنتدى وأعماله، وإصدار نشرته الشهرية التي تحمل نفس عنوان المنتدى (الخيصة) وكل له هدف من السعي في إنجاح نشاط منتدى الخيصة ونشرته الشهرية.

وقد حقق المنتدى نجاحاً في استمرار استقطاب البعض ليلقي به مساهمات كالمحاضرات والأمسيات الشعرية والطربية وقراءة الكتب ونقدها. وتأتي أخبار هذه الفعاليات في نشرته الشهرية (الخيصة) ومن الأهمية بمكان أن نورد هنا ما جاء حول المكتبة السلطانية عند تحولها إلى المقر الجديد وافتتاحها من جديد. فقد جاء على الصفحة الأولى لأحد الأعداد القول: (وتجدر الإشارة إلى أن المكتبة السابقة بالشحر أنشئت عام ١٩٤٤م في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي مؤسس المكتبة السلطانية بالمكلا، ولا تزال بعض موجوداتها من المؤلفات القيمة باقية في عهدة مكتب الثقافة بالشحر، وكان مقرها الأول آنذاك في عمارة تقع وسط (سوق شبام) بالشحر، وأول مسئول لها في ذلك العهد هو عبد الله صالح بن عثمان ومساعده صالح عبد القوي بن جحنون، ثم نقلت مطلع الخمسينات إلى بيت عبد الله جعفر في سيئون الذي آل إلى الكلالي) (العدد ٢٢).

ومن المؤكد أن الأستاذ حسين قد كلف أحداً لصوغ هذا الخبر، لأنه من غير المعقول أن لا يكون قد عرف شيئاً عن المكتبة، فقد كان ابن عمه محمد مصطفى المغربي الرجل الرابع في ترتيب موظفي مكتبة الشحر السلطانية، ثم أن مقر عمله في إدارة التعاون والتسويق قريباً من المكتبة وأن العمارة التي نقلت إليها المكتبة كانت بالشحر وليس بسيئون. وهذه أبرز الأخطاء، لكننا سنتجاوزها مع الأخريات التي سيرد معنا تصحيحها كما نظن في هذا البحث.

محمد باحمدان :

الأستاذ محمد سالم عبد الله باحمدان من أهل المكلا، كتب بحثاً بعنوان (عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، ١٩٣٦ـ١٩٥٦م) ونشره بالمكلا بمطبعة كمال وحدين الحديثة للأوفست، في فبراير ٢٠٠٨م، وهو في الأصل رسالة ماجستير تقدم بها لمجلس الآداب بجامعة عدن، وفيها إشارة إلى مكتبة الشحر، ووقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها من نقل منهم، فمثلاً قوله: (الجدير ذكره أن هناك رأياً يفيد أن المكتبة تأسست في عام ١٩٤٤م، وتعد فرعاً لمكتبة المكلا، وهي تقع في وسط سوق شبام بالشحر وكان أول مسئول بها هو الأستاذ عبد الله صالح بن عثمان، ثم ساعده الأستاذ صالح عبد القوي بن جحنون...) وتصحيح ما وقع فيه وما وقع فيه غيره سيرد في بحثنا هذا وحسب ما علمناه ونعتقد صحته.

ونكتفي بهذا عندما ظننا أنهم أشاروا في كتابات لهم ضائعة أو مفقودة أو لم تنشر إلى المكتبة السلطانية بالشحر.. بأي شكل كان، ثم نظرنا إلى من وردت عندهم بعض الإشارات فيما كتبوا وهي بحوزتنا، ولنذهب الآن إلى شعراء المنطقة.

شعراء المنطقة :

كنت أظن أن الشعراء عندنا كغيرهم من شعراء الدنيا، هم الأكثر تأثراً وانفعالاً بالأحداث الثقافية والأدبية والتاريخية وغير ذلك، وكنت أظن أنهم سوف ينظرون إلى حدث كهذا وهو افتتاح مكتبة حكومية للقراء والباحثين والهواة ببلدهم نظرة فيها من الأهمية بمكان، ولكن خاب أملي في مراجعي من الرواة وحفظة الشعر، إلا أن هذا ليس كل شيء، فالأمل لا زال معقوداً على الحصول على بعض القصائد أو حتى الأبيات التي تعبر عن الفرح والسرور الذي انتاب الشعراء له وقدح القرائح بتسجيل هذا الفرح في أبيات أو أحاديث أو مقالات. وربما جاء مثل هذا ولم يصل إلينا وربما يهتدي إليها غيرنا من الباحثين النشطاء هنا أو هناك ويضيفون ما لم يقع في أيدينا ويسجلوه ليكتمل هذا الحديث عن المكتبة الذي نعتقد أن فيه الفائدة والمغنم.

شاعر الدولة الناخبي:

هو عبد الله بن أحمد الناخبي من مواليد قرية حمحمة بيافع، صحب أباه الذي كان جندياً تابعاً للدولة القعيطية وكان مركزه قرية تبالة التي تقع شمال مدينة الشحر وتبعد عنها بحوالي خمسة كيل. ووجد فيها فرصة للتعلم على يد الشيخ سالم بن مبارك الكلالي، وهو من كان معروفاً بنشاطه وعلمه فقد انتخب وتلميذين من طلابه كمدرسين لمدرسة الأخلاق الأهلية عند افتتاحها في ١٤ يوليو ١٩١٨م، فشد الرحال إلى المكلا ليستقر البعض منهم هناك، لكنه لم يقعد مكتوف الأيدي بل تبع شيخه إلى الشحر وفيها عرف آخرين في الدراسة والتثقيف، حتى كان آخر سنوات السلطان غالب ين عوض المتوفى بالهند الموافق ١ يوليو ١٩٢٢م، ثم عمل أستاذاً بمدرسة الفلاح التي افتتحها آل الدباغ الهاربين من أمام جحافل جيش ابن سعود قبيل الاستيلاء على مكة والمدينة وجدة، وهم من افتتح مدرسة الفلاح بالمكلا ما بين (١٩٢٦ – ١٩٢٨م). وقد اختلف معهم بعد أن تبين له أهدافهم السياسية، وكان السلطان عمر بن عوض قد عينه خطيباً لمسجده الذي أتم بناءه في عام ١٩٣١م، وظل مستمراً للعمل بالتدريس حتى تشكل مكتب إدارة المعارف بعد قدوم القدال السوداني عام ١٩٣٩م، فجعل الناخبي مساعده الأول، لكن السلطان عمر قد عين الشيخ الناخبي لنظارة المكتبة السلطانية بالمكلا عام ١٩٤٤م، لقد كتب هذا الشيخ قصيدة عند افتتاح المكتبة ٨ ربيع الأول ١٣٦٠هـ الموافق١٩٤١/٤/٦م قال فيها:

يا بني الأحقاف بشراكم فقد فزتم اليوم بدار الكتب

ومنها قوله:

واشكروا المولى وما من به واشكروا السلطان فخر العرب

ونحن نجدها في ديوانه المطبوع في صفحتي ١١٥ و١١٦، وهناك قصيدة أخرى بعنوان (آية المجد) ألقاها في دار المكتبة السلطانية وفيها يقول مادحاً للسلطان صالح:

(صالح) من له على الشعب فضل شد أزرا له وسمحت يداه (ص١٦٤)

ومن دواعي سروري أن تمكنت من زيارة هذا الشيخ في ١٦شعبان ١٤١٩هـ = ٥ ديسمبر ١٩٩٨م، حيث كنت هناك لأداء مناسك العمرة فزرته في مسجده (بابيضان) بحي الكندرة بمدينة جدة، فصحبني بعد الصلاة إلى بيته وإني لفخور بذلك، فقد استقبلني بفرح لم أجد مثيلاً له إلى اليوم في كل سنوات حياتي، وكان يردد متذكراً أياماً قضاها في صغره بقرية تبالة، مشيراً إلى معرفة جدي الثاني عوض سعيد حداد الذي يكثر التردد على القرية متعهداً أراضيه الزراعية وجني ثمار نخيله. ثم أنه

تفضل وأهدى إلي نسخاً من كتبه وسألته عن ديوانه، حيث كنت في تلك الأيام أعد برنامجاً أسبوعياً لإذاعة الشحر المحلية بعنوان (شاعر وأغنية) واعتذر الشيخ - رحمه الله- وقال: (التفكير جارياً لجمع القصائد رغم ضياع الكثير منها...). وعندما صدر ديوانه (شاعر الدولة) في طبعته الأولى عام ٢٠٠١م، قال الشاعر: (والآن أقدم للقراء المجموعة التي احتفظت بها).

إن قارئ الديوان سيجد أن الشاعر يعد الكتاب والمكتبة على وجه الخصوص منشأة ثقافية تستحق الإشادة، وإن هذه من مزايا السلطان صالح، وأنه بهذه يخدم الشعب ليعلي شأنه، والقصيدتان تفصحان عما دار في خلد الشاعر وهو يقوم بكتابتهما ولكن العجب أن لا يكون شأن مكتبة الشحر السلطانية كشأن مكتبة المكلا، وهي من مزايا السلطان صالح ومن أفكاره ومن منجزاته، ولكن زال ما لحق ببالي من استفسارات منها أن القصيدة الأولى والتي جاءت بعنوان (فزتم بدار الكتب) قدمها الشاعر يوم افتتاح المكتبة بالمكلا في ١٠ ربيع الأول ١٣٦٠هـ = ١٩٤١/٤/٦م في حين أنه لم يحضر افتتاح مكتبة الشحر السلطانية، ثم إنه عين ناظراً للمكتبة بالمكلا ورغم أن المكتبة بالشحر تابعة لمكتبة المكلا فإن تعيينه جاء بعد افتتاح مكتبة الشحر.

ونحن الآن والشيخ الشاعر في ذمة الله نلتمس له العذر، فإن الديوان الذي بين أيدينا ليس كل ما كتبه وفاضت قريحته به فربما كتب ما نتوقعه عن مكتبة الشحر السلطانية وهي التي نظنها من الضائعات، فهذه المكتبة ظلت مدة طويلة وهي تحت إدارته، مدة تقرب من ربع قرن من الزمان.

وتوفي - رحمه الله- بمدينة جدة في ٢٤ جماد الأول ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧/٦/١٠م رحمه الله تعالى.

الشاعر الشاطري:

محمد أحمد الشاطري من مواليد تريم ١٣٣١هـ = ١٩١٤م. درس على علمائها ثم التحق بمدرسة عرفت بمدرسة الحق ثم بمدرسة آل الكاف وتخرج من رباط تريم، مارس التعليم في إندونيسيا وفي حضرموت. عين عضواً قضائياً بالمجلس العالي سنة ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م. ثم تولى التفتيش الشرعية في السلطنة القعيطية وغير هذا في الدولة الكثيرية. ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٣هـ = ١٩٧٣م واختار أن يقوم بالتدريس بمدرسة الفلاح.

وعلاوة على مؤلفاته النثرية في الفقه والتاريخ والأنساب والفلك له ديوان شعر طبع الجزء الأول منه مرتين، وكتب السلطان صالح تقريظاً له نشره بالطبعة الأولى، قال فيه السلطان: (تصفحت ديوانك فوجدت قصائده مملوءة بالمعاني الجيدة والتعبيرات الرقيقة تتفجر من عباراتها وتنبثق البلاغة من حسن تركيبها وترتيبها...) وكان ذلك من رسالة مؤرخة في ٣ شعبان ١٣٦٦هـ = ٢٢جون ١٩٤٧م. والرجل

كله نبل وكرم وأخلاق وتواضع فقد كتبت له رسالة فكتب جواباً لها وأهدى إلي نسخة من كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) بجزأيه الطبعة الثانية، وقد وصلني بيد الزميل الجار محمد سالم حبليل نجل خطيب جامع الشحر - رحمه الله-.

وقد كتب أبياتاً استهل بها محاضرة بعنوان (كيف السبيل إلى نهوض صادق) ألقاها بالمكتبة السلطانية بالمكلا بحضور السلطان صالح القعيطي مساء يوم ١٣٦٥/٥/٢٥هـ = ٢٧/أبريل/ ١٦٤٦م.

وإذا كان الشاعر الشاطري يعد من رجال النهضة والتجديد في حضرموت، فإن المكتبة أحد وسائل هذه النهضة والتجديد ورغم هذا فإني لم أجد في الديوان قصيدة تشير إلى الكتاب والمكتبات بشكل مباشر، ولكني لم أطلع على كل قصائد ديوان الشاعر محمد الشاطري، فإن الذي بيدي هو الجزء الأول فقط.

وعاش الشاعر بقية حياته بمدينة جدة حتى وفاته في ٣ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٠١م - رحمه الله-.

الشيخ صالح بكار باشراحيل :

الشيخ صالح من مواليد الشحر، ربما في العقد الأول من القرن الرابع عشر للهجرة في نحو من العقد قبل الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.

ينتمي إلى أكبر العائلات التي سكنت الشحر ثراء وتجارة، في النصف الأول من القرن العشرين. وهبه الله قدرة فذة من الذكاء والفطنة والنباهة حتى قال عنه المؤرخ ابن عبيد الله في كتابه (إدام القوت): (نزلت على وافر المروءة الحرة، الشهم المشارك في العلم).

وقد شغف الشيخ صالح بالعلم ورجالاته إذ لا يزور أحد منهم الشحر إلا وينزل ضيفاً عليه ببيته، ومنهم على سبيل المثال المؤرخ ابن عبيد الله السقاف والأمير علي بن صلاح القعيطي، عندما أجبر على الإقامة في الشحر.

وبلغ احتفاؤه بالعلم والعلماء أن يقيم لهم الاحتفالات والمآدب، كإقامة مأدبة بمناسبة افتتاح المدرسة العربية الابتدائية عام ١٣٦٤هـ، ومأدبة أخرى على شرف محمد عبد القادر بافقيه إثر تخرجه من جامعة الخرطوم كأول جامعي من أهل الشحر وكان هذا في العام نفسه ١٣٦٤هـ.

وكان جل اهتمامه بعد التجارة الكتاب فكوّن مكتبة قيل إنها كبيرة، ضمت كثيراً من الكتب المخطوطة النادرة والمطبوعات المهمة وأمهات الكتب، وكان بودّنا لو أننا نستطيع أن نقارنها بالمكتبة السلطانية لكن لا فهرسة لهذه المكتبة التي آلت أيضاً للضياع وكان أجمل هدية تقدم إليه وتسره هي الكتاب.

ولقد انعكس كل ذلك على نشاطه الثقافي فكان أحد رجال الثقافة والتنوير في محيطه، وكان أديباً وشاعراً وفقيها ورجل اجتماع وطبيباً شعبياً يعتمد على التجارب القديمة في استعمال الأعشاب، وله ديوان شعر يضم القريضين، وهو مخطوط وله عدد من المقامات الشعبية استمعت إلى بعضها ولو جمعت لجاءت في كتاب.

والشيخ صالح بكار أول المفكرين لتأسيس مدرسة أهلية بمدينته الشحر وقد نجح مسعاه في تحقيق تلك الفكرة الطموحة التي ولدت منها مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية، وكان الشيخ العضو الأساسي لنجاح الفكرة والفاعل الرئيس في تنفيذها، وكان له ولمؤسسة أسرته التجارية الفضل الأكبر في تقديم القسط الأكبر والأوفى لمستلزمات استمرار المدرسة، كمرتبات المدرسين وقيمة الأدوات المدرسية والقرطاسية وقيمة الكتب اللازمة وبعض النثريات، وهو في الحقيقة يستحق أن يكتب عنه أكثر مما دوناه. وتوفي - رحمه الله تعالى- في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ = ١٤ سبتمبر ١٩٦٣م. لقد نقلت كل ما جاء بالصفحتين (٢٣ـ٤٠) من كتاب (مدرسة مكارم الأخلاق، ثمانون عاماً من الجهد والعطاء) وهي ترجمة كتبتها بنفسي بعد أن فشلت بمعية لجنة إعداد الكتاب الحصول على ترجمة من مظانها وهي مقتبسة من أحاديث لنجله الشاعر عوض صالح والمؤرخ الأديب خميس حمدان والراوي عوض سالم عبدن ومدونة المؤرخ مبارك الأرضي.

وكان الرجل رحمه الله يرى أن المكتبة مكان جدير بالزيارة وأنها فخر للبلد وأنها الأولى بالزيارة والتعرف عليها أكثر من أي مكان، وقد ضرب لنا مثلاً بأن يصطحب ضيوفه لزيارة المكتبة السلطانية بالشحر كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

الشاعران حمدان وحميدان :

السابقون منا لا يهتمون بتواريخ ميلادهم وميلاد عظمائهم، فإذا تصدى أحد لترجماتهم احتار في أي تاريخ يلتمس فيه الدقة أو حتى ما يقرب منها، فيقع أحياناً في أخطاء فادحة وفي أحيان كثيرة يخطئون حتى في تاريخ ميلادهم الشخصي عندما يكتبون عن أنفسهم.

الشاعر حمدان :

ولنأخذ مثلاً في المؤرخ الأديب الشاعر خميس كرامة حمدان وهو يعيش بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، ما شاء الله عن عمر ربما تجاوز التسعين، عمره الله بالصحة والعافية، وهو أيقونة المعلومات التاريخية الكثيرة وخاصة للشحر مسقط رأسه، لكني أتهمه بالكسل فهو لا يتفضل بمد يده إلى رفوف مكتبته ليكتب التاريخ الصحيح لأي حادثة يود الكتابة عنها، فعلى الغلاف الأخير من أكبر كتبه المطبوعة نبذة عن شخصه، قال فيها: (إنه من مواليد ١٣٦٠هـ) ولكني وقبل أن أدخل في التفصيل أقول كالمتأكد من أن هذه النبذة القصيرة لم يكتبها المؤلف نفسه، وربما كتبها غير المؤلف هناك في صنعاء البلد التي طبع فيها الكتاب، لأنه من غير المعقول أن يكون الرجل مهتماً بقضايا التاريخ ولا نجد في مكتبته جداول السنين الهجرية مع مقارنتها بالسنين الميلادية، ونحن لا نتمسك بخطأ وقع فيه من قام بكتابة تلك النبذة جزاه الله خيراً، لكننا نبحث في كوم من الورق ولا نجد فيها بغيتنا، ولم نجد من كتب غيره عن المكتبة، فأغنانا عن مئونة البحث وتكاليفه آملين عدم الخروج إلا بأقل الخسائر وأكبر الفوائد.

إن عام ١٣٦٠هجرية يوافق عام ١٩٤١م بالوفاء والتمام، ومن رسالة شخصية من المؤرخ حمدان لكاتب هذه السطور، يقول فيها: (حضر حفل افتتاح المكتبة بالشحر) عام ١٩٤٢م، وفي النبذة أنه عمل بالحقل التربوي والتعليمي ما بين (١٩٤٤-١٩٥٢م) وبالمقارنة مع تلك الترجمة نجد أنه عمل منذ أن كان عمره ثلاث سنوات.

إن الاعتماد على من لا يضبط التواريخ يسبب إرباكاً للآخرين وعليه فإني أنصح كل من قد سبق له أن اطلع على ما جاء في تلك النبذ ثم يقرأ ما أسطره الآن أن يضع نصب عينيه أننا لا نريد الإساءة للمؤرخ حمدان أبداً فقد نبهني بنفسه في رسالة شخصية إلى قوله عن حفل افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر: (وكنت حاضراً وكتبت عنها نبذة في الترجمة عن السلطان في مخطوطة الشحر في أدوار من تاريخها) وهذا قبل التفكير في تغيير عنوان كتابه إلى (الشحر عبر التاريخ) وتهمنا كثيراً عبارة (كنت حاضراً) وكنت أحاول أن أجعلها تتناسب مع ترجمته للشيخ سالم أحمد بن بريك في كتابه المخطوط (أعلام شحرية لها تاريخ) وهو من وصفه بصديق الكتاب، وقال المؤرخ خميس: (هو يحتفظ بمكتبة كبيرة بها كتب للفقه والحديث والعلوم الأخرى وحتى مدرسة مكارم الأخلاق في عهدها الأول تستعير منه كتاب "فتح الباري بشرح البخاري" للشيخ أحمد بن حجر العسقلاني لأن المدرسة لا تمتلكه، وقد ذهبت أكثر من مرة مع آخرين في أمر المدرسة لإحضار بعض أجزاء الكتاب) وقد اتضح أن الكتاب بأجزائه موجود في قائمة كتب المكتبة السلطانية، ربما في قائمة الجرد الثاني للمكتبة دون تاريخ.

ولدينا ثلاث أو أربع ترجمات قصيرة للشيخ خميس جاءت على الغُلف (الغلافات) الأخيرة لكتبه وأخرى بكتاب (مدرسة مكارم الأخلاق) الذي أصدرته المدرسة في ذكراها الثمانين لافتتاحها ولكنها كلها مختلفات في تواريخ الميلاد، ونحن لا نحب أن نزيد الأمر تعقيداً لكننا نصل إلى القول: إن الشيخ خميس - أطال الله عمره - أسن مما كتب عن نفسه أو كتب عنه الآخرون، ويكفي أن نقول أنه من الرعيل الثالث أو الدفعة الثالثة بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية، كما أشار هو بنفسه في كتابه (منارة الشحر العلمية) وكل بعقله والقريحة. وعليه أن يختار من تعرض لترجمته زمناً مناسباً لميلاد هذا الأستاذ الكاتب الشاعر والمؤرخ.

إننا نجد فيما صدر من كتب وأبحاث ومقالات للشيخ خميس، نهجه وفكره ونشاطه في مدينته الشحر قبل هجرته إلى جدة بالمملكة العربية السعودية، كمعلم مدرسة وعضو أندية ومنتديات وكاتب سيناريو ومحرر مجلة خطية وأنشطة متعددة جمة، أدبية وثقافية واجتماعية وربما سياسية، وللشيخ خميس عدد من الكتب التاريخية والأعلام والثقافة الدينية، اطلعت على بعضها مخطوطات وأخرى مطبوعة على الآلة الكاتبة ومنها نسخ بمكتبتي الخاصة، وقد تفضل يوماً وأرسل لي قائمة بالكتب التي ألفها ومنها ديوان شعره الذي وسمه بعنوان (خواطر حمدانية) وأنه من غير الممكن أن أصدق أن هذا الشاعر سوف يسكت عن أمر المكتبة وأن لا تهتز مشاعره خاصة عند افتتاحها وقد حضره، فقد لمسنا الآن معاً أنه الوحيد الذي مر على ذكرها كلما حانت له أي مناسبة وأتيحت له فرصة لذكرها، فقد ذكرها ثلاث مرات في كتبه وهي:

- كتاب (مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) ذلك عند ذكر أول كاتب (أمين) لهذه المكتبة (ص٧٤).
- كتاب (الشحر عبر التاريخ) ذلك عند ترجمة السلطان صالح بن غالب القعيطي (انظر ص١٠٦).
- كتاب (أعلام شحرية لها تاريخ) مخطوط.
- رسالتان شخصيتان:

(١) الرسالة الأولى بتاريخ ١٢ يناير ١٩٩٦م.

(٢) الرسالة الثانية بتاريخ في حكم الضائعة.

لم يعد هناك وقت للتمهل كثيراً، فقد انتظرت طويلاً مؤملاً وصول معلومات معينة وكتباً ودراسات وأبحاث ومقالات وقصائد ولم تصلني إلى اليوم، ولما كان الميسور لا يسقط بالمعسور توكلت

على الله وبدأت كتابة ما لدي عن المكتبة السلطانية بالشحر، وذلك عندما احتفلت بذكرى يوم ميلادي التاسع والستين في ٢٧ إبريل ٢٠١٥م وكان الشيخ خميس الدافع الأول والرئيس وصاحب الفضل فيما بين أيديكم، إن قدر له أن يصل إليكم. وأن على الشيخ أن يتحمل فضولي وثقلي وحتى يصل إلي وإلى الجميع ديوان الشيخ الموسوم بعنوان (خواطر حمدانية) وأنا وجمع معي لا نظن أن يأتي الديوان هذا خلو من الإشارة إلى الكتب ودورها والتربية والتعليم والمكتبة السلطانية بالشحر وعموم النشاط التثقيفي في مدينته وبلدته.

الشاعر محمد عوض حميدان عشار:

أشار الأستاذ مبارك سالمين في مقدمة كتبها لديوان الشاعر محمد عوض حميدان الملقب كأسرته عشار، وكان أن دفع به إليه ليراجع مادته ويتابع تنضيده ويعده بصورته النهائية للطباعة، وليحظى الكتاب بمكانته اللائقة ضمن إصدارات وزارة الثقافة بصنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م، وهو العام الذي حرصت فيه أن يكون للكتاب اليمني شأن متميز وكانت كلمة الأستاذ مبارك مناسبة جداً حيث يقول: (إننا لو أسرفنا في تناسي وإهمال أعلامنا وقدوتنا الرائعة الفاضلة سنصبح ذات يوم أمة بلا تاريخ وسيستقر بنا الحال في دوامة من الفوضى والعبث، دوامة ستنتزع جذورنا وتذرونا الرياح) وهو ما حدث ويحدث الآن والديوان في خبر كان، والخوف أن يضيع في أدراج مكاتب الوزارة ودواليبها وبين الأوراق والملفات الكثيرة ويفقد للأبد.

لقد قدم الأستاذ خميس كرامة حمدان صديقه الأستاذ عشار وبعضاً من زملائه في كتابه (مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) وأفاد بأنه وصديقه عشار من الدفعة الثانية بهذه المدرسة التي فتحت أبوابها واستقبلت الدفعة الأولى عام ١٩١٨م، ويضيف بأنه أكبر منه بسنة واحدة ويقدر بأنه من مواليد عام ١٩٢٣م، ولكني أظن أنه أكبر من هذا! وعلينا هنا أن نقارن بين هذا التاريخ وما قدره المؤلف لتاريخ ميلاده نفسه ونعتقد أن شكنا في مكانه، فإن هذا يكون معلوماً لدينا من أن عدداً كبيراً من طلبة المدرسة بالدفعة اللاحقة لهذه الدفعة أسن منهما وأقدم ميلاداً، ولنأخذ مثلاً في الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف الذي كان ميلاده في عام ١٩١٥م بالشحر وهو من طلبة المدرسة ثم عمل بها معلماً سنوات قليلة.

إن مادة الديوان التي جاءت تحت عنوان (مختارات عشار) والتي نظن أن صديقه حمدان قد احتفظ به، قد قدم بمشاركة ابن الشاعر فوزي محمد رحمه الله وبواسطة ابن الشاعر الثاني خالد محمد إلى الشاعر مبارك سالمين وهو يحتوي على المادة الشعرية مضافة إلى مقالة حول الشاعر عشار

وسيرته وذكريات مع صديقه حمدان، وهو يستحق منا الشكر الجزيل على كل الجهد المبذول الذي يثلج الصدر.

قال الأستاذ الشاعر مبارك سالمين في المقدمة التي كتبها للديوان: (إن الحديث عن عشار ليس حديثاً عن الأدب والريادة فيه فحسب ولكنه حديث عن معركة التعليم في حضرموت وعدن أيضاً، منذ نهاية النصف الأول من القرن العشرين، فعشار علماً من أعلامه الذي يشار إليه بالبنان منذ أن كان طالباً بمدرسة مكارم الأخلاق وحتى عين محاضراً في قسم اللغة العربية.

ولنستكمل موضوع ترجمة الأستاذ عشار لنقول: إن عدداً من تلاميذ الصفوف العليا بالمدرسة الوسطى بالغيل أشاروا بأن عشار كان يكتب المسرحيات المدرسية لطلاب المدرسة وقد كتب مثلها للمدرسة الأولى، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا لنا نصاً ولا عنواناً لواحدة منها.

ويعود تاريخ أولى قصائد الديوان إلى بداية الأربعينات وهي كما جاءت مقدمة الأستاذ مبارك سالمين تمثل الريادة الفكرية والثقافية على المستوى التاريخي لحضرموت والمنطقة عموماً، وأن مدرسة مكارم الأخلاق التي كان الأستاذ طالباً فيها وهي نواة المدرسة الأهلية التي سميت بعد ضمها إلى التعليم الحكومي بالمدرسة الشرقية، كانت قلعة إشعاع تربوي ثقافي ومنارة علم مواصلة لدورها الأول مكارم الأخلاق، وتطلب القيام بدورها رواد بواسل أنجبتهم هذه المدرسة، وكان أستاذنا في صدارة جيل الرواد الذين نهضوا بمهمة التعليم والتربية والتثقيف فيها.

نعم لقد كانت مجمل قصائد الديوان كما سمعت من صديقه الأستاذ خميس كرامة وابنه فوزي محمد ومن محتوى مقدمة الأستاذ مبارك سالمين، كان هم الديوان كله أو مجمله الهم الثقافي والتعليمي ولا أظن أنه سيعفي المكتبة من دورها في هذا المجال وتنفيذ هذا الدور وشيئاً عنها، فهل علينا أن ننتظر حتى يصدر الديوان ولنا أمل أن لا تطول هذه المدة فإنه قد مرت عشر سنوات منذ أن طوى عام الثقافة في اليمن أوراقه.

إن للرجل نشاطات أدبية وثقافية جمة ولكننا ونحن في سبيل الإشارة إلى المكتبات فإنه سيكون نقصاً أن لا نشير إلى دوره في مسألة إنشاء هذه الدور. فقد كلف الأستاذ محمد أن ينشئ مدرسة ثانوية للبنين بمدينة الشحر عام ١٩٦٦م، وقد قام بهذا الافتتاح على أتم وجه رغم أن المبنى لم يكن جاهزاً لاستقبال الدفعة الأولى لهذه المدرسة، فكان أن تم افتتاحها بغرفة بحصن الشحر المشهور (دار ناصر) وهو أحد حصون دولة آل بريك التي سبقت الدولة القعيطية، وكان مقراً لمؤسسات الدولة آنذاك، واستمرت المدرسة به ريثما يتم البناء الإضافي العلوي لحصن بن عياش ليكون مقرا للمدرسة.

واستمر العمل بالمدرسة في هذا المبنى سنتين دراسيتين عام ٦٥/٦٦ و عام ١٩٦٦/٦٦م وهي مدرسة نصفية حيث يتحول الطالب الناجح للصف الثالث الأخير بالمرحلة إلى ثانوية المكلا مؤقتاً ربما للسعة أو ليكتمل الاستعداد لاحقاً لاستيعاب الطلاب وهناك يتم إكمال المرحلة الثانوية ويخضع الطالب للاختبار النهائي.

إن الأهم هنا وهو ما نحن بصدد وما نقصده هو أن يؤسس مكتبة كبيرة نسبياً لهذه المدرسة، وأن أقل ما نستطيع قوله عنها أنها وعند افتتاحها كانت تضم خمسة آلاف كتاب مختارة من أمهات الكتب في مختلف العلوم كمراجع للأساتذة والطلاب، وبجانب هذا فقد ضمت أيضاً الاهتمام بالجانب المحلي تاريخاً وثقافة وأدباً ونقصد بهذا ما كتب عن حضرموت وعموم اليمن، ولم يتعد عمر هذه المكتبة نصف قرن إلا وقد آلت إلى خراب جراء إهمال مدراء المدرسة المتعاقبين على إدارتها وقد تركت دون حفظ وصيانة وأخرجت من دواليبها تحت أوهى الأعذار، ثم قدمت هدية بمباركة مدير المديرية الأستاذ حسن محمد باداهية ومدير التربية بالمديرية الأستاذ عمر سعيد عبداللي - رحمه الله - ومدير المدرسة الأستاذ وليد عوض صياد ، ولم أعلم برأي مدير عام التربية بالمحافظة، وقد حمل المهدى إليه بقايا المكتبة أمام الجميع على سيارة شحن صغيرة تحت حجة ـ كما قيل ـ حفظها وصيانتها.

لقد كان الأجدر أن تشكل لها لجنة لجرد الصالح منها وما يمكن ترميمه وتجليده ومعرفة ما يمكن الاستفادة منه ويقدم هذا إلى المكتبة الحكومية العامة المفتوحة أبوابها إلى الساعة ليتم نفعها للجميع وليس لفرد واحد مهما بلغت درجته أو مكانته العلمية والثقافية أو وجاهته وعلو منصبه، فهي حق عام ولا يملك أي من المسئولين حقاً منها لمن يريد ويفضل.

وبالمناسبة فإن هذه المكتبة العامة تتبع إدارة الثقافة ومكتبها بالمديرية وأن ما قلناه أقل ما يقال عن من أراد لنا الخير فسعينا إلى مسح اسمه من الوجود بإزالة أثر ثقافي له. وأخيراً فقد اتصلنا بابن الشاعر الأستاذ خالد محمد عوض حميدان المقيم حالياً بصنعاء وسألناه عن ديوان والده وعن قصيدة في شأن المكتبة السلطانية بالشحر، فكان منه أن طمأننا على الديوان وحفظه وأهدانا نسخة من القصيدة وهي:

مكتبـــــــة مـــــــوقرةٌ ظـــــــاهرةٌ مشـــــــتهرة

قـــــد مُلئـــــت تخوتهـــــا بالكتـــــب المحبـــــرة

بهـــا تـــرى الـــدنيا كمـــا تبصـــرها بالمبصـــرة

بهـــا تـــرى مـــن ســـلفوا ضـــمن العصـــور المـــدبرة

كأنهـــــا فـــــي وطنـــــي شـــــمس بليلـــــي غـــــدرة

أو قمـــــر يرشـــــدنا إلـــــى الطريـــــق النيّـــــرة

أو ملجـــــأ يســـــكنه ذوو النفـــــوس الخيـــــرة

أو روض أرض عطـــــرة أثنـــــى النســـــيم شـــــجرة

أو إذ نجـــوز فوقهـــا ســـبل المعـــالي قنطـــرة

أو حانـــــه اســـــماً ولكـــــنّ الشـــــراب التبصـــــرة

نحســـو بهـــا خمـــور علـــم لا خمـــور المســـكرة

أو قـــل بهـــا مـــا شـــئت مـــن ألقـــاب صـــدق جـــدرة

فيـــــا لهـــــا مكتبـــــة خيراتهـــــا منتشـــــرة

إحســـــانها كـــــالجود حالـــــة عـــــيش مقفـــــرة

أضـــــحت بهـــــا الشـــــحر ســـــوائها مفتخـــــرة

ذاهبـــــة إلـــــى العـــــلا ناهضـــــة مشـــــمرة

تـــوطي وفـــي رحلتهـــا نجـــم الســـها والزهـــرة

بهـــــا الشـــــباب يعتلـــــي مراتبـــــاً مقـــــدرة

مـــــن الهنـــــاء ســـــكرة مـــــن الهنـــــاء ســـــكرة

بهـــــا الشـــــباب يحتســـــي بحالـــــة منتصـــــرة

بهـــــا الشـــــباب ينثنـــــي زاكيـــــة محـــــررة

واســـــــعة علومـــــــه بجـــــــدها منمـــــــرة

طامحـــــــة نفوســـــــه لغيـــــــره محبـــــــرة

صـــــائبة أفكـــــاره باقـــــة شـــــكر شـــــيرة

أوتـــــره منظمـــــاً يرقـــــب شـــــيئاً ويـــــره

إطـــار زهـــر فـــوق حافـــات غـــدير خضـــرة

أو تـــره دون خـــوان العلـــم يجنـــي عبـــرة

ســـلس مـــن الـــدر علـــى صـــفحة عـــاج عطـــرة

أو تـــره وهـــو بهـــا فـــي عيـــدها المشـــتهرة

يســـمع مـــن شـــاعره آياتـــه المنحـــدرة

كأنهـــا الأنجـــم فـــي جـــنح الـــدجى منتشـــرة

أو سلســـبيل الشـــرب فـــي نفـــس لـــه منتظـــرة

قـــام بهـــا محييـــاً المصـــلحين البـــررة

مـــن جـــود مولانـــا الـــذي أنعمـــه منتشـــرة

وســـحب المعـــروف مـــن جـــود يديـــه ممطـــرة

ســلطاننا ســامي الــذرى حــامي الحمــى بــل قســورة

قـــد كـــان قبـــل أن يجـــى فـــي حالـــة مكـــررة

ســـباته فـــي جفنـــه وهمـــه قـــد نخســـره

وشـــعبه فـــي حالـــة جموعـــه مبعثـــرة

حقوقـــه ضـــائعة أموالـــه مطيـــرة

فـــي جهلـــه يـــرف لا يفيـــده مـــن ذكـــره

حياتـــه مبهمـــة إلـــى الفنـــا منحـــدرة

ورجلـــه مـــن مكثـــه علـــى الـــونى منكســـرة

وأراه قهـــراً نحســـه وســـعده قـــد أنكـــره

أتـــى إليـــه صـــالح أصـــلحه فـــأظهره

أكرعـــه العلـــم الـــذي بـــه اســـتعاد مفخـــرة

يـــا حبـــذا العلـــم إذا مـــا الشـــعب يجنـــى ثمـــره

يـــا حبـــذا العلـــم إذا مـــا الشـــعب يقفـــو ســـيره

وزاده أمنـــاً علـــى ماضـــي الســـنين لـــم يـــره

درســـــه درس الترقـــــي فـــــي المـــــلا وقـــــرره

فهـــب مـــن مرقـــده وســـار يقفـــو أثـــره

فهـــو بـــه فـــي حالـــة طيبـــة مـــوقرة

لله دره فقـــــــد درأ عنـــــــه خطـــــــره

أكـــرم بـــه ملكـــاً علـــى طـــول الليـــالي النضـــرة

عـــالم حـــال الشـــعب مـــذ أرســـل فيـــه نظـــره

لا زال فـــي أمـــن وفـــي حالـــة عـــيش خضـــرة

الأديب الشاعر محمد عوض بامختار:

محمد عوض بامختار من أهل مدينة الشحر، وقد سكن مع والده وأفراد أسرته بحي الباغريب وعلى الضفة الشرقية من مسيال سمعون عند أول اختراقه للمدينة بعد أن ينحني قليلاً إلى جهة الشرق، وكان ميلاده دون أن نستطيع تحديده، تلقى تعليمه الأولي بالشحر لكنه بعد ذلك تعلق بالعلم وسعى إليه فتتبع العلماء في مساجد مدينته حضوراً ودرساً، وهم الذين يلقون دروساً وخطباً ومحاضرات في الصباح والمساء ولكي يشبع نهمه للعلم والثقافة والاطلاع والتثقيف رحل إلى سيئون وإلى معهدها الشهير معهد العالم علي محمد الحبشي الذي افتتحه في عام ١٢٩٥هـ وكان الحبشي يلقي فيه دروساً على طلبته في الدين واللغة والشعر والتصوف، لاسيما أن الحبشي نفسه شاعر مجيد وله فيه ديوانان، واحد ضم شعره الفصيح والآخر ضم شعره العامي وهو ضخم، وفي المعهد وجد من الأصدقاء ما مكّنه من الرفع من شأن ثقافته وعلمه وانعكس كل ذلك على نشاطه الأدبي والثقافي وكتب الشعر وأذاعه بين الناس وبين أقرانه ومن يرغب فيه ويحبه.

والشاعر محمد أكبر إخوانه وهم أحمد عوض وحاج عوض ومعهم أختان، وقد تزوج مرتين لم تنجب له الأولى أما الثانية وهي ابنة الفقيه القاضي محمد عمر العماري، وقد أنجبت له عبد الرحمن وعلي وابنة واحدة، وإذا عرفنا المدة التي عاشها الفقيه القاضي فإننا نفيد بأن الشاعر بامختار يصغره بخمسة عشرة سنة كما قيل لنا، وقصائده الخمس التي بحوزتنا تنفي التهمة القائلة التي تقول أنه لا وجود للشعر الفصيح في الشحر، والاثنان استقوا من معين واحد، إذ درس كل منها على الشيخ بادباه صاحب قرية الصداع ثم علي محمد الحبشي في معهده بسيئون، وذهب أحدهما إلى سلك القضاء والآخر إلى سلك التربية والتعليم وأنهما مارسا كتابة الشعر، ونستطيع القول: إن الاثنين لهما علاقة بالشعر والأدب ولكن إذا نظرنا إلى اتجاهاتهما ووجهة نظر كل منهما وفكره، سنجد أنهما على النقيض من بعض في طرح أفكارهما. فالشيخ العماري لا يرى أهل التصوف على الصواب وأن ما يدعون بأنهم على المذهب الشافعي غير صحيح، في حين يرى الشيخ بامختار أنهم من أهل الله ويخالف عمه الشيخ محمد القاضي، ولعل القصائد وإن كانت قليلة توضح الأمر وتبينه بشكل لا يقبل الجدال.

ولقد ألقى الشاعر حسين أبو بكر المحضار قصيدة في أمسية خاصة به في المجمع الثقافي بأبو ظبي، فرق بين اتجاهين للدولتين اليمن الجنوبي والإمارات العربية المتحدة قال:

واحنا خوه وابنا عمومه وجيره نوقف معاكم لو هو على ذلق سكين

كلين يعرف ماه في عين بيره لكن في السقي اختلفن المعايين

هذي المطيره جنب هذي المطيره يطعمه مثل الدوعني في الفناجين

ونحن هنا نلفت النظر إلى الشيخ التربوي الشاعر محمد بامختار الذي ألقى قصيدة في الحفل الذي أقيم بمناسبة افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر وقد ضاعت على الكل لكن من حسن حظ الشاعر وحظنا أن يسمح للدكتور أحمد هادي باحارثة وهو من أهل المكلا ، زيارة مكتبة الأديب التربوي الشيخ عبد الله سعيد باعنقود (ت ١٣ ذي القعدة ١٣٨٥هـ = ٥ مارس ١٩٦٦م) ليجد ما يسر وما يفرح، فهي تضم كنوزا تستحق البحث عنها والجدية، فهي تختزن ذخائر أدبية وفنّية للشيخ باعنقود منذ أيام نشاطه التربوي والتعليمي والتثقيفي وفيها وجد القصيدة المطلوبة والتي منحنا نسخة منها مشكوراً رغبة في نشرها إن جاءت مناسبتها. فله منا جزيل الشكر ومن كل من يسره مثل هذا العطاء وهذا الصنيع الجميل.

قصيدة بامختار:

أمــنُ الرعيــة مــن حــوادث دهرهــا ... نعــم الهزبــر العــالم المفضــال

الحبــر صــالحٌ ابــن غالــبٍ الــذي ... صــلحت بحســن صــلاحه الأحــوال

العــدل شــيمته وديــدنه الوفــا ... والفضــل فيــه ســجيةٌ ومثــال

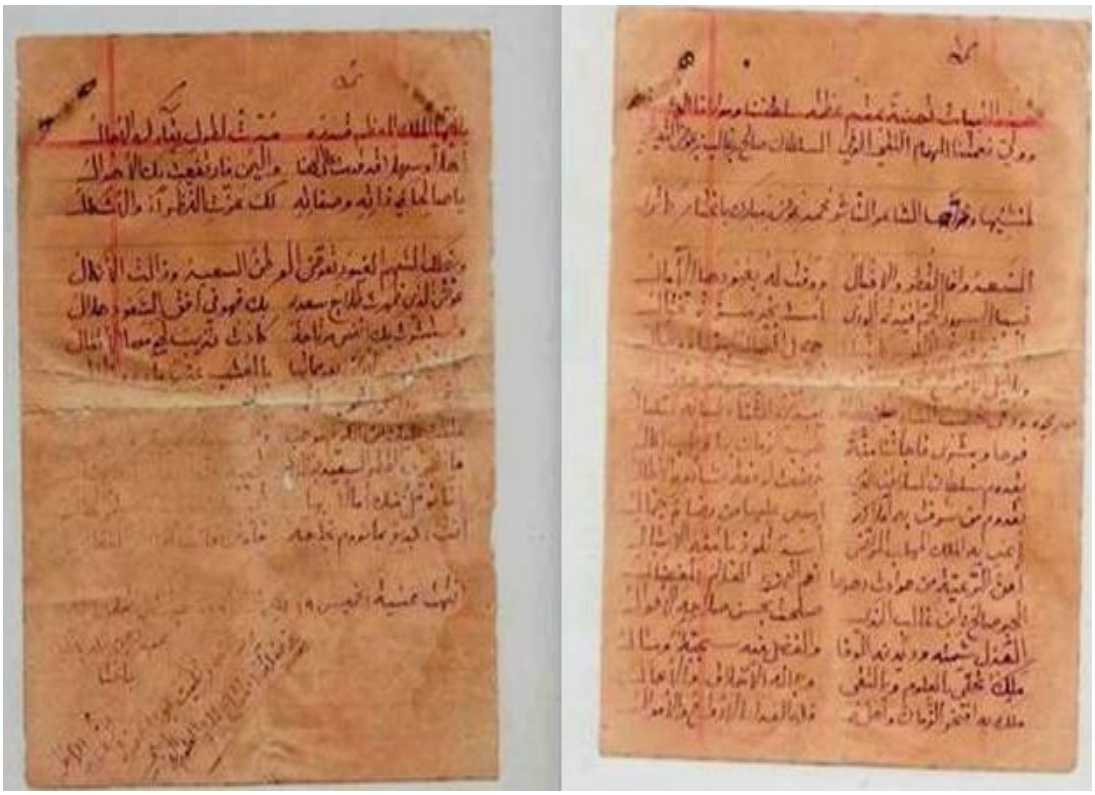
ملــك تحــلّى بالعلــوم وبــالتقى ... وجمــاله الأخــلاق والأعمــال

ملــك بــه افتخــر الزمــان وأهلــه ... فلــه الفــدا الأرواح والأمــوال

يــا صــالحًا فــي ذاتــه وصــفاته ... لــك عــزت النظــراء والأشــكال

وبنجلــك الشــهم الغيــور تعــوض ... الــوطن الســعيد وزالــت الأنكــال

عــوض الــذي ظهــرت طلائــع ســعده ... بــك فهــو فــي أفــق الســعود هــلال



وقد هاجر الشيخ بامختار إلى أرض الصومال وفضل أن يستقر بمدينة / ميناء بربرة. وهناك افتتح مدرسة أهلية استمرت حتى قرب وفاته بذلك الميناء في عام ١٩٦٣م.

ولم أجد من ترجمه فيما بين يدي من كتابات ولا من جمع شعره اللهم إلا القليل، وما كتبناه إنما انتخبناه من معارفه والبعض من أحفاده، سامح الله الجميع على التقصير وليس لدينا إلا خمس من القصائد فقط منها معارضات مع الشيخ محمد العماري، لكنها تفيد بأن الشاعر بامختار كان على درجة عالية من العلم والثقافة، وقد قدمها لنا مشكوراً الأستاذ ماهر عوض بن صالح جزاه الله بها خيراً.

شعراء آخرون :

ربما شارك بعض من شعراء المنطقة إخوانهم فرحة أهل الشحر إن كان فرحاً قد حدث بافتتاح المكتبة السلطانية بالشحر وكل هذا لم يصلني منه شيئاً، ولا لوم إلا على من لم يدون ويتابع الحدث، وحتى شعراء الشحر الذين حظوا بشهرة طيبة ليست بالشحر وحضرموت فقط ولكن لمناطق كثيرة يرتادها أهل بلدانهم. ومنهم الشاعران عبد الله عبد الكريم الملاحي والشاعر حسين أبو بكر المحضار وكل منهما ولد بالشحر ودرس بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية وعند افتتاح المكتبة كان عمر كل منهما لم يتجاوز أحد عشرة سنة:

عبد الله عبد الكريم الملاحي (١٩٣١ـ ١٩٩٧م) :

عرفت منه أن الذي يحتويه ديوانه الذي صدر باسم (ثورة الحرمان) واللاحق له باسم (الإبحار إلى مدن الحب والسلام) لم يكن كل ما نظمه من قصائد وأن هذا لم يكن إلا الجزء المختار والمنتقى منه، وعندي عدد من قصائده التي كتبها ولم يضمها أي من المجموعتين إضافة إلى أبيات متفرقات كان ينظمها مشاركة في الأفراح والرقصات الشعبية كرقصة العدة مثلاً، وهناك أغنيات شعبية قدمها الفنانون المحليون ولعل أجمل ما قرأته عنه كان ما كتبه عزالدين إسماعيل في كتابه (الشعر اليمني المعاصر) وفي ديوانه قصيدة بعنوان (في ظلال القرآن) وهي تنبئ عن الكتاب وأهمية الكتاب وما عنده من أهمية للكتاب على وجه العموم، ولا أنسى أن أذكر بأنه أسس مكتبة نادي كوكب الصباح الرياضي الثقافي بمدينة الشحر الذي تأسس عام ١٩٥٤م، وهو قد تولى رئاسته فترات طويلة وكنت قد عينت عدة مرات سكرتيراً ثقافياً في اللجان التي ترأسها، ومن المفيد جداً الإشارة إلى الكتاب فقد وجهني مرات لقراءة كتب تهتم بما أحاول أن أكتبه في محاولاتي الأدبية الأولى، وقد كتب لي رسالة من مدينة (تيزي أوزو) الجزائرية وكان هناك في صباحية شعرية في مهرجان الشعر العربي السابع عشر، نقد فيها قصة قصيرة كتبتها في شبابي، وأرشدني إلى التعرف على الكاتب الفرنسي موبسان والروسي غوغول وتجاربهما في

كتابة القصة القصيرة. رحم الله الشاعر عبد الله عبد الكريم الملاحي فقد كان أستاذي منذ أن كنت طالباً له بالصف الثالث ابتدائي في العام الدراسي ٥٨/ ١٩٥٩م وكان مدرساً للغة العربية ومنه عشقنا لغتنا نطقاً سليماً ما سمع عن العرب وما جاء نحواً وصرفاً وأعتقد أن الكل قد سمعه وهو يتلوا قصائده ولدي تسجيلاً بصوته لمحاضرة قدمها بنادي سمعون الرياضي تحت عنوان (تجربتي الشعرية) كنت قد طلبتها منه أثناء ما توليت رئاسة شعبة الأدباء بمديرية الشحر.

عن المحضار (١٩٣١ـ ٢٠٠٥م) :

ويظن كثير من أهل الشحر وخاصة ممن يحيط بالشاعر المحضار، بأنه لا يقرأ ولا يحب القراءة وهذا لعمري خطأ فادح وشنيع، وهنا نحاول أن نزيل عنهم هذا الوهم الذي نعده من الأخطاء الشائعة عندهم. والعكس هو الصحيح إذ أنه يحتفظ بمكتبة صغيرة في غرفته الداخلية بالطابق العلوي أو هي قريبة من غرفة نومه، وأظن أنها خاصة جداً ومهمة وكيفية أنها منتقاة لما يرغب فيه ويفضل معرفته، ومن الصحيح أني وعدد من أصحابه والمقربين له والمحيطين به والاختصاصيين بأعماله وخباياه قد استفادوا مما قدم لهم من كتب ودراسات تهدى إليه وكنت أحدهم، فكان يهدي لنا ما يزيد عن حاجته وما لا يرغب في الاحتفاظ به، يقدم ذلك عن طيب خاطر وبلا من، إني أحتفظ ببعض منها وبعضها أهديتها لمتحفه والتي أظن أنها أصلح، وهناك كتب لا يهديها لأحد، وكأني بها للمكتبة الخاصة جداً، وقد دخلت مرة عليه وبيده كتاب (تاريخ آل سعود) للكاتب إبراهيم بن أدهم، وكان على الشباك الذي يقرب من جلسته فطلبته للقراءة وهي عادة لي ولا أرجع تلك الإعارة إلا التي يرجو إعادتها فكان جوابه: (إني أقرأه الآن ولم أنته منه بعد، وربما أمكنك من إعارته بعد ذلك) ولم أر هذا الكتاب بيده فيما بقيت لنا الأيام معه - رحمه الله - وأضيف أنه استعار مني كتاباً بعنوان (الموسوعة الشعبية الكويتية) وهو من جزأين، إهداء الصديق الصدوق سعيد سالم باصميدي العوبثاني، وقد طالت الإعارة طويلاً وعمرت قرابة عقد ونصف العقد ولم تنته إلا بموت الشاعر- رحمه الله-، وربما يقول لي أنك لا ترجع ما تستعيره مني وهذه لم تكن إلا واحدة، وقد أعاده لي صهره الدكتور هادون علي العطاس وهو من أصهره في صغرى بناته، ولم يضع كتابي هذا فقد ظل مع أمثاله من كتب يفضل المحضار أن تكون قريبة منه ينهل من ينابيعها ما عن له ورغبه. لكن كتاباً واحداً جدير لأن يكون بمكتبة المتحف الخاص به وقد أهديته للمتحف ولعلي أكتب عنوانه وإهداء مؤلفه للمحضار إن شاء الله.

الفصل الثاني

الافتتاح:

أشرنا فيما سبق بأن المؤرخ خميس كرامة حمدان هو الوحيد الذي كتب عن افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر، وهذا ما وقع تحت أيدينا، وذلك في كتابه الموسوم بعنوان (الشحر عبر التاريخ)، وإن كان ما كتبه لا يروي غلة، وفي عبارة مضغوطة وموجزة فإنه مشكور، فقد أثاره هذا الفصل الجميل وعده منارة ثقافية عالية، وحسنة سلطانية يستحق عليها السلطان الشكر الجزيل، ولعلنا نشتم منها شعوره وأمله بأن تكبر هذه المكتبة لتصبح المنارة الثقافية في البلد ومن يسكنها ومن يجاورها.

وكنا قد كتبنا كل ما أثارنا مما كتبه حول افتتاح المكتبة في رسالة شخصية وجهناها إليه تضمنت عدة أسئلة، فلم يزد جوابه على ما ورد عن المكتبة وافتتاحها في كل ما كتبه ونشره، ومنه قوله: إن نظارة المعارف قد عمدت الشيخ عبد الله سعيد باعنقود، كي يعد برنامج الاحتفال بالافتتاح.

ويبدو أن الشيخ باعنقود قد عين أميناً للمكتبة السلطانية بالمكلا خلفاً للشيخ عبد الله سالم باعشن بعد رحيله إلى الحجاز (الفكر، باوزير٩٩) ونحن لا نعرف شيئاً عن عبد الله هذا ولا تاريخ تعيينه، لكن قيل لنا أن الجالية الحضرمية بالمملكة العربية السعودية قد رأت أن ترشح هذا الشيخ ليكون ممثلاً للسلطان في موطن هجرتها كالسفير مثلاً، ولم أعلم ما تم بعد ذلك.

وقد ورد عند الشيخ سعيد عوض باوزير في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي) قوله: (وكان الأستاذ عبد الله سالم باعشن أول من وضع نظام الترقيم والتسجيل في هذه المكتبة، وقوانين المطالعة والإعارة في هذه المدرسة) ص٢١٩، ولكن الأمر قد صحح في الطبعة الثانية من الكتاب التي صدرت في عام ٢٠١١م عن مطبعة وحدين الحديثة بالمكلا ـ حضرموت فجاء الصحيح هكذا: (أثناء عمله في هذه المكتبة).

الشيخ عبد الله باعنقود:

لم تذكر المقالات والكتابات التي بين يدي شيئاً عن تاريخ ولا مكان ميلاد هذا الرجل، ويفيدنا الأستاذ محمد مديحج في كتابه (الأم) أن دراسته تقليدية، وعلى أيدي الشيوخ ومنهم الكلالي، ونظن أنه الشيخ سالم مبارك الكلالي صاحب قرية تبالة الذي فتح كتاباً مشهوراً، وهو من أساتذة مدرسة مكارم

الأخلاق الأهلية بالشحر في ١٤ نوفمبر ١٩١٨م، فلا نعلم إن كان الرجل من هذه البلدة أو ما جاورها، ومع أن هذا الأمر لا يشكل أهمية في ترجمته، إلا أن العلم بالشيء خير من الجهل به.

وعائلة آل باعنقود منتشرة في حضرموت الساحل والداخل، ويكفي أن نقول أن الشيخ عبد الله سعيد باعنقود من أهل الوبر، وهؤلاء كما تشير وثائق الأنساب ينتمون لفخائذ كندة.

وخلاصة القول أن الشيخ باعنقود من أهل المكلا، وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى فإننا نعلم أنه بدأ حياته العملية موظفاً لجمع الرسوم المفروضة على الدكاكين الصغيرة والبخاخير الكبيرة، أي دكاكين الجملة، ثم عمل في التجارة ثم كاتباً في القضاء ثم مدرساً في مدرسة آل الدباغ السعوديين الفارين من أمام جحافل جيوش موحد الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود (١٨٨٠ ـ ١٩٥٣)، سافر إلى عدن ليعمل هناك مع أحد التجار، ثم عاد بعدها إلى المكلا وإلى سلك التدريس، وفيه تدرج حتى أصبح مساعداً لناظر المعارف بالحكومة القعيطية، وإماماً بمسجد الروضة بحي البلاد وخطيباً به، ويذكر أنه كان يلقي دروساً في الفقه الإسلامي، وأصبح الرجل ملء الأسماع علماً وثقافة وإصلاحاً وأخلاقاً، وقد تم اختياره معلماً بالمدرسة الوسطى بالمكلا التي فتحت أبوابها للعام الدراسي (٤١ ـ ١٩٤٢م) وكان في رئاستها.

وقد انتقلت المدرسة الوسطى بكاملها في شهر مايو ١٩٤٤م إلى مدينة غيل باوزير وكان الشيخ عضواً في هيئتها، فتولى بجانب أعماله التعليمية والتدريس مسئولية الغذاءات، أي مسئولية ضابط الداخلية للطلبة المنقولين من المناطق الأخرى، فكان نعم الاختيار. (الأم، محمد مديحج)

وكان للرجل الدور الأكبر في مصلحة المعارف خاصة في نيابتها، فكان مسؤولاً إدارياً ومالياً وفنياً وبالجملة كان مرجعاً يستفاد منه، وكان له السبق في إحياء ليالي التربية والتثقيف والترفيه بين الطلبة، حيث قدم المسرحيات وكتب المنولوجات الهادفة.

وإضافة إلى كل هذا فإنه يعد من الرعيل الأول من الإعلاميين فهو أول رئيس تحرير صحيفة حضرمية مطبوعة وقد نشر العدد الأول منها في يناير ١٩٣٩م وهي صحيفة (المنبر) الشهرية.

وقد كلف بأمانة المكتبة السلطانية بالمكلا بعد أن سافر أمينها عبد الله سالم باعشن، قال المؤرخ عبد الله أحمد الناخبي (ت ٢٠٠٧/٦/١م): (عرفته ما بين عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) وعام ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م)).

والعامان المذكوران من سنة المعرفة إلى سنة الانتهاء مهمان في حياة الرجلين، ففي عام المعرفة عين السلطان صالح الشيخ الناخبي أميناً عاماً للمكتبة السلطانية بالمكلا، وقد استلمها من الشيخ عبد الله سعيد باعنقود، لأن الشيخ باعنقود ترك مسئولية المكتبة بعد أن صحب هيئة المدرسة الوسطى إلى الغيل في مايو ١٩٤٤م، وذلك عند نقلها، وعام الانتهاء من المعرفة هو عام وفاة الشيخ عبد الله سعيد باعنقود - رحمه الله- .

وجاء خبر وفاة الشيخ باعنقود بالعدد (٣٣٠) من صحيفة الطليعة المكلاوية الصادر في ٢٣ شعبان ١٣٨٥هـ = ١٦ ديسمبر ١٩٦٥م ونصه: (إلى جنة الخلد، بمزيد من الحزن وبالغ الأسى ننعى فقيد العلم ومربي الأجيال المغفور له الشيخ عبد الله سعيد باعنقود الذي توفاه الله فجر يوم الثلاثاء (أمس) بعدن، تغمد الله الفقيد الراحل بواسع رحمته وألهم أولاده وذويه الصبر والعزاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون).

وبهذا يكون يوم رحيله هو الثلاثاء ١٤ ديسمبر ١٩٦٥م = ٢١ شعبان ١٣٨٥هـ، وقد نعته إدارة المعارف بالمكلا وأقيم بذلك حفلاً تأبينياً جاء خبره بالعدد (٣٤٢) الصادر في ١٧ مارس ١٩٦٦م.

رحم الله الرجل فقد كان رجل دين وعلم وأدب وثقافة وإعلام، وكان شخصية حافلة بكل ما ينتظر من عالم متعدد المواهب والصفات وبمثله تعتز حضرموت وتفتخر.

إنك لتعجب من أمر هذا الرجل الذي بارك الله في وقته وعلمه فهو يقوم بكل ذلك مع أمانة المكتبة السلطانية بالمكلا، وكان قد خلف عبد الله سالم باعشن الذي هاجر إلى الحجاز، وحتى أن ترك الأمانة لأخيه الشيخ عبد الله أحمد الناخبي في مايو ١٩٤٤م، مصاحباً هيئة التدريس بالمدرسة الوسطى التي انتقلت برمتها إلى مدينة الغيل.

باعنقود ومكتبة الشحر:

في هذه الفترة التي استمر فيها الشيخ عبد الله سعيد باعنقود أميناً للمكتبة السلطانية بالمكلا، كلفه السلطان صالح نفسه لتأسيس مكتبة الشحر، ولهذا أعد العدة لترتيب أمرها وجميع محتوياتها من كتب ودواليب وأدوات خشبية من كراسي وأمياز، وأدوات الإنارة وأدوات الشرب، وإصلاح الحمام ومده بالماء، وكان السلطان هو الذي قام بشراء الكتب وربما ساعده غيره فليس لدينا علم بهذا، لكن لدينا خبر بأن الشيخ باعنقود هو من قام بوضع كشف بأسماء الكتب العربية، وكلف الأستاذ عبد الرحمن خان مدير جمرك الشحر وهو مسلم هندي الجنسية بكتابة أسماء الكتب الأجنبية، انجليزية وأوردو، قال الشيخ حمدان واصفاً كل ذلك: (وبعد إكمال إعدادها حضر عظمة السلطان لفتحها رسمياً، واحتفل بالفتح مساءً

بمقر المكتبة وألقى السيد العطاس كاتب نائب الدولة، كلمة قيمة رحب بالسلطان ثم قدم شكر أهل الشحر لفتح هذا المشهد العلمي وشكر لفاتحها الحسنة التي لا ينساها أهل الشحر وجميع طلبة العلم) (خميس حمدان، الشحر عبر التاريخ ص١٠٧)

ونحن لنا ملاحظات على هذا الجزء المقتضب من المختار مما كتبه المؤرخ حمدان في عنوان جانبي (المكتبة السلطانية بالشحر) فقد ذكر أن عام الافتتاح هو عام ١٩٤٢م، وذكر المكان الذي تم اختياره لها هو منزل (آل برمضان).

فقد قدم لنا الأستاذ التربوي محمد سعيد أحمد بخضر صورة لمنزل الشيخ سالم محمد برمضان (بن رمضان) المكون من شقتين علويتين، بحرية جنوبية وأخرى شمالية نجدية، وكان الأستاذ بخضر قد سكن الشقة الشمالية أما الشقة البحرية الجنوبية فقد جعلت مقراً للمكتبة السلطانية فترة من الزمن، بعدما شاهدها ووافق عليها السلطان صالح نفسه، وتتكون هذه الشقة من غرفة واسعة طولاً تفتح على طاقتين أو ثلاث على الجهة البحرية، أما عرضها فصغير مقابل ماد طويل فضاء على ثلاثة عكوف جنوبية أيضاً، وتدخل عليها من درج يبدأ من مدخل البيت الأمامي، وخلف الشقة بهو يدخلك إلى مصالح البيت من حمامات ومطبخ وخزانة. والباب الثاني عند مدخل البيت أي السقيفة يؤدي إلى مدخل البيت سفلاً وهو بمثابة مستودعات لأصحاب الدكاكين حيث يقع البيت برمته في وسط السوق.

وكان الأستاذ بخضر يجاور الأستاذ عبد الواحد منصور النوبي أحد القصارين المشهورين بالشحر، وكان يضرب به المثل في نظافة ملابسه البيضاء المنيلة، وقد سكنه مع زوجته وقد أنجب ولداً واحداً هو سعيد عبد الواحد الذي عمل جندياً بإدارة المرور بعاصمة المحافظة المكلا.

ومن الأخطاء التي يمكننا أن نأخذها على المؤرخ حمدان هو ورود اسم من ألقى كلمة الافتتاح (هارون العطاس) وعدم الاهتمام بذكر تفاصيل مراسم الحفل، ومن كان حاضراً لهذا الحفل من أعيان مدينة الشحر ومن شارك بإلقاء الخطب والقصائد وغير ذلك، وبالطبع فإن هذه الإملاءات مبعثها وسببها قوله: (وكنت حاضراً) وسوف نقول شيئاً عن ذلك فإذا كان قد كتب ترجمة لنفسه وبقلمه أرسلها إلى لجنة إعداد كتاب مدرسة مكارم الأخلاق (ثمانون عاماً من العطاء والجهد) وأشار فيها أنه من مواليد عام ١٩٣٢م فقد حضر الافتتاح وكان عمره عشر سنوات، وليس من حقنا مطالبته بذكر كل ما وقع في ذلك الاحتفال لكن قوله هو الداعي لهذا الأمر.

ومن ذلك ما كتبه حمدان (وألقى السيد هارون العطاس كاتب الدولة كلمة رحب فيها بالسلطان.. وقدم شكر أهل الشحر) فمن هذا الرجل الذي اختاره الشيخ باعنقود ليلقي كلمة نيابة عن أهل الشحر؟

لقد وجدنا اسم الرجل مذكوراً في هيئة المدرسة الوسطى التي افتتحت بالمكلا وقد وضع الأستاذ محمد سعيد مديحج جدولاً لهيئة المدرسة للفترة التي استمرت فيها المدرسة بالمكلا منذ الافتتاح وحتى تم نقلها إلى غيل باوزير أي في العام الدرسي ١٩٤١ – ١٩٤٤م ويضم الجدول الآتي أسماءهم:

١- عبد الله سعيد باعنقود.
٢- هارون العطاس.
٣- أبوبكر بلفقيه.
٤- إبراهيم سوجان (هندي).
٥- عوض عثمان مكي (سوداني).(مديحج، الأم ص ٥٠)

وعلى هذا فإن الشيخ باعنقود يعرف العطاس تمام المعرفة فهو يعمل معه في هيئة المدرسة ولما جئنا للتعرف عليه لم نفز بطائل.

نعم تكرر اسمه في أكثر من مكان، ورد اسمه عند ابن هاشم في (ص٦٣) من كتابه (رحلة إلى الثغرين) قال: «وعشية الاثنين أقامت مدرسة الحق السلفية التي يديرها صديقنا السيد هارون محمد العطاس حفلة شائقة..» وكان هذا في ١٩٣١/١٠/٢٥م.

وجاء اسمه عند الدكتور محمد عبد القادر بافقيه في (شيء من تلك الأيام) السلسلة التي كان ينشرها بصحيفة الأيام العدنية قال: «وقد قطعت المساعدات عنها - وهو ينقل عن ابن هاشم ومن كتابه السالف الذكر- وكانت المدارس الخمس كل منها يحصل على مساعدات مالية قليلة من الحكومة.

وبلغنا أن السلطان أمر بقطع المساعدات عن مدرسة الفلاح وأنه مزمع على قطعها عن الباقيات، ما عدا المدرسة السلطانية التي نسبت إليه ومن المؤسف له أن مدرسة الفلاح وهي المدرسة الوحيدة النظامية والمدرسة الأولى من نوعها الداعية إلى الوطنية والحماس القومي.. ويظهر أن مدرسة الحق اختفت هي الأخرى حين ذاك، لأن مديرها السيد هارون العطاس كان مديراً للوطنية حين التحقت بها..» (انظر عدد ١٠٥ الصادر في ١٩٩٢/٢/١١م).

عند ذلك سألنا أحد نسائب آل العطاس، فكان جوابه وهو المسئول عن هذه المعلومة: (لا يوجد في آل العطاس من يسمى هارون) وهو بهذا يرى أن الاسم ربما جاء خطأ والصحيح هادون واتباعاً لهذه المعلومة وجدنا بغيتنا.

هادون أحمد العطاس وليس هارون كما جاء عندنا نقلاً عن الأساتذة خميس حمدان، محمد مديحج، ومحمد بن هاشم ومحمد بافقيه، والرجل من مواليد بلدة المشهد الحضرمية عام ١٣٣٧هـ

(١٩١٨م)، رحل إلى العراق لطلب العلم وعاد إلى حضرموت وعمل بحقل التدريس، فكان عضو هيئة التدريس بالمدرسة المتوسطة بالمكلا ورافقها في نقلتها إلى الغيل وعين في بعض المناصب الحكومية في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي. (ابن عبيد الله، إدام القوت، ت باذيب هـ ص ٧)، لكن ضياء محقق كتاب شمس الظهيرة يقول: «كان حاكماً في مناطق حضرموت» ج٢٦٣/٢، وينفرد المؤرخ حمدان بالقول: «كاتب نائب الدولة» (الشحر في أدوار من تاريخها ص ١٠٧).

والأستاذ هادون مؤرخ وباحث في التراث المحلي، له مؤلفات ومقالات وأبحاث علمية، علاوة على كتابه المطبوع (عاد في التاريخ) وكان الرجل حريصاً على كتابة اسمه صحيحاً فقد جاء بالصفحة الثانية من مقدمة الكتاب (عاد في التاريخ) اسمه الصحيح، ففي هامش نفس الصفحة كتب: (هادون، بالدال المهملة لا بالراء) تأكيداً على صحة اسمه الوارد على وجه الكتاب، قال الشيخ حمد الجاسر في المقدمة مادحاً مؤلفه (فقد تناول الموضوع تناولاً يدل على سعة اطلاع) وهذا يتوافق مع ما جاء عنه عند الأستاذ مديحج الذي قال: (كان مثقفاً ثقافة عالية).

هاجر العطاس إلى الحرمين الشريفين، وفضل العيش بمكة المكرمة عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م)، وتوفي بمكة يوم عرفة التاسع من ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق ٦ إبريل ١٩٩٧م.

من كل ذلك نرى السبب الذي جعل الشيخ باعنقود يرشح الأستاذ هادون العطاس ليلقي كلمة افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر ويرحب بالسلطان الحاضر ويشكره نيابة عن أهل الشحر.

ورغم هذا فإني أرى أنه كان عليه أن يرشح أحد الشيوخ أو الأساتذة من أهل الشحر، فهل عُدم أمثال العطاس أو ما يشبهه ليمثل أهله أمام السلطان فربما كان لهم ما لا يعرفه العطاس من أمور يجهلها هو أو من سيتولى مثل هذه المهمة، وللسائل الحق أن يسألني من أرشح من أهل الشحر ممن أرى أنه أجدر للقيام بالمهمة؟ وسوف نرى الجواب في من أرى أنهم يستحقون أن يدعو إلى حفل الافتتاح وأي واحد منهم يكفي لأداء هذه المهمة.

كيفية الحفل:

لم يبين الأستاذ المؤرخ خميس حمدان كيف تم الاحتفال، وما هي نقاط برنامجه، كيف بدأ وكيف انتهى؟ فعندنا قد مر وصف الأستاذ محمد سعيد بايعشوت ما تم في الحفل الذي أقيم عند إنشاء المكتبة السلطانية بالمكلا، فقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم وألقيت به كلمات وقصائد، وحضره نائب السلطان علي بن صلاح بن محمد القعيطي (انظر كتاب السلطان علي بن صلاح).

ونموذج آخر يمكننا أن نراه عند افتتاح النادي الأهلي بالشحر، وقد جاءت صفة الحفل في الصفحة ٧٨ وما بعدها من كتاب النائب عبد الخالق عبد الله البطاطي (إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع وحضرموت) في أوائل شهر المحرم ١٣٥١هـ الموافق مايو ١٩٣٢م.

وعلى هذا النسق يمكننا أن نتخيل ما حدث في حفل افتتاح مكتبة الشحر، والنقد بلطف وأدب واحترام نوجهه للمؤرخ خميس كرامة حمدان الذي قال أنه حضر هذا الحفل.

إن عبارة الشيخ خميس وقوله: (وكنت حاضراً) سببت لنا إرباكاً تاريخياً، وفيها مآخذ عليه حيث أنه لا يضبط الحوادث التاريخية ولا يحقق زمنها بالدقة ذاكراً الأيام والشهور والسنين، ففي الأوجه الأخيرة من كتابين من كتبه وهي:

- الشحر في أدوار من تاريخها.
- الإيجاز في هجرة الحضارم إلى الحجاز.

يؤرخ ميلاده بالهجرة ١٣٦٠هـ وهذا يوافق عام ١٩٤١م. فإذا حاولنا مقارنتها مع تاريخ افتتاح المكتبة عام ١٩٤٣م يكون حضوره وعمره سنتان، وهذه منقصة تاريخية. ولكنه كتب تاريخ ميلاده على الوجه الأخير لكتابه (مدرسة مكارم الأخلاق...) عام ١٩٢٩م وهو أقرب إلى الصحة من وجهة نظرنا. فإنه بهذا يكون قد بلغ الثالثة عشر من عمره، وللقراء الحق في طرح السؤال التالي: كيف لنا أن نغض الطرف عن حضور الآخرين ونؤكد على حضور هذا الفتى الغر؟ ولكن ليس لنا مندوحة من ذكره لأنه قال: إنه حضر هذا الحفل في رسالته إلينا المؤرخة في ١٢ يناير ١٩٩٦م وفيها اعترف بأنه كان أحد المنشدين من قبل مدرسة مكارم الأخلاق بمعية عقيل سعيد إسحاق، وصالح عمر بن سلم (انظر ترجمتهما في هذا الكتاب).

لقد كان الشيخ خميس في مثل هذا السن طالباً بالمدرسة وربما في الصف الأخير منها، ولهذا لم يستطع أن يتذكر التفصيل الذي جرى عليه الحفل ومن حضر ومن لم يحضر، عندما فكر في تأليف كتابه (الشحر في أدوار من تاريخها).

وقد تلقطنا أخبار الحفل ومن حضره من هنا ومن هناك، وأصبح مؤكداً لدينا أن الشاعر محمد عوض بامختار قد حضر الحفل وألقى قصيدة بهذه المناسبة، وقد مرت معنا في الباب الأول من هذا الكتاب، وحضر الشيخ عبد الله سعيد باعنقود وهو من نظم المكتبة ثم الحفل، وهو أيضاً من احتفظ بقصيدة بامختار في أرشيفه الذي اطلع عليه وعلى مكتبته الدكتور أحمد هادي باحارثة، وأهدى لنا نسخة مصورة منها يشكر عليها وقد تم نشرها في الصفحات الأولى من هذا الكتاب.

ولم يبعد بنا الخيال كثيراً إذا قلنا إن الشيخ خميس حمدان قد حضر الافتتاح منشداً، ولم يكن في باله أنه في يوم قادم سيكتب تاريخ مدينته الشحر ومنها المكتبة السلطانية وافتتاحها وتفاصيل ذلك.

حضور السلطان وأهميته:

سنستعين بالمؤرخ الشيخ مبارك صالح لرضي (الأرضي) (انظر ترجمته هنا) الذي كتب في مذكرته أو مدونته التاريخية قائلاً: «في يوم الخميس ١٩ ذي الحجة ١٣٦٢هـ وصل السلطان صالح بن غالب من المكلا ومعه مسلم بالعلا وباصديق، وعبد الله الخريصاني وعبد اللطيف، وتوجه إلى الغيل. وفي ٢٠ ذي الحجة ١٣٦٢هـ استأجر بيت برمضان (بن رمضان) لأهل العلم» وهذا يوافق ١٦ و١٧ من شهر ديسمبر ١٩٤٣م، ونظن أن وصول السلطان والوفد المرافق له يوم الخميس إنما كان بغرض مشاهدة الموقع المختار للمكتبة، ويبدو لنا أنه وافق على المكان، وقد تحرك تواً إلى مدينة الغيل. وفي اليوم التالي تم توقيع الاتفاقية في يوم الجمعة ١٧ ديسمبر ١٩٤٣م. وفي الأيام التي تلت ذلك تمت التهيئة لإقامة الافتتاح، وعلى مدى أربعة أو خمسة أسابيع تم الاحتفال. فقد ذكرت صحيفة (فتاة الجزيرة) بأنه قد تم في الأسبوع المنصرم أي ما بين ٢٤-٢٧ من ديسمبر ١٩٤٣م افتتاح المكتبة بالشحر وحضره السلطان بنفسه.

إن حضور السلطان هذا الحفل أعطى أهمية قصوى ليس للحفل فقط ولكن للمكتبة وأهمية هذا الفعل الحميد، وشكل إعلاماً كبيراً لأهمية الحدث نفسه. ومن المؤكد أن حضور السلطان بنفسه للحفل له أهمية خاصة عند السلطان على الأقل.

وهذا يعني أن يحضر هذا الحفل المسئولون في الدولة والأعيان في البلد والشيوخ والأساتذة إضافة إلى أصحاب المصالح والمتنفذين والمتطفلين، ولكننا لم نطلع إلا على ما ورد عند المؤرخ الأرضي فقط، وهم المرافقون للسلطان وهم:

مسلم بالعلا:

وهو من أهل القطن، كان في يوم مضى قائماً للدولة بغيل باوزير فهو من رجال الدولة القعيطية، ورغم ذلك فلم يعجب حكمه أحد الشعراء العاميين فقال:

مسلم بالعلا في الحصن لزهر وحكمه من هنيه لا هنيه

والحصن الأزهر، هو الحصن الذي بناه الأمير منصر بن عبد الله القعيطي الذي حاول أن يستقل بالأمر في الغيل وأن يستقل أخوه حسين بأمر الشحر في قضية الخلاف الذي حدث بين الحكام القعيطيين،

الـذي أسـماه المـؤرخ صـلاح عبـد القـادر البكـري فـي الجـزء الثـاني مـن كتابـه (تـاريخ حضـرموت السياسي):«الخلاف بين أعضاء البيت المالك» وقد استمر هذا الخلاف ما بين ٢٥ نوفمبر ١٨٨٨م إلى ٢٥ نوفمبر ١٩٠٢م.

وقد عينه السلطان عمر مديراً للإدارة المالية بالمكلا ومساعده محفوظ علي وحدين وسالم أحمد باصديق (عبد الخالق، إثبات ما....ص٥٢)، وعلى أي حال فإنه عضو في مجلس الدولة، وقد أشار السلطان غالب الثاني آخر سلاطين الدولة القعيطية في كتابه (السلطان يتذكر) إلى الرجل في قوله: «الذي بدأ حياته العملية في قصر السلطان غالب ومن جاء بعده وحتى والدي السلطان عوض بن صالح كمدير لشئون القصر قبل إحالته للمعاش» ص٢٠.

باصديق :

هو الشيخ سالم عمر باصديق وهو من أهل المكلا، وكانت رتبته الرئيسية نائب السكرتير، وقد قام بدور السكرتير الأول أثناء التنقلات وعند إعفاء أي سكرتير، وحتى يتم تعيين السكرتير الجديد، وقد ورد اسمه في حادثة القصر، وتردد أنه كان مرشحاً لأن يكون السكرتير الوطني الذي طالب به النادي الثقافي في المكلا وجماهير البلد، لكنه قال فيما بعد: «إن السلطان أوعز للبعض أن يقوم بترشيحه» وقال: «إن السلطان صالح لا يثق في أحد».

ويذكر المؤرخ الأرضي في مدونته التاريخية، بأن الشيخ سالم عمر باصديق نائب الدولة، النائب عن الوزير السوداني سعيد القدال قد توفي يوم الثلاثاء ٢٣ رجب ١٣٧٢هـ الموافق ٧ إبريل ١٩٥٣م.

عبد الله الخريصاني :

لم أهتد لهذه الشخصية ومن تكون وما أهميتها للسلطان صالح ليكون مرافقاً له، ولما سعيت للبحث في كتب الباحثين عن سكان المنطقة وجدت عائلات تقترب من هذا الاسم مثلاً: عائلة (خريص) ومنهم الشاعر العامي الغيلي عبد الله عمر خريص وخطيب جامع الشحر عمر عوض خريص، وعائلة تعرف بآل (خريصان) ومنهم صديقي عازف الكمان الشهير فوزي خريصان، وأسرة أخرى باسم (باخريصة) ومنهم المغني الشعبي المشهور، وكلها أتت من الفعل (خرص) وهو الذي يقوم بخرص خريف التمر أي يقدر كمية ما بروس النخيل من تمر، كي يتم خصم منه كمية الزكاة وما يخص من اعتنى بالنخلة وقام بعملية التأبير أي التفخيط/التلقيح، ولكن هذا الرجل اسمه (الخريصاني)؟ وقد جعلني هذا أن أدرج على اسم (الخروصي) العماني وكان موجوداً في تلك الأيام، أيام السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي وثق الأجانب في رئاسة مفاصل الدولة، ومنهم على سبيل الذكر الوزير السكرتير سيف

البوعلي. ومن يرغب في المزيد من المعرفة عنه ينظر إلى كتاب (شهداء القصر) للأستاذ أحمد عوض باوزير، وكتاب (الشيخ القدال باشا، معلم سوداني بحضرموت) لابنه الدكتور محمد سعيد، منهم نائب لواء شبام، ولكن هذا النائب باسم محمد سعيد الخروصي، جاء هذا عند عبد الخالق البطاطي في كتابه (إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع وحضرموت) وجاء أيضاً عند الدكتور القدال في كتابه السابق الذكر (القدال باشا...) وتحت عنوان باب الحكام الأجانب في حضرموت ص٩٢، وقال: «كانت أغلب المناصب المهمة في أيدي الأجانب. وقد فصلها أحدهم في (فتاة الجزيرة)، فذكر أن سكرتير الدولة من زنجبار وناظر المعارف من السودان، وناظر الجمارك من الهند وقادة الأمن والشرطة من شرق الأردن، ونائب لواء حجر من زنجبار. وهناك رئيس محكمة الاستئناف ومدير الجمارك وناظر السجون من الأجانب أيضاً. وقد وجد التذمر من الأجانب طريقه إلى الأدب الشعبي، فهناك أبيات تتحدث عن الزنجباريين على الدولة، حيث كان رئيس الحكومة (البوعلي) ونائب لواء حجر (الخروصي) من زنجبار، تقول الأبيات:

الخروصـــي قـــال نـــا زنـــدي قـــوي

عـــا خـــزى الســـلطان هـــو والمستشـــار

والمكـــــلا حقنـــــا يـــــا بـــــو علـــــي

والزبينـــــة حجـــــر تســـــقي زنجبـــــار

عا خزى السلطان: إغاظة في السلطان ومستشاره. وخلاصة الأبيات أن خيرات حضرموت تذهب إلى زنجبار» ص٩٢.

عبد اللطيف:

لم أستطع التعرف على هذه الشخصية لكن المؤرخ الأرضي قال ذات مرة: «ومعه عبد اللطيف الهندي حقه» ولم يزد على هذا، ولم أستطع أن أحدد، هل كان خادمه أم طباخه أم ماذا؟

وأفاد زميلنا الأستاذ عبد الله أحمد بن طاهر باوزير بأن هذه الأسرة قد هاجرت من زمن بعيد إلى الهند، وربما تكون يافعية فهي من الأسر الضائعة أنسابها، ولها علاقة بأسرة الحاج عمر بن عوض بن عبد الله القعيطي (اللنجرا) مؤسس السلطنة القعيطية بحضرموت، وكذا أولاده وأحفاده، وعندما غادروا برفقة السلاطين عدهم الناس هنا من الهنود، وهذا لا يستغرب فقد كان الناس في حضرموت يعتبرون السلاطين من آل القعيطي هنوداً. قال أحد الشعراء العاميين: «هندي ولا نفهم رطينه». وفي

وثائق الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف ما يثبت قول الأستاذ عبد الله بن طاهر في أنهم من يافع، لكن الأستاذ - رحمه الله - لم يعين من أي مكتب يرجع هؤلاء.

ومن محاسن الصدف أن يزورني زميلي بالمدرسة الثانوية بجدة (مدرسة الشاطئ) مساء يوم ١٥ رمضان ١٤٣٩هـ الموافق ٣١ مايو ٢٠١٨م ووجدت الفرصة أن أقرأ له ما كتبت، وكنت حينها في دور تصحيح الكتاب، فردني للصواب وقال: (كما قال لنا أجدادنا نعود بنسبنا إلى إحدى فروع قبائل نهد وكانت محلتنا بالقرية التي تعرف بالمخيتيق) فشكرته وسجلت ما ورد عنه وبلسانه.

ولم يدون المؤرخ ولم يذكر حراسة السلطان من العسكر، وليس لنا من حضورهم أية فائدة في حالة الافتتاح إلا بزيادة عدد الحضور في المكان المحصور، ولنا أن نسأل أين المسئول الأول في إدارة اللواء؟ وكان حينها النائب محمد محفوظ الكسادي (انظر ترجمته هنا) وهو من أهل مدينة الحامي الذي عين بدلاً من النائب الشيخ عمر بن صالح بن الشيخ علي في ٢٣ ذي الحجة ١٣٦١هـ (١٩٤٢/١٢/٣١م) ومكث نائباً على اللواء حتى يوم ٦ صفر ١٣٦٣هـ (٣١ يناير ١٩٤٣) وقد خلفه النائب الشيخ عمر بن سالم القعيطي.

ولا يمكنني أن لا أجد الوجيه الشاعر الأديب صالح بكار باشراحيل، وقد كان رئيس اللجنة التي تشكلت هنا في الشحر وتابعت فكرتها في تأسيس مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية التي فتحت في ١٠ صفر ١٣٣٧هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٩١٨م، فهو عضو لجنة ثقافية، ولم يذكر أحداً من أعضاء هذه اللجان لا الأولى ولا الثانية من الحضور في حفل الافتتاح في ذلك المساء في بيت برمضان المقر الأول المختار للمكتبة السلطانية بالشحر، ولم يذكر مدير جمرك الشحر الأستاذ عبد الرحمن خان الهندي الأصل وهو الذي انتدبه أو كلفه أو طلبه الأستاذ باعنقود لكتابة أسماء الكتب الأجنبية بالمكتبة، فمن كان قد دعي لحضور هذا الاحتفال من أساتذة مدرسة مكارم الاخلاق وكنا نعتقد أن مديرها على الأقل السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبوبكر سوف يكون ولا شك على رأس الحضور.

وفي حديث مع الزميل العزيز الأستاذ عبد الله أحمد بن طاهر باوزير أشار بأنه كان بصحبة الدكتور أحمد هادي باحارثة لزيارة مكتبة المرحوم بإذنه تعالى الشيخ عبد الله سعيد باعنقود، وقال: لعلي أتذكر بأني رأيت نسخة أو أكثر من نماذج الدعوات التي وجهت للأعيان لحضور الافتتاح لكني لم أعط الأمر اهتماماً، فضاعت منا جميعاً تلك النماذج.

وفي الحقيقة كلنا لا نحتفظ بهذه الدعوات ونفعل هذا الأمر إلى يومنا هذا، ولنا أن نضع تصوراً للحفل وما تم فيه ومن حضره.

أهمية حضور الحفل:

إن الدعوة المميزة لحضور الحفل تعطي الحدث أهميته من حيث العلم بالمشروع نفسه وضرورة الاهتمام به من قبل صاحب الدعوة، وانعكاس الاهتمام هذا على أصدقائه وزملائه في الحقل الذي يعمل فيه وكذا أسرته ومعارفه، وعلاوة على أهمية الحدث ضرورة زيارة موقع الدعوة وأثره فيهم، وهم بدورهم سوف ينقلون هذه الأهمية لمن يدور في فلكهم وهكذا دواليك، وهي وسائل دعاية وإعلام في تلك الفترة التي لا إعلام فيها ولا صحف ولا مجلات ولا إذاعة ولا تلفزيون ولا أي وسيلة من الوسائل المستجدة كالملصقات الجدارية والمنشورات، ولم يكن لنا إلا أن نميز الشعراء الذين تنتشر قصائدهم بين الناس لكننا لم نستطع أن نؤكد على أسماء من حضر ولا عددهم لهذا الحفل الذي نعده مهماً لهذا الحدث بالذات، وعلى هذا نظن بأن عدم الاهتمام من قبل أصحاب المهمة عكس نفسه على عدم الاهتمام من هؤلاء الحضور من الأعيان من أهل المدينة بأمر الكتاب والمكتبة والقراءة والاطلاع على وجه العموم. وكنا نتوقع العكس وهو الحدث من قبل الجميع للجميع وخصوصاً الطلبة والراغبين في طلب العلم لزيارة المكتبة ومحتوياتها، فإن الحضور الكثيف والمتوالي سيخلف عادة القراءة ومصاحبة الكتاب الذي سيحقق المقولة الشهيرة (وخير جليس في الزمان كتاب).

لكن الذي حصل أن أهملت القراءة والكتاب والمكتبات، أياً كان فرعها ومكانها وحتى الأهلية منها والمنزلية، وكذا المكتبات التي توزع الكتاب وتسمح بقراءته مجاناً، وعلي أن أقول إن عمري اليوم يزيد على السبعين عاماً ولم أسمع يوماً من الأيام أن قام داعية أو متحدث في الساحات العامة أو المساجد وخطب الحضور على زيارة المكتبات والحث على اقتناء الكتب وضرورة القراءة وأهمية ذلك، إذ أنها حاملة للعلم والثقافة وهي أهم ابتكارات الإنسانية جمعاء، وقد علّمنا الله سبحانه وأمرنا بالقراءة ومنح أجراً لقراءة القرآن وحث عليها، وليس علينا الاستمرار في جلد أنفسنا فنحن من نفس الطينة، وقد أمرنا الله سبحانه في أول آيات قرآنه العظيم (اقرأ) ولكننا لا نقرأ ولا نحب القراءة ولا نجد من يحثنا على القراءة ويهدينا سبيل الرشاد ويرغب في تقديم الهدايا من الكتب وإشهارها وتمجيد من سلك هذا الطريق والتعريف به واتباعه.

ومن المحتمل أن يكون هذا أحد أسباب عدم زيارة المكتبات، إضافة إلى محتوياتها التي لا تشجع على الحضور، كالمكان غير المناسب والإضاءة غير الكافية وتعامل أمين المكتبة ووسائل الراحة كالكراسي المريحة للجلوس لفترة زمنية أطول، ولكن لم يحدث أن درس أحد منا أسباب عدم ارتياد المكتبات وعدم اقتناء الكتب والرغبة الشديدة في القراءة.

الفصل الثالث

ونحن إذا أخذنا على المؤرخ الشيخ خميس كرامة حمدان عدم استطاعته التذكر عندما جاء ليؤلف كتابه (الشحر في أدوار من تاريخها) أي تذكر تفاصيل ما جرى عليه حفل الافتتاح ومن حضره، رأينا أن هذا ربما سيؤخذ علينا كما أخذناه على الشيخ حمدان.

ومنذ ذلك التاريخ وربما من قبله سعينا في البحث عن أي أوراق أو أي رسائل أو أي دليل على أسماء الحضور لذلك الحفل وقد خرجنا من بحثنا الطويل دون العثور على بغيتنا! ولذلك فكرنا فيما يفكر فيه أمثالنا فقد ألقينا نظرة فاحصة على عناصر المجتمع في مدينة الشحر في النصف الأخير من ذلك القرن العشرين واخترنا منهم من نرى أن يهتم بمسألة الكتاب والمكتبات، فكان منهم الأعيان والوجهاء والشيوخ والعلماء والقضاة والمعلمون وأئمة المساجد وأساتذة المدارس والأدباء والشعراء وذوي الاهتمامات، وقد كبر العدد فاضطررنا أن نفتح لهم باباً مستقلاً من هذا الكتاب.

ولم نتأخر طويلاً في كيفية ترتيب أسماء هؤلاء المدعوين لحضور هذا الحفل ومن منهم سيحتل المرتبة الأولى ومن منهم سيكون في ذيل قائمتهم ولم نهتم بالطرق المتبعة عند قدمائنا في ترتيب الأسماء حسب السلم الاجتماعي في البلد، كما قال سبحانه وتعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات:١٣] أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا فرق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى).

وعلى ذلك كان الترتيب هنا أبجدياً:

أبو بكر سالم باذيب:

وهو من أهل مدينة شبام حضرموت ومن مواليدها عام ١٩١٠م تلقى دراسته التقليدية في كتاتيب المدينة المشهورة شبام وزاد تعليمه التصاقاً بالشيوخ، لكننا لا نعلم عن تعليمه تفصيلاً وعرفناه رجلاً سكن مدينة الشحر وأصبح اسمه معروفاً ولامعاً عند توليه وكالة آل الكاف العلويين الأكثر ثراءً في إندونيسيا وسنغافورا ثم أصبح اسماً مشهوراً في الشحر وشبام بعد أن حصل على ثقة السلطان القعيطي بتعيينه ممثلاً للواء شبام بمجلس الدولة في السلطنة القعيطية بالمكلا الذي صدر قرار بتكوينه في ١٤ فبراير ١٣٥٩هـ الموافق ٨ إبريل ١٩٤٠م.

وللرجل علاقة وطيدة بالمكتبة السلطانية بالشحر فهو من المهتمين بأمرها وكأني به قد كلف من قبل مجلس الدولة وهو عضو فيه بحمل أخبار المكتبة ومراسلاتها وربطها بالمجلس والمكتبة الأم ممثلاً في أمين المكتبات السلطانية بالمكلا إضافة إلى نقل كل ما يتعلق بالمسألة المالية للمكتبة وجلب ما يهدى إليها من مكتبة المكلا من الكتب والمجلات.

توفي رحمه الله عام ١٩٧٣م، وأكثر المعلومات من حفيده عبد الله سالم أبو بكر باذيب.

أحمد سالم مدي:

هذا الرجل من أهل الشحر وهو أحمد سالم سعيد عوض أبو بكر مدي وهو من أسرة قديمة بالشحر مارست الطب الشعبي والعلاج بالأعشاب وأمه فطوم عباد/عبد الله أحمد باهرمز، ومنهم الطبيب الشعبي سالم أحمد باهرمز مؤلف كتاب في الطب الشعبي وقد لاحظنا أن أحمد سالم كان يمارس العلاج الشعبي وخلفه أيضاً ابنه سالم في المهنة الفنية.

ولا نعرف تاريخ ميلاده لكن المؤرخ خميس حمدان يشير إلى أنه أسن من صديقه علي سالم منصور (انظر ترجمته هنا) في كتابه المنارة، وقد درس على كتاتيب الشحر ثم على الشيوخ ثم إن والده صاحب كتاب والكتب لا تخلو من بيته ويبدو أنه ألف كتاباً في الطب الشعبي ربما استفاده لغرض ممارسة الطب، ويعد الرجل من المثقفين المتنورين وكان من شلة الشيخ عوض مطران قرينون وجماعته، وكانوا يرفضون كل الأمور التي يمارسها بعض دعاة التصوف ويرون أنها أدخلت على الإسلام الصحيح.

ولا أعلم أن الرجل قد تولى منصباً بنادي الاتحاد الثقافي الرياضي بالشحر وقد عرفته حينما كان مديراً لتجارة عبد القادر سالم باذيب، وعندما توفي باذيب فتح لنفسه دكاناً صغيراً بالسوق لبيع الأقمشة الخاصة بلبس البادية الساكنين حول مدينة الشحر وأريافها وشرقها، وكان قريباً من الكتاب والمجلات الصادرة على الخصوص من ثمرات المطابع المصرية.

وهو من الجماعة التي استمرت على نشاط نادي الاتحاد الثقافي وكان لهم الأمل في إحيائه من جديد بعد أن انسلخ منه نادي شباب الجنوب رحم الله الرجل فقد توفي بالشحر في نحو عام ١٩٧٧م.

ولا يفوتني أن أذكر أنه كون مكتبة شخصية صغيرة مركزاً على ما يهمه أمره مضافاً إليها المجلات المصرية وكانت تعقد بداره عصر كل جمعة جلسة تضم عدداً من أصدقائه المثقفين المميزين

وكان أكثر ما يدور فيها النشاط الثقافي على العموم محلياً وعربياً علاوة على النقد الاجتماعي وأخبار الإعلام السياسي في العالم العربي.

وقد مارس ابنه سالم المتوفى بالشحر في ٤ رمضان ١٤٣٨هـ (٣٠ مايو ٢٠١٧م) النشاط الطبي الشعبي خبرة عن والده وربما اطلع على تلك الكتب الطبية الموجودة في بيته.

*ربما يكون المسمى كتاب (الطب) الذي حققه عادل باعكيم وربما يكون هو مؤلف كتاب آخر هو المسمى (السيفي) انظر ما كتبه عادل باعكيم.

الوزير أحمد محمد العطاس:

أحمد محمد عمر محمد عبد الشكور العطاس وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٩١٧م وهو ينحدر من أسرة لها مكانتها عند سكان مدينة الشحر وقد عرفت باسم جده فهم آل عبد الشكور.

كان في بدايته طالباً بالكتاتيب المنتشرة بالحي الذي يسكنه ثم انتظم طالباً في مدرسة مكارم الأخلاق، وما إن أتمها حتى وجد الفرصة أمامه للسفر إلى المنامة عاصمة إمارة البحرين برفقة زملائه سالم عبد الله باجبير وناصر عمر مخارش ليكمل دراسته الثانوية، وكان الشيخ عبد الله مصيقر واسطة هؤلاء التلاميذ للدراسة وفي حوالي الأربعين من القرن الماضي عاد من الدراسة فوجد أنه قد تم تعيينه مترجماً ومساعداً لحاكم السوق المدني فضل الرحمن وكان باكستانياً يقيم بالمكلا، ثم تعين مساعداً في إدارة سكرتارية الدولة وذلك بغية أخذ تمرينات على العمل الإداري، ثم حصل على منحة للعاصمة البريطانية لندن لتكملة درس التمارين الإدارية ودراسة الشئون الإدارية وللمزيد من المعرفة، وعند عودته تعين مديراً لميناء الشحر ثم نقل إلى المكلا للعمل الإداري لشؤون الحكم المحلي وعين مفتشاً إقليمياً، وشارك في تحديث النظام عند عمله بسكرتارية الدولة أيام الوزير جيهان خان الباكستاني الجنسية، الذي خلفه العطاس في وزارة الدولة، ويذكر المؤرخ مبارك الأرضي في مدونته المخطوطة قائلاً: (أقيم حفل بحديقة الشحر حضره الوزير جيهان خان وأحمد العطاس وبارحيم وباسويد وبعض أعيان الشحر، وألقيت بعض الخطب بمناسبة تنازل الوزير الباكستاني خان للوزير العطاس وكان ذلك يوم الأحد ٨ ذي القعدة ١٣٨٣هـ الموافق ٢٧ إبريل ١٩٦٤م).

وقد أدار العطاس منصبه الجديد باقتدار وحنكة وصلابة، وقد شهد عصره الانعتاق من رقبة الاستعمار، فكان الشأن أن أطلقت الحريات هنا في حضرموت، وظهرت الحركات الوطنية المختلفة الوسائل والأهداف.

فقد أصدرت الحكومة القعيطية قراراً بإطلاق الحريات السياسية وذلك يوم ١٧ أغسطس ١٩٦٥م، لكن شاءت الأقدار أن تسقط حضرموت بيد الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي في ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م وقت أن كان الوزير العطاس بالقاهرة للعلاج، وعلى إثر سقوط حضرموت لم يعد العطاس إلى بلاده بل ظل متنقلاً بين دول الخليج العربي وجمهورية مصر العربية واستقر أولاً بالكويت ثم بأبو ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد زرته في بيته بمعية الشاعر حسين أبي بكر المحضار حيث أقام على شرفه وجبة غذاء عرفته فيها عن قرب واطلعت على مكتبته الصغيرة والنوعية التي تتصدر غرفة الاستقبال الواسعة وعرفت أنه مصاب بداء السكري منذ أن كان وزيراً لدى الدولة القعيطية.

ولعلي لا أستطيع أن أمر مرور الكرام على ما جاء في كتاب (الشيخ علي بن محمد العماري.. كما يتذكره السلطان غالب بن عوض القعيطي) وهو آخر سلاطين الدولة القعيطية، والذي تم رده على أعقابه معزولاً عن حكم حضرموت من على باخرة نقل أمتعة فور وصوله إلى ميناء عاصمة مملكته السابقة المكلا من قبل رجال الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي، وفيه قد أتى على ذكر الوزير العطاس تحت باب البحث عن وزير ص (٥٢ ـ ٥٨) وفيها: (قال السلطان: «مع العلم بأنني لم أتخذ الخطوة المخالفة للقانون الذي أصدره هو ذاته، أي قانون (إطلاق الحريات) وهدف من ورائه آنذاك إلى تحقيق شعبية لغرض في نفسه وكأن الحريات لم تكن ميسرة للمواطنين من قبل».

ـ في النهاية حين تيقنت بأن وزيري الذي وضعت ثقتي فيه وكنت متأثراً به منذ سن يافعة لن يعود.

ـ ولكم أن تتخيلوا تعجبي عندما غادر وزيري المذكور الذي أودعته ثقتي تاركاً الخدمة بالأسلوب الذي اختاره.

ـ والأمر الذي لا زال يحيرني هو أنه كان بإمكانه أن يقدم استقالته من الوظيفة وأخذ حقوقه مع ثناء وتقدير. فلماذا لجأ إلى هذا الأسلوب؟).

وتوفي - رحمه الله - عصر يوم الثلاثاء ٣٠ ذي الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٩ يناير٢٠٠٨م رحم الله الجميع.

وقد استعنت في كتابة هذه النبذة بـ :

*منارة الشحر العلمية لخميس حمدان.

*مدونة المؤرخ مبارك صالح الأرضي.

*مدونة الكاتب الخاذ.

*عبيد / عبد الله مصيقر انظر ما كتبناه عنه. وكتاب (محمد بن فارس..) لمبارك العماري ج٢ ص ٣١ وهامشها.

*ويلاحظ ورود اسم الوزير العطاس مكرراً في كتاب (السلطان يتذكر) من تأليف آخر سلاطين الدولة القعيطية الحضرمية. وذكر فيه ما أخذه عليه سياسياً، فلينظر إليه من أراد التوسع.

الشيخ حاج كرامه حمود:

هذا الشيخ من أهل مدينة الشحر ومن المولودين فيها، ولا نعرف تاريخ ولادته غير أنا علمنا أنه أحد طلاب مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية الأولى، وقد جاءتنا إشارات أنه كان محباً للعلم والدرس حيث استمر طالباً مجداً اهتم بالتحصيل العلمي مع الحضور المباشر في كل الأوقات الرسمية بالمدرسة وغيرها عند حضور زوار المدرسة من العلماء والمثقفين، لكنه لم يكمل كل المراحل بالمدرسة فقد أعاقته ظروف أسرته، لكنه ظل غير بعيد من الثقافة والتحصيل المعرفي رغم أنه ابتدأ حياته في أعمال تجارة التجزئة. وعندما وجد فرصة عمل موظفاً لدى إدارة الأوقاف والتركات بمحكمة الشحر الابتدائية الشرعية وهي إدارة تعمل تحت إشراف الإدارة العامة للأوقاف التابعة لإدارة القضاء الشرعي بالبلد.

وقد استمر في عمله طويلاً يعين قضاة البلد ويسهل مهماتهم خاصة فيما ينتدب إليه. وهو يتمتع بخط حسن وحس مرهف فيما يتعلق بأمور القضاء خاصة كتابة الوثائق والاتفاقيات، حتى الاستقلال حيث تحولت إدارته إلى الإدارة المالية وحول عمله إلى إدارة الإسكان وهو مكتب أنشئ حديثاً، وعند حصوله على درجة الإعاشة تفرغ للعناية بمسجد الشيخ عبد الله شيخ العيدروس القريب من مسكنه حتى وفاته - رحمه الله- بمسقط رأسه الشحر في ٢٠٠٨/١١/٢٧م.

إن الذي يجب أن يذكر هنا هو ما منحه الله من القدرة في مجال الخط الجميل والصبر على التدوين، فقد وجدنا بخطه هذا جميع منهج الدراسة بمدرسة مكارم الأخلاق لدى الطالب ثم مدير المدرسة نفسها أستاذ الأجيال الشيخ سالم أحمد بن سلم أطال الله عمره وتمنينا أن نجد ولو ورقة واحدة أو صفحة لنشرها كنموذج لصدق ما قلناه ولكن المؤسف أن تؤول للأخ عادل باعكيم وأن لا يمنحنا فرصة للفعل الحسن وربنا يقدره على نشر شيء من ذلك.

الشيخ حامد يسر اليزيدي:

هذا الشيخ من أهل مدينة الشحر، فقد ولد فيها وسكنها حتى وفاته، ترجمه الشيخ كرامه خميس حمدان في كتابه (منارة الشحر العلمية..) وقال إنه يكبر سناً على جميع الطلبة الموجودين ولكن عادل

باعكيم تجرأ على القول إنه (ولد بالشحر عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥م في ص٩٠ من كتابه (عقود الجمان) وهو بهذا يقربه من سن كل الطلبة الذين التحقوا بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية، لكني سمعت ممن نسيت اسمه أنه لم يكن من طلبة هذه المدرسة رغم شغفه الكبير بالعلم وطلبه، فقد قيل إنه أفضل نموذج يضرب به المثل في التثقيف الذاتي، فقد كان مع الشاعر الأعمى سعيد مبارك مرجان يحضران مادة الدرس بمدرسة مكارم الأخلاق جلوساً عند أبواب فصول المدرسة علاوة على حضور كل الدروس التي تلقى بالمساجد والروحات، ويلهث كداً وتحصيلاً إذا علم بأن أحد الدعاة أو العلماء سيلقي درساً هنا أو هناك وكان أنشط طلاب دروس ما بعد صلاة الفجر كل يوم بمسجد الشيخ أحمد مما دعاني للتفكير في سبب عدم إعطائه فرصة للدراسة المنتظمة أسوة بغيره ومثله كذلك الشاعر سعيد مبارك مرجان. كان اتساع مداركه وشغفه وحبه للعلم والتعليم قد لفت نظر صاحب الدرس الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن لأن يحبه ويقربه إليه.

وكان الرجل يعتمد على القراءة الفردية والتثقيف الذاتي وقد نبغ فيما نذر نفسه له، برغم مظهره الذي لا يدل على ذلك فعندما تشاهده في ذلك الثوب لا تحسبه رجلاً هصوراً ولا تصدق إن قال لك أحد أنك مررت على جبل من العلم.

قال الشيخ حمدان: لقد رأيته يقرأ على الشيخ يسلم سند بمسجد بن أحمد في ألفية بن مالك، ورأيته يقرأ على الشيخ أحمد باشميلة المصري بحانوته في السيرة والتاريخ الإسلامي وغير هذا، حتى أصبح أحد أساتذة درس الفجر لقسم من الطلبة، وكنت أحدهم في عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م وقد درست عليه (متن الزبد وشرحه).

والشيخ حامد لم يعمل مع الحكومة طوال حياته لا كاتباً ولا مدرساً ولا قاضياً واقتنع بالعمل محاسباً لدى التاجر المحلي الشيخ عبد الله محمد مهدمي، حتى وصل إلى الهرم فكان ابنه الشيخ عبد الله حامد بديلاً عنه وفي مكانه.

وفي القسط الأخير من حياته عين نائباً لعقود الأنكحة لأرياف مدينة الشحر. وكان يرفض قرارات الدولة غير الإسلامية كقانون الأسرة، الذي صدر عن دولة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وكان يعده قراراً أخرقاً، فهو غير إسلامي وقانون وضعي فالله سبحانه يقول في محكم آياته: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء...» سورة النساء، ووضح رأيه في ذلك عندما طلب أحدهم الزواج من أخرى، فعقد له وهو بهذا قد أبطل مفعول قانون الأسرة ورفضه فاستحق على ذلك الحبس وأخذ منه نيابة عقود الأنكحة.

رحم الله الرجل الذي يعد من فقهاء الشحر ونحن لا نشك في ذلك في مقامه وقدراته فقد كان الفرضي الأول في زمنه وتستعين به محكمة الشحر الابتدائية فيما يشكل عليها في المواريث، وقد عمل بالمحاماة وكان لذكائه وفقهه ينتزع الحق من أي تزوير وما كتبنا إلا ما علمنا والله على ذلك شهيد.

ولا ننسى أن نقول إنه كان أستاذاً في (الرباط الشريف) الذي أسسه شيخه وأستاذه عبد الله بن عبد الرحمن لمادة الفقه، وقد فارق الحياة في ٢٣ شوال ١٤١٧هـ الموافق ٢ مارس ١٩٩٧م.

حسين أحمد الحامد:

نحن لا نعرف الكثير عن هذا الرجل، لكننا نعرف عضويته وعضوية أخيه صالح أحمد في بشكة (جماعة) الشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن و(البشكة) لفظة هندية تعني الجماعة، وهذه الجماعة نذرت نفسها للعمل على إعلاء شأن الأغنية الحضرمية ونشرها وإعلانها وممارستها علناً، ولا ترى أن الغناء حرام إلا إذا رافقه أي محرم بنص في الدين الإسلامي. قال الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف: «وكان اثنان من عيال الحامد من جماعة الفنان عبد الله محمد باحسن صالح أحمد الحامد وكان عازفاً على الكمنجة وقد هاجر إلى شرق آسيا، وحسين أحمد الحامد وهو شقيق الفنان صالح وكان شاعراً رقيق الأداء، لكنه عاد من مهجره إندونيسيا إلى الشحر ثم فضل السكن بسيئون وتوفي فيها سنة ١٩٦٤م»

ولم نطلع إلا على قصيدة واحدة كتبها في مهجره وغناها الفنان الشعبي المرحوم سالم باحويرث وهو من أهل سيئون وسجلها على أسطوانة شمعية، أشار إلى ذلك الأستاذ المؤرخ جعفر محمد السقاف في كتابه (لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية)، ولكن الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف وهو الأديب الناقد يقول: «إنه شاعر رقيق الأداء» وهذا يدلنا على أنه اطلع على أكثر قصائده وهنا تأخذنا الحسرة الشديدة على فقدان الجزء الخامس من كتابه (الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة) فقد كان عنوانه (في أغاني الشعر الشعبي الحضرمي) وهو جزء ضائع من الكتاب.

وقد لاحظنا من وثائق الراوي سالم هلال الحبشي خاصة الجزء الخاص بشعر وأغنيات الفنان باحسن، أن أغنية بدأت بقول الشاعر:

يقول (بو هاشم) ظهر لي جفاه صاحبي من بعد المصافاة

والراوي لم يقل إنها (للشاعر باحسن) أو قوله (وله أيضاً) وإنما تركها هكذا ثم إنه مخالف لما كانت عليه مطالع الشاعر باحسن مثل:

يقـــول بـــن هاشـــم نســـيم الغـــبش جـــــــاني بأخبـــــــار المســـــــرة

أو: يقـول بـن هاشـم كفـى مـا جـرى يـــــا فـــــائق الغيـــــد الحـــــاني

ولم يرشدني أحد إلى نسبة هذه القصيدة ولكني أرجح أن تكون للشاعر حسين خاصة إذا لم نجد لها ظلاً في قصائد ديوان الشاعر عبد الله محمد باحسن.

اعتمدنا في ترجمته على:

*الرائد الفنان باحسن لمحمد عبد القادر بامطرف.

*البلبل الصداح لعبد الله صالح حداد.

*لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية لجعفر محمد السقاف.

*وثائق الراوي سالم هلال الحبشي.

حسين بن عبد الله العيدروس:

كتب عنه الأستاذ خميس كرامة حمدان في كتابه المخطوط (أعلام شحرية لها تاريخ) مركزاً على انتمائه الأسري ومواقفه لا غير وهناك إشارة في أنه أجرى معه حواراً عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢/٦١م) وعمره ثمانون عاماً وعلى رأي حمدان هذا الرجل من مواليد ١٣١٠هـ (١٩٨٢/٨١م) وبمعونة الراوي عوض سالم عبدن نكتب ما يلي: ولم يكن باستطاعتنا معرفة الفترة الأولى من حياته لكن من المؤكد أنه درس تقليدياً على كتاب مسقط رأسه الشحر وعلمائها وربما ذهب إلى تريم لتلقي المزيد من العلم وقد عرفناه رجلاً يتقلد منصبة آل العيدروس (نقابة) بالشحر وهم من البيوت ذات الوجاهة في الشحر بجانب آل محمد بن الشيخ أبي بكر وآل الشيخ سعد الدين الظفاري وغيرهم من ذوي المكانة في مجتمعاتهم فعقدت السلطة معهم صداقات متينة تبادلت فيها مصالحهم، ونعتقد أنه تلقى شيئاً من تعاليم الفقه الإسلامي خاصة فقه المعاملات، فنحن نعرف أن النائب المقدم عمر بن صالح ابن الشيخ علي نائب لواء الشحر(انظر ترجمته هنا) قد جعل هذا الرجل مستشاره الوحيد في المساهمة لحل قضايا الجماهير والتي تعترض سير حكمه أثناء نيابته للواء الشحر، ثم إن ثقافته لمسناها فيما يقال عنه عبر الرواة، وكان شاعراً شعبياً اطلعنا على بعض أبيات من شعره وإن كان قليلاً ورغم كونه يهتم بمقام أهله العلويين ومسجد جده عبد الله شيخ العيدروس المتوفى بالشحر عام ١٠٧٦هـ (١٦٦٥م) وأموال أسرته في كل من قرية (دفيقة) وقرية (الفياعين) بوادي عرف، فقد وصف بالرجل الطيب. وسجل المؤرخ خميس حمدان مواقف طيبة كانت ستجر ويلات على سكان بعض أحياء المدينة جراء العراكات الطفولية بينها وأضاف

عنه قائلاً: «رجل كريم أصيل مستقيم يتمتع بتقدير الناس والبادية والدولة، وتعتمد عليه الدولة في المشاركة في حل الخلافات التي تنشأ مع بادية الحموم التي تحيط مساكنها بالشحر شمالاً وشرقاً حيث تكنّ له البادية المحبة والتقدير».

وقد منحته الدولة بين ثلاثة مرشحين لمجلس الدولة القعيطية فكان عضواً في مجلس الدولة ممثلاً للواء الشحر، وقد توفي - رحمه الله- في عام ١٩٧٢م.

وقد اعتمدنا في ترجمته على:

١ـ كتاب أعلام شحرية لها تاريخ، مخطوط لخميس حمدان.

٢ـ معجم شعراء العامية الحضارمة لعبد الله صالح حداد.

٣ـ وثائق ومدونة عبد الله صالح حداد.

٤ـ أحاديث مع الراوي عوض سالم عبدن.

النائب حسين بن محسن مخارش:

أحد نواب الدولة القعيطية على ألويتها الخمسة ولم أجد فيما بين يدي من كتب ترجمة له، غير ما جاء في مدونتي المسماة (الخاذ) والمنشور بالتواصل الاجتماعي (الفيس بوك) فاستجاب حفيده عادل أحمد حسين وكتب ترجمة لجده مركزة اعتمد فيها على أخبار تناقلها من: علي محمد النقيب وعوض سعيد مخارش، ووالده أحمد بن حسين مخارش، أطال الله في عمر من يعيش معنا إلى اليوم والجميع يمتون للمترجم له بصلة القرابة فتم اعتمادها مشاركة مع ما ذكره المؤرخ مبارك صالح لرضي في مدونته المخطوطة.

ونحن لا نعلم شيئاً عن نشأته وبداية حياته ولا شيئاً عن ثقافته ومستواه التعليمي لكننا لا نستطيع أن ننفي رجاحة عقله وميزان فكره، فقد كان نائباً عن الدولة في ثلاثة ألوية ونستطيع أن نتابع مهماته من خلال مذكرات الشيخ الأرضي، وما جاء في مذكرة حفيده أنه:

*ولد بمدينة الشحر عام ١٩١٠م وكان والده ممثلاً للدولة في الشحر.

* أول منصب له كان قائماً في الحامي عام ١٩٤٤م على وجه التقريب.

* عام ١٩٤٦م عين قائماً بالديس الشرقية ومكث بها إلى عام ١٩٤٨م.

* في حرب فلسطين رجع إلى الشحر وعين نائباً عن النائب أحمد عمر باصرة لذهابه إلى الحج.

* في عام ١٩٥٠م عين نائباً للواء حجر خلفاً للنائب محمد سعيد الخروصي العماني.

* حدثت مشكلة بين النائب عبد الخالق مع قبائل الحموم وعلى رأسهم المقدم أحمد بن حبريش، فطلبه المستشار للذهاب لحل المشكلة فقد كان له احترامه عند المقدم وجميع قبائل المنطقة لرجاحة عقله وسعة صدره.

* ثم عين نائباً للواء الغربي (حورة) ولمدة سنتين.

* بعدها عين نائباً للواء الشحر في ٢٧ رمضان ١٣٧٣هـ (١٩٥٤/٥/٢٩م) بدلاً من حسن قحطان.

* في ١٧صفر ١٣٧٨هـ ١٩٥٨/٩/١) تحول الحكم لصالح عبد الخالق البطاطي بدلاً من حسين بن محسن مخارش.

ومن خلال متابعة النائب حسين في مدونة الأرضي نرى أن بيته يقع خلف (دار ناصر) مقر الدولة وإلى الغرب من (الطبيلة) إسطبل خيول السلطان سابقاً، وله بيت ملكه من ابن عبده وجعله خصيصاً لضيوفه.

* في ٢٢ شوال ١٣٧٣هـ (٢٣ يوليو ١٩٥٤م) توجه النائب حسين بن محسن إلى حجر (لزهد/ لخرص) خريف التمر بنخله هناك ورجع.

* في يوم ٢٢ رجب ١٣٧٥هـ (٤ مارس ١٩٦٥م) رجع إلى الشحر بعد أن نجح في سد الخلاف بين الدولة وقبائل المناهيل أهل النجد بيت (كزيم) ورجع في التاريخ المذكور من بلدة السوم.

* ثم توجه في ٢٨ رجب ١٣٧٥هـ (١٠ مارس ١٩٥٦م) إلى الريدة والمصينعة من شأن بيت العمق على عادة الجدوح الصيد لهم وسدهم.

وهذه مستخلصة مما ورد عند الأرضي في مدونته.

*ويشير حفيده بأن جده سافر مع السلطان غالب إلى جدة عند أخواله آل عبود بارشيد وسافرا معاً إلى جنيف لحضور المؤتمر الذي عرف بمؤتمر الخيانة مع البريطانيين.

وحدث استيلاء الجبهة القومية على حضرموت وهو بجدة فمكث بها إلى أن أدركته الوفاة في ٤ محرم ١٤٠٩هـ (الموافق ١٦ أغسطس ١٩٨٨م) رحم الله الجميع.

اعتمدنا في هذه النبذة على:
مدونة الباحث الخاذ، مدونة المؤرخ مبارك لرضي، رسالة الحفيد بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠١٧م.

الشيخ سالم خميس حبليل:

الشيخ سالم خميس مبارك حبليل من أهل الشحر ومن المولودين فيها عام ١٩١٣م حسب ما أشار إليه بنفسه في لقاء بمجلة الرسالة التربوية عدد (٢٦) الصادر في مايو ١٩٨٧م ونحن نعتمد على ما جاء بهذا اللقاء مع ما نراه ونسمعه عن الرجل الذي كان أستاذي بالمدرسة الوسطى بالشحر مابين ١٩٥٩ـ ١٩٦٤م رحمه الله وجزاه عنا أحسن الجزاء.

ومنه نعلم أنه كان طالباً بمدرسة مكارم الأخلاق وفي مطلع ذلك اللقاء تم إبدال اسم (مدرسة مكارم الأخلاق) بـ (رباط الشحر) فالذي أجرى اللقاء وردت عنده هذه التسمية فالشيخ تخرج من مكارم الأخلاق عام ١٩٣٠م ووجهه مدير المدرسة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن كي يعمل مدرساً بالمدرسة منذ ذلك التاريخ في نفس المدرسة وليس برباط الشحر، فالرباط افتتح عام ١٩٥١م ولهذا وجب التنبيه.

كما لا نعدم ترجمات للشيخ سالم في أكثر من مجلة وصحيفة ونشرة وسوف نركز على ما نراه صحيحاً، فقد عرفناه ودرسنا عليه وجالسناه وهو علاوة على ذلك جار عزيز علينا.

وتاريخ ميلاده كما يشير المؤرخ خميس حمدان في كتابه (مدرسة مكارم الأخلاق..): (وهو يصغر سناً عن زملائه السابقين ممن تقدم الحديث عنهم) جاء عنده هذا كي يقول: (إنه لم يفته الركب فقد جد وكد وعلم وعرف ما عرفه زملاءه فقد درس الفقه والنحو والتفسير وغيرها مما كان يدرس من المعلومات العامة) قال في لقاء معه: (وبفضل توجيه وتشجيع من أستاذي ومدير المدرسة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن وجدت لي نفسي الرغبة والقدرة على التدريس وسرعان ما عينت مدرساً لمادة السيرة النبوية في نفس المدرسة وفور تخرجي وكان ذلك عام ١٩٣٠م).

واصل عمله معلماً بعد أن جمع المعلمين بالسلك التعليمي الحكومي وتحت إدارة المعارف للدولة القعيطية ابتداء من عام ١٩٣٩م وفيها خرج معلماً بمدرسة الحامي الابتدائية وقضى بها مدة ثلاثة عشر عاماً ثم تحول إلى غيل باوزير ليعمل مدرساً بمدرستها الابتدائية لسنة واحدة ثم مديراً لمدرسة عمد بوادي عمد ثم إلى مدرسة عينات ثم مدرساً بالمعهد الديني بغيل باوزير، عاد بعدها للمدارس الابتدائية فكان مديراً لمدرسة قعوضة ثم بمدرسة عمد وعاد بعدها معلماً بالمدرسة الوسطى بالغيل ولمدة خمس سنوات، وفي بداية الستينات نقل عمله إلى المدرسة الوسطى بالشحر التي فتحت في ذلك العام الدراسي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م وحتى الاستقلال وعند تغيير السلم التعليمي، وعدت المدرسة الوسطى مدرسة إعدادية فواصل عمله مدرساً لخمس سنوات أخرى وفي منتصف السبعينات تحول إلى المدرسة الثانوية بالشحر مدرساً للتربية الإسلامية حتى عام ١٩٨٠م وحينها أحيل للتقاعد، نعم إنه مشوار طويل في التربية

والتعليم ابتداء من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٨٠م إنه نصف قرن بالوفاء والتمام معلماً للطلاب ومربياً لهم - رحمه الله - وكذلك معلماً ومرشداً وداعية في كل المناسبات وخطيباً بدأ في مسجد النور وحتى أناب عنه الشيخ عوض عمر خريص - رحمه الله-.

قال عنه المؤرخ حمدان في ترجمته: (وكان نعم المدرس ونعم الإمام والخطيب تزينه استقامته ونظرته للحياة نظرة القانع وكان ناصحاً واعظاً يشارك في إرشاد الناس بمواعظ الخير).

وأقعده المرض وألزمه البيت وذهب إلى الأردن للعلاج فأدركه هادم اللذات هناك فلقي ربه بمستشفى العاصمة الأردنية يوم الأربعاء ١٤ أغسطس ١٩٩٦م - رحمه الله -، وقبر هناك.

اعتمدنا في ترجمته على مذكرة الكاتب الخاذ وكتاب حمدان مكارم الأخلاق ومجلة الرسالة التربوية عدد (١٦) الصادر في مايو ١٩٧٧م.

سالم سعيد قريشن:

هو الشاعر العامي الشهير سالم سعيد باسباع، و(قريشن) لقب له ولأسرته وبعد بحث طويل لم أجد من ترجم له، ولكن لا يمكنني أن أصدق أنه هنا في الشحر من لا يعرفه فهو من أهلها الفاعلين، ومن كسب شهرة فقد ولد فيها دون أن يسجل احد تاريخ ميلاده وهو شاعر مجيد من شعراء القصيد والغناء القروي المعروف لرقصة الحفة إحدى أنواع رقصات الهبيش وقد وصفه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف فقال: «شاعر عامي متين الأسلوب وسريع البديهة» جاء ذلك في معرض بحثه بعنوان (في نقد الشعر) الذي نشره بصحيفة الطليعة المكلاوية العدد (٦٢) الصادر في ١٩٦٠/٨/١٨م وقد ورد اسمه في كتابه (الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة وقدم بعضاً من قصائده في متن الكتاب ومن ذلك أبيات قالها في مرثية رثى فيها صديقه مقدم قبيلة الحموم الحضرمية القضاعية المقدم كرامة بن سالمين العليي وكان قد قتل غيلة وهو على سفر بين المكلا والشحر.

وقد عمل أغلب حياته في الدلالة، فهو دلال بالمهنة، وظل محترماً بين أهل الشحر جميعاً ويعد من عقال البلد الذين يعتمد عليهم في إبداء الرأي السديد والمشورة، وقد رفض تصرفات المبطلين من عيال البادية خاصة في النهب (والهوش) وقطع السبل العامة مما جعل العداء سافراً من قبلهم فقد حرث أرضا زراعة تمباك، ولما قرب موسم حصاده سعى بعض الشباب وقاموا بتشخيره أي بمرور فروع من أشجار شوكية لإتلاف أوراقه وهي التي تجفف وتستعمل في تدخين النارجيلة، وقد وجه قصيدة لمقدم الحموم جاء فيها: «ترضون يا عمرو في سالم بهذا الخراب»، ولم يكن الشاعر يقف موقفاً عدائياً من رجالات قبيلة الحموم ولكن هذا كان للمبطلين فقط.

وكان الأديب المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف معجباً به وبشعره وقد سمعناه يروي عنه قصصاً كثيرة وقد ضمه للشعراء الذين استشهد بشعرهم في كتابه السابق الذكر (الشعر الشعبي الحضرمي) وفي ملحقه جاء أنه توفي عام ١٣٦٧هـ وهو يوافق ١٩٤٨م.

انظر كتابنا معجم شعراء العامية الحضارمة ص ٨٣ .
وقد اعتمدنا في ترجمته على مدونة الباحث.

النائب سالم عبد الله مخارش:

ينتسب آل مخارش إلى فخذ القعيطي الموسطي اليافعي، ومنهم الأستاذ الراحل سالم عبد الله مخارش، الذي توفي بمسقط رأسه الشحر في ١٤ أكتوبر ٢٠١٠م. والرجل محسوب على رجال التنوير بمدينته، حيث برز عدد منهم قبيل الحرب العالمية الثانية الذين شاركوا في تفعيل النشاط الثقافي والتوعوي وذلك بالتشارك في تأسيس الأندية الرياضية والثقافية، وساهموا في إلقاء المحاضرات والكتابة نثراً وشعراً وساهموا في جلب الكتب والمجلات خاصة من مصر وقاموا بتبادلها مع الآخرين من زملائهم من المعلمين والمرشدين وممن يرون فيه الفكر والوقاد والصائب والعقل الراجح والناضج والنشاط الخلاق وقد سنوا هذا النشاط ونشروه.

وكان من هؤلاء الأستاذ سالم عبد الله مخارش وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م/١٩٣٣م)، درس بمكارم الأخلاق وحضر عهدها الأول بالباغ وهذا ما جاء في كتاب الشيخ حمدان (منارة الشحر العلمية) وهو ليس صحيحاً، إذ أن الباغ (بستان) الذي فتحت مدرسة مكارم الأخلاق ببنايته التي أقامها السلطان عوض بن عمر القعيطي ولم يتمها، قد باعه السلطان عمر بن عوض السلطان الثالث لآل الكاف (انظر كتاب: رحلة إلى الثغرين لمحمد بن هاشم) وكان سالم عبد الله مخارش ابن سنة واحدة، وقد انتقلت المدرسة فور بيع البناية لمكان آخر، ثم نرى هذا المتخرج من مكارم الأخلاق طالباً بالمدرسة الوسطى بالغيل وقد أكمل دراسته بها وهو من الدفعة الثالثة عام ١٩٤٤م التي انتقلت إلى غيل باوزير مع تحول المدرسة إليها من المكلا. وقد أبدى هذا الطالب نبوغاً وحقق نجاحاً، فاستقطب معلماً بالمدارس الأولية بالغيل ثم بالشحر بمدرسة مكارم الأخلاق وعين من قبل إدارة المعارف مساعداً لمدير المدرسة لما رأت ما أبداه من نشاط تربوي وتعليمي لا صفي غير المعهود عن زملائه والآخرين لكن طموحه جعله يلتحق طالباً بالمدرسة الخاصة التي أنشأتها الدولة بالمكلا لتدريب الحكام والمسئولين على المناطق التي تتبع الدولة، ألوية ومديريات ومراكز، وهذا ما جاء عند حمدان، وهو ليس صحيحاً. فالدولة القعيطية دولة عشائرية تعتمد أساساً على الموالين لها من العشائر اليافعية

ومن يوالونها من قبل القبائل وأفراد من الشعب، رغم أنها تنفي عنها هذه التهمة، وأنه كان من ترجم له قد لا يكون صالحاً لإثبات هذه التهمة لذكائه ونبوغه ورجاحة عقله.

وقد استمر الطالب سالم عبد الله حتى أكمل نظام المدرسة على التدرب الإداري والعسكري، لكن من المهم أن هذا الطالب قد أظهر تفوقاً أهّله لأن ينظم إلى التدرب العملي لمحاكم المكلا الإدارية وبعدها عين رسمياً بدرجة قائم أي قائم مقام نائب الدولة في ألوية، وكان أول عمل مارسه أن عين قائماً بمركز الريدة وقصيعر ثم قائماً بالحامي والديس، وقد بقي متنقلاً حتى الاستقلال فقد كان حينها قائماً بمركز القطن. ففضل مغادرة البلاد إلى مدينة جدة لغرض أداء فريضة الحج، ثم بعد ذلك وجد عملاً بشركة صغيرة هناك فكانت بمثابة تدريب له أهله للعمل المصرفي الكبير في البنك الأهلي التجاري بمدينة الرياض، فقضى كل فترة اغترابه بذلك العمل، وفي عام ٢٠٠٥م عاد إلى الشحر مسقط رأسه ليقضي بها أيامه الأخيرة في راحة بال وكان يتمتع بصحة وعافية أراه كل جمعة بالمسجد الجامع فأسلم عليه، حتى اختاره المولى فكان لهادم اللذات الدور المنفذ ففارقنا إلى رحمة الله يوم ١٤ أكتوبر ٢٠١٠ رحمة الله عليه.

وقد اعتمدنا في ترجمته على منارة الشحر العلمية لحمدان، ومدونة الكاتب (الخاذ) والمعرفة الشخصية.

سالم هلال الحبشي:

من أهل الشحر ومن المولودين فيها، وهو من أحفاد الشيخ بلال الحبشي المسئول المالي أيام السلطان عبد الله بن عمر القعيطي بالشحر ثم مع ابنه الأمير الشاعر حسين بن عبد الله، وكان أحد شعراء العامية الحضارم ومن رواة الشعر والتاريخ المحلي. وكان عضواً في جماعة الشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن، وكانت مهمته إعلامية في نسخ القصائد الجديدة المغناة في الفرقة ونشرها وتوزيعها خاصة التي ينظمها رواد الفرقة والجماعة نفسها، والتي تنال رضا الأعضاء وتبادر بغنائها على الألحان الواردة أو وضع الألحان الجديدة، وقد اطلعت على جملة أوراق من وثائقه المخطوطة بيده، وقد اعتمد على نشاطه التجاري لبيع المواد الغذائية بالتجزئة، وكان لدكانه نوفة على السوق العام زائدة أو دكة أشبه بالروشان تتسع لجلوس أربعة أو خمسة أشخاص وكان روادها من الوجهاء والمسئولين والأدباء والمثقفين ما بين المغرب والعشاء، وقد طلبت منه ذات مرة قصيدة للشاعر الجحوشي، فتفضل وكتبها بيده المرتعشة رحمه الله. وقد توفي في يوم الثلاثاء ٢٤ صفر ١٣٩٩هـ = ٢٣ يناير ١٩٧٩م.

وعندما افتتح عمي أحمد سعيد حداد مكتبته لبيع الكتب والمجلات بالمكلا والتي أسماها (المكتبة الوطنية) حاول توسيع مبيعاته وإفادة القراء والمتعطشين للعلم والثقافة ففتح فرعاً له في الشحر عند صديقه سالم هلال الحبشي وكانت جزءاً من دكانه لبيع المواد الغذائية تجزئة.

وهذا يشبه الطريقة التي بدأها حداد نفسه عند افتتاح المكتبة الوطنية.

وفتح فرعاً آخر بالمكلا نفسها عمل فيه الأستاذ الفنان المطرب كرامة بطيق ولم يستمر هذا الفرع طويلاً، لكن فرع الشحر ممثلاً في مكتبة هلال ظل على نفس الطريقة حتى بعد الاستقلال وتأميم مكتبة حداد بالمكلا واستبدالها بمؤسسة (١٤ أكتوبر) بالمكلا الحكومية وانتهت المكتبة الوطنية الأم وفرعها بالشحر من دكان هلال الحبشي.

وكنت أزور هذا الفرع مرة كل أسبوع كي أستلم نسختي من مجلة (سندباد) التي يهديها لي عمي أحمد حداد مشكوراً وظلت علاقتي بالشيخ سالم وابنه عبد الله وطيدة حتى بعد تأميم المكتبة الأم بالمكلا ومن ذلك تمكنت من الاطلاع على بعض وثائق الشيخ سالم هلال - رحمه الله -.

القاضي سالمين سالم بن سرور:

وهو من مواليد قرية تبالة التي تقع شمال مدينة الشحر وتبعد عنها بحوالي خمسة كم. درس بقريته على يد شيخه سالم مبارك الكلالي درس القرآن الكريم والفقه والعلوم الشرعية.

رشحه مستشار لجنة مدرسة مكارم الأخلاق علوي عبد الرحمن المشهور مع زميله مبارك عوض باراشد وشيخهما سالم مبارك الكلالي للتدريس بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية عند افتتاحها عام ١٩١٨م، ويفترض أن يكون الشيخ الكلالي أحد المترجمين لهم هنا لكن وفاته كانت في ٢ نوفمبر ١٩٤٢م قبل افتتاح المكتبة بسنة واحدة (انظر ترجمته بصحيفة المسيلة المكلاوية عدد (٦٦) الصادر في الأحد ٢٣ مارس ١٩٩٧م).

والأستاذ بن سرور مكث معلماً بالمدرسة مدة عشرين سنة وحتى عام ١٩٣٨م. وقد وصف بأنه الفقيه اللغوي والمرشد الأساسي للنظام المدرسي فكان نائباً للمدير وضابطاً للنظام. ولعلي قد وقفت على غلاف كتاب له مخطوط تحت عنوان (في النحو) وأشار لي البعض بأنه خاص بالصفوف العليا، ثم طلب إعفاء من التدريس بالمدرسة النظامية ومارس العمل لنفسه بمدرسة والده (كتاب/علمة) مع أخيه سعيد سالم القاضي فيما بعد التي تقع بالجزء الشرقي الجنوبي من بيته الذي يقع إلى الشرق من مسجد أحمد بن عبد البارئ الغالبي.

وبعد ما يقرب من ثمان سنوات أي عام ١٩٤٦م طلب منه أن ينخرط بسلك القضاء وأن يتوجه لحضور الدرس بالمعهد الذي خصص من قبل الدولة القعيطية للتدرب على القضاء وعد أحد تلاميذ هذا المعهد تحت إدارة الفقيه القاضي جعفر محسن بوغي.

وعند تخرجه عين قاضياً بمحكمة بلدة صبيخ بوادي دوعن بفرعه الأيسر ثم بمدينة الخريبة عاصمة الوادي وهي بالفرع الأيمن من وادي دوعن ثم بالمكلا ووادي حجر، ثم عين مساعداً لرئيس القضاء الشرعي.

وفي عام ١٩٥٧م عين قاضياً بلواء الشحر حتى أحيل للتقاعد عام ١٩٦٦م وعاش بقية عمره بمدينة الشحر مشاركاً لأهلها بالاستشارات الفقهية والقضائية، ويلقي دروساً بجاره مسجد الغالبي وقد سمعت بنفسي الكثير من محاضراته وأحاديثه الدينية - رحمه الله - وقد أدركته الوفاة بالشحر في ١٥ يناير ١٩٧٢م.

وجدير بالملاحظة أن أولاده انتقلوا إلى منازلهم الجديدة، وتركوا بيت والدهم القاضي مهملاً وفي عام ٢٠٠٨م هطلت على المدينة أمطار غزيرة تهدم على أثرها منزل القاضي مع كثير من منازل الأهالي وعدت نكبة أصيبت معها أكثر من مائة منزل ومنهم منزلي. وقد كشفت تلك الأمطار بذلك مكتبة القاضي فأغار عليها الشباب نهباً وتمزيقاً فذهبت أدراج الرياح.

لقد اعتمدنا في ترجمة هذا القاضي على نجله محمد سعيد رحمهم الله وعلى كتاب (مكارم الأخلاق، ثمانون عاماً...) وأحاديث الراوي عوض سالم عبدن ومدونة الباحث (الخاذ).

سالمين سعيد شطر:

وهو من أهالي مدينة الشحر وقد ثبت لدينا أنه من الدارسين بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية في مراحلها الابتدائية، وكان من الطلاب النابهين ومن الدفعة الأولى ويشار إليه في التحصيل العلمي، وتخرج في نهاية المرحلة التعليمية لكل مراحل المدرسة. وقد بدأ عمله متدرباً في إدارة القضاء مصاحباً القاضي أحمد عوض المصلي المتوفى بالشحر في ٢١ مارس ١٩٣٥م، منذ تخرجه من المدرسة، فقد كان المصلي يعطف عليه كأحد أبنائه وكان يعتمد عليه في تسجيل الدعاوي والإجابات عنها، وصور الأحكام الصادرة عن المحكمة، إضافة إلى صيغ البيوع والاتفاقيات وغيرها. وقد عمل كاتباً مع القاضي الذي خلف المصلي، ثم عين قاضياً بالديس الشرقية ثم نقل إلى الشحر معيناً قاضي لواء الشحر ما بين (١٣٥٨-١٣٦٧هـ) = (١٩٣٩-١٩٤٨م) وعندها حدث خلاف ظل سراً، قال المؤرخ حمدان: «ثم حصلت بينه وبين نائب الشحر أحمد عمر باصرة، وكان نائباً للواء الشحر ما بين (١٩٤٤-١٩٥٣م)

بعض الاختلافات عن عدم حضوره الدوام الرسمي المحدد، وتحزبات من بعض خصومه مما أدت إلى إيجاد بعض الاتهامات في سير القضاء حتى نتجت عن ذلك محاكمته بلجنة عينها سكرتير الدولة الزنجباري سيف بن علي البوعلي برئاسة الشيخ أحمد سالم باعشن، وعضوية بن حازب (محمد محفوظ) والمقدم باصرة (أحمد عمر) ثم أعفي من منصبه» (خميس حمدان، منارة الشحر ص٤١).

ويذكر المؤرخ مبارك صالح الأرضي في مذكراته المخطوطة ما نصه: «الاثنين ٢٩ شوال ١٣٦٣هـ (١٠ أكتوبر ١٩٤٤م) قامت الدعوى على القاضي (شطر) من الحكومة بعد وصوله من المكلا والذي جاؤوا معه من المكلا حسن مؤمن وباصديق وباعشن، والعالم الله إيش يثبت عليه».

وحسين مؤمن ضابط أردني عمل مع الدولة القعيطية الحضرمية وهو من استشاره المستشار الإنجليزي بالمكلا، وقد سبقت ترجمة نائب الوزير الشيخ سالم عمر باصديق وباعشن وهو ما ذكره المؤرخ حمدان ، هو ما أظنه أحمد سالم باعشن الذي ترجمه المؤرخ الأستاذ سعيد عوض باوزير في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي) وقال عنه: «من القلائل الذين ملئوا الوظائف القضائية والإدارية التي أسندت إليهم في الدولة القعيطية وقد اخترمته المنية بالرياض أواخر سنة ١٩٥٦م» ص١٨٧.

وفي اليوم الثاني فاتحة القعدة ١٣٦٣هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٤٤م أعفي القاضي شطر من مهنته كقاضي لواء الشحر وعين بدلاً منه الشيخ محمد محفوظ بن حازب، وهو من أهل الشحر.

وقد تحول القاضي السابق شطر إلى المكلا وعمل محامياً لدى المحاكم هناك ثم فضّل الهجرة إلى جدة وأقام بها حتى وافته المنية في عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣/٩٢) كما يشير إلى ذلك المؤلف حمدان في ص ٤٢ من كتابه (منارة الشحر العلمية).

وقد كثرت الأقاويل حول المحكمة التي حاكمت الشيخ شطر بين مادح وقادح فهناك من أساء إلى القاضي وذمّه في أخلاقه وذِمّته القضائية، وهناك من يرى أن هناك إيعاز من السكرتير الذي لم يرتح لحكمه في قضية وشجار مالي بين متخاصمين مهاجرين بجزيرة زنجبار، والعالم الله ما الحقيقة، فأنا هنا مؤتمن والشريعة بالظاهر رحم الله الجميع، إذ لم يثبت لدينا شيء من تلك التهم.

لقد اعتمدنا في ترجمة الشيخ القاضي سالمين سعيد شطر على ما كتبه المؤرخ الشيخ خميس حمدان عنه في كتابه منارة الشحر العلمية وكان أحد تلاميذه، وما ورد عن المحكمة في مذكرة الشيخ مبارك الأرضي وأحاديث الراوي عوض سالم عبدن، - رحم الله الجميع -.

سعد سعيد بن الشيخ سعد الدين الظفاري :

من أهل الشحر، ينتسب للشيخ سعد الدين الظفاري الذي سكن الشحر وتوفي فيها في عام ٦٠٧هـ (١٢١٠م) وهو أول متصوفة حضرموت، وقد انتقل من ظفار إليها، وحفيده هذا رجل اجتماعي مشهور، وهو ظريف يروي عنه أهل الشحر الكثير من المقالب والنكات المضحكة التي يرتاح لها أغلب الأهالي ويحبون مزاحه كما يحبه السلطان صالح بن غالب القعيطي المتوفى بحضرموت والمقبور بالمكلا في ٢٩ مايو ١٩٥٦م. وينسب إليه الرد على كتاب (نحلة الوطن) لحسن علوي بن شهاب الذي جاء بعنوان (إتحاف أهل القبلة) باسم مستعار، وقيل هو لصديقه علوي عبد الرحمن المشهور وهو يقرض الشعر، ومن أقواله:

وسـريت بالليـل لـو عنـدي خبـر مـا سـريت

عارضـت باشـا وعسـكر يـوم شـفته دويـت

نوشـت بيـدي، وجـوب قـال لـي مـا بغيـت؟

بـاروت ورصـاص حـامي عنـدنا لا ضـويت

ووصـلت لمـا المكـلا بعـت لـي واشـتريت

وملكـت لـي طـاس مـا لـي قصـد بـك يـا الـدبيت

شـي خـوش يـا بنـت عبـد الله طـرح فـيش بيـت

وجـدنا سـعد لا ضـاقت علـي اهتريـت

ومن مقالبه المضحكة أنه يذهب إلى السلطان صالح بن غالب لأنه يحبه ويرتاح إلى مزحاته ولا بد أن يقدم إليه ما يسره ويضحكه، ويظهر أنه ذات مرة لم يستقم عنده ما يستطيع أن يقدمه كي يحصل على كم روبية (العملة الهندية التي كانت تستعمل في البلاد) فلم يكن منه إلا أن كتب أبياتاً من الشعر يمدح فيها السلطان وعماله، ولما قرأها السلطان طلب قلماً وورقة وكتب شيئاً وناولها للشيخ فدسها الشيخ في كيسه جدلاً، ومنّى نفسه بالذهاب إلى صاحب المالية كما جرت العادة، ولكن السلطان طلب منه فك الرسالة والاطلاع عليها وأصر على ذلك، فوجدها قصيدة رداً على قصيدته ومن سرعة البديهة والذكاء والنباهة أن رد قائلاً على الفور: «هذا ربا وهو حرام شعر بشعر» فضحك السلطان صالح وأمر له بضعف ما كان يحصل عليه سابقاً.

إن هذه القصيدة وغيرها تفيد أن الشيخ سعد يكتب الشعر وهو أديب، قال الأستاذ بامطرف: إنه أملى عليه مقامة أدبية لباحسن بطريقة بارعة، وعلى هذا فلم ينف أن لا يكون هو مؤلف (إتحاف أهل القبلة) في الرد على النحلة أي نحلة الوطن، ويمكننا أن نصدق ذلك إذا وجد دليل قاطع على أن مؤلفها شخص آخر.

وتوفي رحمه الله في ١١ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٥٩م.

وللمزيد من المعرفة يتم الرجوع إلى الآتي:

- مدونة المؤرخ مبارك صالح الأرضي (مخطوطة).
- ابن عبيد الله السقاف (إدام القوت) حيث ذكره وبعضاً من مقالبه. وقد ترجمه محقق الكتاب محمد أبو بكر باذيب وقال: إنه توفي في حدود ١٣٩٠هـ (١٩٧١/٧٠م).
- انظر ما كتبناه تحت عنوان (أهل الشحر والنكتة) مجلة حضرموت لسان فرع اتحاد الأدباء بحضرموت عدد (٤) ١٦ يوليو ٢٠٠٩م.
- ما كتبه الأستاذ عادل باعكيم في بحث مطول عن جد المترجم له تحت عنوان (أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين) وضمّنه سيرة الشاعر الأديب الحفيد سعد سعيد.

صالح بكار باشراحيل:

ـ من مواليد مدينة الشحر في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري أي ما بين ١٨٨٧م ـ ١٩٩٢م.

ـ تلقى تعليمه بمدينة الشحر على أيدي علمائها.

ـ ينتمي إلى أكثر أسر الشحر ثراءً وتجارة في النصف الأول من ذلك القرن.

ـ وهبه الله قدرة في الذكاء والفطنة والنباهة حتى قال فيه المؤرخ ابن عبيد الله السقاف في كتابه (حضرموت بلادها وسكانها): «نزلت ضيفاً على وافر المروءة الحرة الشهم المشارك في العلم».

ـ شغف الشيخ صالح بالعلم والثقافة ورجالاتها، إذ لم يزر الشحر أحدهم إلا وينزل في بيته ضيفاً، ومنهم على سبيل المثال ابن عبيد الله والأمير علي بن صلاح القعيطي عندما أجبر على الإقامة في الشحر والشاعر التهامي الصوفي الضرير جابر رزق عند زيارته لحضرموت.

ـ بلغ احتفاؤه بالعلم والعلماء أن يقيم الاحتفالات والمآدب بهذا الشأن كإقامة مأدبة بمناسبة افتتاح المدرسة الغربية الابتدائية عام ١٩٦٤م ، وأحيا أخرى على شرف محمد عبد القادر بافقيه إثر تخرجه من جامعة الخرطوم كأول جامعي من أهل الشحر عام ١٩٦٤م، وعند زيارة المؤرخ صلاح عبد القادر البكري وغيره.

ـ اهتم كثيراً بالكتاب وكون مكتبة كبيرة ضمت كثيراً من المخطوطات وأمهات الكتب وكان الكتاب أجمل هدية تهدى إليه.

ـ انعكس كل ذلك على نشاطه الثقافي فكان أحد رجال الثقافة والتنوير في محيطه فكان أديباً وشاعراً وفقيهاً ورجل اجتماع وطبيباً شعبياً.

ـ له ديوان شعر فصيح وشعبي مخطوط وله قدرة على كتابة المقامات يمكن أن تكون كتاباً لو جمعت.

ـ كان أول المفكرين لتأسيس مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية وهو العضو الأساسي في لجنة تأسيس المدرسة والفاعل فيها وكان له ولأسرته الفضل الأكبر في تقديم القسط الأكبر والأوفى لدعم المدرسة مالياً، كمرتبات المدرسين وقيمة الأدوات المدرسية ونثرياتها وغير ذلك، وهو يستحق أن يكتب عنه أكثر مما دوناه.

ـ توفي - رحمه الله - في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٩٦٣م، ذكر هذا المؤرخ وصاحب المدونة اليومية الشيخ مبارك صالح لرضي، وقد وضع الشيخ خميس كرامة حمدان رسالة عنه جاء في (٣٨) صفحة نشرها ووزعها على بعض معارفه بالشحر، دون الإشارة إلى مصدره في تاريخ الوفاة، وهي تعود إلى الشيخ الأرضي وكنت قد نبهته في نقدي لكتابه المخطوط شخصيات شحرية لها تاريخ ـ خط في رسالة خاصة.

وعلى أي حال فإن هذه النبذة هي ما سطرته مشاركاً للجنة إعداد كتاب (مدرسة مكارم الأخلاق ثمانون عاماً من الجهد والعطاء) ص ٣٩ـ٤٠.

المنشد صالح عمر بن سلم:

وهو من أهل الشحر لم يترجمه المؤرخ حمدان في كتابه المعروف باسم (مدرسة مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) رغم أنه أورد اسمه بأنه كان حاضراً افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر بمشاركته كأحد المنشدين مع ثالث لهما هو الشيخ عقيل سعيد بن إسحاق (انظر ترجمته هنا) والصعوبة أن لا أجد من ترجم لابن سلم هذا ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور فلقد عرفته شخصياً فهو أحد

الجيران، وهو موجود بالسوق الخاص بالأقمشة والثياب مشاركاً لإخوانه في تجارة والدهم وهو أكبر قليلاً من سن والدي رحمهم الله، وكنت ألاحظه منشداً في الاحتفالات والمناسبات العامة التي تعتبر مناسبات دينية، وكان فاعلا في ذلك النشاط التجاري حيث لا يغيب عن صدارة التجارة على وجه التقريب، وعندما توقفت هذه التجارة بعد وفاة والدهم انتقل إلى المكلا بمعية أسرته وهناك افتتح له مركزاً تجارياً وفيها توفي - رحمه الله - في ٢٦ فبراير ٢٠١٣م، ومثله أخوه الذي كان على فرع المكلا من تجارتهم وفتح بقية إخوانه فروعاً لهم في الشحر وفي عدن، وفضل أحدهم وهو حسن عمر بن سلم السفر إلى المهجر واستقر بالإمارات العربية المتحدة، وكان من طلاب مدرسة مكارم الأخلاق وقد ترجم له حمدان في كتابه المذكور سابقاً.

ويلاحظ أن كتاب الأستاذ حمدان لم يذكر عدداً آخرين من طلاب مدرسة مكارم الأخلاق مما يدل على أنه اعتمد على الذاكرة ولم يقع في يده أية إحصائيات بطلاب المدرسة وفيهم من جاءت أسماؤهم في كتاباته وفي كتابات الآخرين ومنهم على سبيل الذكر:

*صالح عمر حسن بن سلم وهو ما نحن بصدد ترجمته الآن.

*محفوظ سعيد باغريب وهو شخص لا ينسى في المجتمع بهذه المدينة وهو ضليع باللغة ونحوها وصرفها.

*يسلم سالم باتمباك وهو من حاشية السلطان القعيطي وابن مقدم.

*أحمد خميس الصوري وكان معلم مدرسة.

*عبد الله خميس الصوري أخو أحمد وكان موظفاً بجمارك الحكومة.

*محفوظ سعيد سليم الحبشي، وكان مديراً للمدرسة الوطنية بالمكلا وتوفي بالإمارات العربية.

*أحمد سعيد حداد وهو صاحب المكتبة الوطنية بالمكلا وهي أول مكتبة لبيع الكتب والمجلات والصحف والأدوات المكتبية.

*عوض عبد الله المسلمي، وهو الفنان الأعمى، انظر كتاب (المسلمي) لزوج ابنته الشاعر أحمد أبو مهدي.

*محفوظ سالم بالنعوم، الشاعر المهاجر للإمارات وترجمته في معجم شعراء العامية الحضارمة ص٢٩٥.

*محمد سعيد بابقي وهو من أصدقاء المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف وعمل طوال حياته في الأعمال الحرة.

الشيخ طاهر علي الأرضي:

ربما كان زملائي عبد الله طاهر وأخوه سالم واسطتي لمعرفة والدهم طاهر علي لرضي/ أي الأرضي، وأهل حضرموت هكذا ينطقون لحمدي في الأحمدي ولسود في الأسود ولشولي في الأشولي..

لقد كان عبد الله - رحمه الله تعالى - الذي توفي في بغداد ٢٠٠١/١١/١٤م يهتم بالرياضة وكان صديقاً لنا أيام نشاطنا بنادي الكوكب الرياضي بالشحر، وكان سالم يهتم بالنشاط الثقافي وأمر الكتابة، وكان عضواً بلجنة التراث الشعبي وكنت معه، وقد زادت معرفتي به منذ أيام دراستي بجده وحينما كان أخوه الأكبر علي طاهر مدير مياه العين العزيزية بجده، وقد توفي فيها في صباح الثلاثاء ١٩٩٥/١١/٢٨م -رحمه الله-، وكان الأخ سالم نائب مدير شركة صغيرة بجده للألبان تعرف (بالكيكوز) وكان مديرها الشيخ عبد الله عوض باجبير وهو من الشحر وأحد ثلاثة أكملوا دراستهم الثانوية بعاصمة البحرين المنامة، ولكني وللأسف لم أجد من ترجم لهذا الشيخ أقصد والدهم الشيخ طاهر علي، ولم يكن قد دار في خلدي أني سوف أحتاج إلى ترجمة له في قادم الأيام من حياتي، لهذا فقد تلمست أخباره وقد وجدت البعض منها في تقطع وسوف أسوقها هنا:

*جاء عند المؤرخ مبارك صالح الأرضي في مدونته التاريخية اليومية ما نصه: (اليوم الخميس ٢٧ صفر ١٣٦٢هـ (٤ مارس ١٩٤٣م) دخل المحكمة المدنية الولد طاهر علي لرضي عوضاً عن حاكم السوق يسلم سالم سعيد النوبي ومحمد سعيد الصومالي الذي رجع إلى البوليس شاويشاً).

*وجاء عندي أنه: (في يوم السبت ١٧ صفر ١٣٦٣هـ (١١ فبراير ١٩٤٤م) أدخلنا دعوى عند طاهر علي لرضي على عبد الله سالم برعود العوبثاني في ١٤ ريالاً وثلث ورسمنا الدعوى بيد عبد اللطيف طيب).

*وفي مكان آخر قال: (اليوم هذا عين الولد طاهر قائم مقام ببلدة شحير بين الشحر والغيل).

في يوليو عام ١٩٦٧م افتتح مكتبة بالشحر لبيع المواد القرطاسية وأمور الكتابة وأدواتها والصحف والمجلات، واهتم ببيع الكتب أيضاً، والمكتبة لا تزال تعمل حتى يومنا هذا حيث يتابع أمرها أبناؤه وأحفاده فقد توفي - رحمه الله تعالى - في ٤ جماد الثاني سنة ١٣٩٨هـ الموافق ١١ مايو ١٩٧٨م.

وقد عرفته أيام ما كان يزاول مهنة المحاماة بمحكمة الشحر الابتدائية المحلية، حيث كان ممثلاً لشخص أراد شراء بيت قديم وقد حضرت البيع وكيلاً لأمي وأمها وضراتها بقرية زغفة التي تقع إلى الغرب من مدينة الشحر بحوالي خمسة كم - رحم الله الجميع-.

النائب عبد الخالق عبد الله البطاطي:

الشيخ النائب البطاطي من مواليد مدينة الشحر درس بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية ثم الحكومية بالشحر، كما استفاد من غير الدراسة فعلاوة على إدراكه المعلمين الأوائل كان احتكاكه بأهل العلم وكان عمله الأول كجندي خضع للتنقلات بالشحر وغير الشحر وحتى وادي حجر أعطته دروساً في الاعتماد على النفس.

وعندما افتتحت مدرسة تدريب النواب بالمكلا رشحه صديقه الأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف بمعية الأستاذ محفوظ صالح الأرضي، فقد التقى بهما مساء أحد الأيام على كراسي قهوة بارامي المشهورة على السوق الرئيس وقد أبدى الاثنان موافقتهما، وقد تخرج ما نحن بصدد ترجمته، وتم تعيينه من قبل الدولة بدرجة قائم في عدد من البلدان ومنها الريدة وقصيعر وغيل باوزير، ثم عين نائب لواء شبام ثم نائباً للواء الشحر وكان ذلك في ١٧ صفر ١٣٧٨هـ (١ سبتمبر ١٩٥٨م) ومكث نائباً حتى أحيل للمعاش في ١٧ شوال ١٣٨٣هـ الموافق ١ مارس ١٩٦٤م.

قال الشيخ خميس حمدان في كتابه (مدرسة مكارم الأخلاق) عند ترجمته: «كان من هواة القراءة» ومن نتاج هذه الهواية أن وضع كتاباً بعنوان (إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع حضرموت) وقد صدر بجدة حيث كان يقيم عام ١٩٨٩م، وكان يريد به أن يكون رداً على كتاب صديقه الأستاذ بامطرف (الإقطاعيون كانوا هنا) الذي صدر عن دار الهمداني بعدن في طبعته الأولى عام ١٩٨٥م والمؤسف أن لا يراه الأستاذ بامطرف فقد توفاه الله في ١٩٨٨/٧/١م - رحم الله الجميع-.

وأهل الشحر يحبون هذا النائب كثيراً ويذكرونه بكل خير ويشيرون إلى ما نفذه أو شارك في تنفيذه من المشاريع الحيوية والترفيهية للبلد ومن هذه المشاريع:

*مشروع الكهرباء الأهلية بمدينة الشحر التي احتفل بافتتاحها عام ١٩٦٤م.

*مستشفى الشحر الأول الذي احتفل أهل الشحر بافتتاحه في ٦ مارس ١٩٦٥م.

*الملعب البلدي (ملعب الشاحث) الذي أقيمت فيه أول مباراة كرة قدم في ١٣ مايو ١٩٦٦م.

*تنظيم مياه الشرب وتحويله إلى قصب (مواسير) حتى يصل نظيفاً إلى الشحر ثم يتم توزيعه على أربع مناطق بالشحر تسهيلاً للمواطنين.

*إعادة ترميم حصن الدولة (حصن ناصر) وتغيير نوافذه القديمة وطلاء جدرانه بعد تجليدها بالنورة (الكلس).

* تأسيس المنظمة الأهلية لبيع الوقود بالشحر وهي شركة أهلية، وغيرها من المشاريع المفيدة.

ويؤخذ عليه سوء توزيع المساحات الواسعة داخل مدينة الشحر، وتوزيعها على من يستحق ومن لا يستحق ومنها ما تم توزيعه لأهله مع أنه لم يتزوج إطلاقاً، ولعله لم يستمع إلى الحوار الوارد بمسرحية الأستاذ بامطرف الذي دار بين مقدم حي الرملة أحمد سالمين باحبارة والسلطان عوض بن عمر القعيطي عندما عزم على بناء سور جديد حول المدينة فكان رأي باحبارة حول السور بناء على استشارة السلطان له ما نصه: «شف يا جمعدار الشحر بلاد واسعة وفيها الساحات الكبيرة والشوارع الواسعة وديار أهل الشحر واسعة جيراننا في الرملة يوشرون صناديق كبيرة لصيد السمك داخل أحواش ديارهم باتجي أنت باتبني سور وبتضيق على الأمة وبتشوف بعدين كيف تضيق الشحر لأن معاد أحد بيستانس يبني خارج السور وباتروح شوارع الشحر الواسعة ومساحاتها الكبيرة التي ما يوجد مثلها في عموم اليمن ويا ريتك باتلقي لنفسك أو للناس عرض بهذه المناسبة..». (مسرحية سور الشحر - خ)

وكأني أرى بأن ما ورد يعني به الحكام الذين أتوا بعد ذلك منذ أيام الجمعدار إلى يومنا هذا.

رحم الله الشيخ عبد الخالق فعندما أحيل للمعاش وبدأ نشاط المد الثوري سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وبقي هناك وقاية من أي تفكير قد يسيء إليه، حتى أدركته الوفاة في ١٨ ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٩م.

عبد الرحمن سعيد بازرقان:

هو آخر وزير للدولة القعيطية الراحلة إلى الأبد عند نيل حضرموت وسلطنات الجنوب الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وهو من أهل الشحر ومن المولودين بها عام ١٩٢٤م.

بعد وفاة والده سعيد عبد الرحمن كفله أخوه الأكبر فرج سعيد عبد الرحمن وأدخله المدرسة، مدرسة مكارم الأخلاق بعد أن مكث ردحاً من الزمن في معلامة الشيخ علي سعيد باسيود وكانت شهيرة في زمنه.

عمل في بداية أمره لدى مشاهير التجار بالشحر ومنهم الشيخ سليمان عفيف والشيخ أحمد علي عيديد والتاجر الهندي عبد الله جعفر.

كان زاده الثقافي والعلمي قد كسبه من أستاذه عبد الله هاشم في حبه وحثه على القراءة والاطلاع، وكان لقربه من زميله وصديق عمره الشيخ محمد عبد القادر بامطرف الدور الأكبر في علو كعبه في المعرفة والثقافة العامة، وقد انعكس كل هذا على نشاطه الشخصي فكان من هواياته قراءة الكتب التاريخية والأدب وله اهتمام خاص بالشعر العامي.

في عام ١٩٣٨م توظف بمصلحة الجمارك وعمل بجمرك الشحر بتخليص الضرائب، وفي عام ١٩٤٢م انتقل عمله إلى جمارك المكلا ثم إلى سكرتارية الدولة في أيام عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي، شغل حينها بوظيفة مساعد سكرتير الدولة للشئون الإدارية والمالية وكان سكرتير الدولة حينها الشيخ سيف آل بو علي العماني، وفي هذه الفترة ظهرت مساهماته في سن بعض الأنظمة والقوانين للدولة ومنها:

*نظام النقل للبضائع من الساحل إلى الداخل.

*نظام توزيع عملية النقل بين البادية والتجار الأمر الذي وطد الأمن وأنهى الاضطرابات على السبل العامة والطرقات.

*خفف حدة النزاعات بين الدولة والبادية التي يتضرر منها المواطنون.

*في عام ١٩٦٦م وعلى إثر مغادرة وزير السلطنة أحمد بن محمد العطاس البلاد عين الأستاذ بازرقان وزيراً للدولة بالنيابة، وذلك في عهد آخر سلاطين آل القعيطي.

*في عام ١٩٦٨م أحيل للمعاش بعد أن رتب شئون الدولة في ظل الكفاح المسلح على كافة الأصعدة خاصة الاقتصادية والسياسية وغيرها من مناحي الحياة مع النظرة المستقبلية للحياة المنتظرة.

*عند استلام الجبهة القومية وموافقتها على إحالته للتقاعد منحته وسام الامتياز الفضي ووسام حسن السلوك.

*كما منح سابقاً وسام وشهادة تقدير من الدرجة الممتازة من ملكة بريطانيا أليزابيث عرفاناً لأعماله وجهوده الجبارة المشهورة التي بذلها أثناء عمله بالسلطة.

*في عام ١٩٦٩م سمح له محافظ حضرموت سالم الكندي بمغادرة البلاد للأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة، وعاد بعدها تواً إلى مسقط رأسه الشحر دون تردد وكان ذلك أيام الرئيس سالم ربيع.

* في عام ١٩٧٠م وقبل انتفاضة الصيادين أصدر المحافظ فيصل العطاس أمراً بمصادرة ممتلكاته وإيقاف راتبه بحجة أنه من حكام العهد البائد، ولفقت له تهمة ارتباطه بالرجعية السعودية كما نص خطابه على ذلك، وعلى إثر انتفاضة الصيادين تم اعتقاله ثم أطلق سراحه على إثر وفاة أخته الكبرى التي تأثرت جراء هذه التصرفات.

*في عام ١٩٧١م هاجمت الشرطة (مليشيا) منزله واعتقلته بعد تفتيش منزله والاستيلاء على وثائقه ومستنداته وأوراقه الخاصة، واقتيد إلى سجن المكلا (المنورة) مع آخرين ظلماً وعدواناً ثم أطلق سراحه ووضع تحت الإقامة الجبرية.

*حاول أن يفهم وضعه والسلطة الحالية، فالتقى بسكرتير التنظيم السياسي للجبهة القومية آنذاك موضحاً أن حاله كالمواطنين وأنه يطالب بصرف استحقاقاته للإعانة الشهرية إزاء تأميم ممتلكاته، فلم يلق غير الزجر والتهديد.

*ولم تمض غير أيام حتى رتب أمر اختطافه وكان ذلك مساء يوم الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣٩٢هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٧٢م وفي تمام الساعة السابعة والنصف، حيث شاهد البعض الكمين بالقرب من بيته.

*عندها طالب ابنه عمر المسئولين بإطلاق سراح والده فقيل له إنه إجراء وقائي ولكنه لم يعد إلى بيته إلى اليوم، وذهب الرجل ضحية ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

*ولا يعرف ما الذي جرى له، ولكن لنا الحق أن نتساءل لماذا حدث هذا؟ ألا يمكننا أن نطالب برد الاعتبار لقامة كبيرة كالوزير بازرقان؟

ملخص مما كتبه ابنه عمر بازرقان وضمه إلى الخاذ.

الشيخ عبد القادر أحمد بافقيه:

هو من أهل الشحر وإن كان قد انتقلت أسرته من مدينة الخريبة عاصمة وادي دوعن، وهو والد الدكتور محمد عبد القادر عالم الآثار، الذي أشار بأن أسرته سكنت حي الحوطة بالشحر المعروف سابقاً بحي المقد، الجزء الغربي من مدينة الشحر وباب بيتهم يسجل تاريخ انتقالهم إلى الشحر.

وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٨٩٤م، ووفاته كانت بمصر وجثمانه نقل إلى حضرموت وقبر بالمكلا بمقبرة (مزروع) وذلك في فبراير ١٩٧٢م (محمد مديحج، الأم).

وقد هاجر إلى القرن الإفريقي وعلى الخصوص إلى الحبشة وعاصمتها أديس أبابا، وفي هذا يكون قد اتبع أهل الشحر الذين يفضلون الهجرة إلى الحبشة والصومال.

وعلمنا أنه أنجب ابنه الدكتور محمد هناك وعاد إلى الشحر بعد ١١ شهراً من ميلاد ابنه ١٩٢٨م مصطحباً معه أسرته وابنه الرضيع الذي سار على قدميه لأول مرة بالشحر وعاد الأب إلى اغترابه، ثم عاد إلى بلاده وافتتح دكاناً لا نعلم نوعه ولا الذي يتجر فيه، وكان بسوق البز المعروفة (بسوق شبام) وسجلت عودته النهائية في ١٥ شعبان ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١/١٢/١٦م.

لقد فرضت عليه الهجرة في سن غضة، فكان حظه من التعليم النظامي قصيراً، ومع ذلك فقد أدركته حرفة الأدب، ويشير ابنه الدكتور محمد إلى مجالات شعرية اطلع عليها بنفسه، وقضى الأب عام ١٩٣٢م متنقلاً بين الثغرين الشحر والمكلا.

ويشير أيضاً بأن لوالده أثراً كبيراً في غرس حبه للتاريخ والاهتمام بالآثار، وذلك من خلال مراسلاته عندما كان طالباً بالسودان وكذا كتاباته (المخطوطة) عن وصف الآثار والمعالم التاريخية القريبة من الشحر كجبل ضبضب ومغاراته ومغارة بابوري وأسس المباني القديمة والقبور المبنية بالحجارة في وادي عرف وهضابه، وقيام بعض الأندية واللجان الثقافية، ومن نشاطه الثقافي أنه أصدر ستة أعداد من مجلته الخطية التي أسماها (وادي سمعون) وكان هو محررها وبقلمه يخطها، إلا أنه من المؤسف أن لا يسجل التاريخ إصدار أي عدد منها.

وعندما أصدر السلطان عمر بن عوض منشوراً فسخ به قرارات مؤتمر سنغافورة جملة وتفصيلاً، الذي تم نشره في أكثر من صحيفة ومجلة، عاد إلى الشحر وطلب صهره سالم بن أحمد القعيطي إلى الشحر ليعينه نائب لواء الشحر، وجاء في المنشور: وحيث أنا بكل قوانا وغاية جهدنا مصممون على تقدم بلادنا وتحضرها وترقيتها، عارفون منابت الإصلاح ورجاله) فكان أن فكر مع نائبه لتأسيس (نادي الإصلاح) الذي وصفه النائب عبد الخالق البطاطي فقال: (وهو عبارة عن مجلس تشريعي) وكان الشيخ عبد القادر قد تم اختياره للنادي في لجنتيه، قال الدكتور محمد: (ولا أعرف سبباً واضحاً لاختيار الوالد رئيساً للنادي، إلا ربما ما كان من سابق إسهامه في إقامة نادي الاتفاق الإسلامي في أديس أبابا، ومن خلال ما أصدره من أعداد من مجلته/ صحيفته الخطية اليدوية (وادي سمعون).

وقد رافق الشيخ عبد القادر السلطان عمر في رحلته لوادي حضرموت وكان من المقرر أن يكتب وقائع الرحلة ويصدر بها كتاباً مزيناً بالصور، لكن الصور التي أخذها السلطان لتظهيرها بالهند لم تعد كما لم يعد السلطان عمر.

وعندما عين السلطان عمر صهره سالم أحمد وزيراً له بدلاً من وزيره السابق أبو بكر حسين المحضار انتقل عبد القادر بافقيه إلى المكلا بعد تعيينه مدير مكتب الوزير الجديد ومعه صديقه عبد الرزاق باذيب ومحمد علي وحدين من أهل الشحر موظفين بالمكتب ومعهم كرامة باشريف وسالم باشريف، لكن الدكتور محمد يقول في إحدى حلقاته المنشورة (شيء من تلك الأيام): (إنه لديه ما يؤكد أن والده ظل بالشحر يقوم بمهام النادي حتى أواخر شهر محرم ١٣٥٧هـ مارس ١٩٣٨م).

وعلى إثر وفاة السلطان عمر في محرم ١٣٥٥هـ (إبريل ١٩٣٦م) استولى السلطان صالح بن غالب على مقاليد الحكم في حضرموت، وجاء إلى حضرموت وسرعان ما بدأ بالانتقام من عمه عمر السلطان المتوفى، في شخص وزيره سالم بن أحمد، فوضعه أولاً تحت الإقامة الجبرية، ويومها فقد الشيخ عبد القادر وظيفته فانقلب محامياً يدافع عن رئيسه الوزير السابق، ثم انتقل مع أسرته إلى غيل باوزير، ولما احتاج للعلاج سافر إلى مصر، وعاد - رحمه الله - جثة هامدة وقبر بالمكلا.

وقد اعتمدنا في كتابة النبذة على:

*بعض أعداد صحيفة الأيام العدنية، المنشور بها مقالات الدكتور محمد بافقيه (شيء من تلك الأيام) ابتدأت من العدد (٨٢) الصادر في ٩ يونيو ١٩٩٢م وإلى أن انتهت بالعدد (١٣٤) الصادر في ١٦ يونيو ١٩٩٣م وجاء في (٤٢) حلقة.

* المستشرقون وآثار اليمن، كتاب الدكتور محمد بافقيه.

* كتاب الأم للأستاذ محمد سعيد مديحج.

* كتاب شمس الظهيرة من تحقيق ضياء شهاب.

* كتاب علي أحمد باكثير، للدكتور أحمد علي السومحي.

* سحر عدن وفخر اليمن، ديوان علي أحمد باكثير.

* كتاب إثبات ما ليس مثبوت، لعبد الخالق البطاطي.

الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي:

الشيخ الداعية التربوي الإسلامي عبد الكريم بن عبد القادر بن موسى الملاحي من أهالي الشحر حيث إنه جاء إليها وعمره آنذاك أربعة عشر سنة وهو من مواليد مدينة مَرّوني من جزيرة (أنجازيه)

إحدى جزر القمر الإفريقية عام ١٩٠٦م، جاء مرافقاً لوالده وبقية إخوانه واستقروا هنا في الشحر في عام ١٩٢١م، وعندها التحق بمدرسة مكارم الأخلاق بمعية أخويه أحمد وعلي، وبعد مرور ثلاث سنوات تخرج منها وتعين معلماً لنبوغه وتفوقه، ويبدو لي أنه تلقى درسه الأول هناك في إفريقيا وأنه ألحق بالصفوف العليا من مكارم الأخلاق وقد حظي بعناية خاصة من مدير المدرسة الذي توسم فيه الخير منذ بداية نشاطه في التحصيل العلمي وقد تم ترشيحه معلماً بنفس المدرسة، وكان ذلك في عام ١٩٢٤م أو ١٩٢٥م، وفي لقاء معه قال بنفسه إنه وصل الشحر عام ١٣٤٢هـ ويوافق محرم منها أغسطس ١٩٢٣م.

قال المؤرخ خميس حمدان في ترجمته في كتابه (مدرسة مكارم الأخلاق..): (طالب ذكي محافظ مستقيم ورع متواضع جداً... اعتمد عليه في تدريس العقيدة الإسلامية وهو ما يسمى علم التوحيد وأهم ما يدرسه "جوهرة التوحيد" وأبياتها المعقدة تحتاج إلى شرح للطلبة المبتدئين خاصة، وأنها في أصل العقيدة الإسلامية مع الصراع بين النحل التي طغت في وقت من الأوقات... والشيخ عبد الكريم يعطي الإيضاح الكافي بأسلوب لا يمله الطلاب، وهو المدرس الذي لا يحمل عصا).

وفي عام ١٩٣٩م ضم هذا المعلم مع أغلب المدرسين إلى حقل التربية حسب النظام الجديد بالتوظيف الجديد مع مدير عام المعارف المعلم السوداني القدال سعيد القدال.

واستمر الشيخ الملاحي معلماً ثم مديراً للعديد من المدارس بدأها بمدرسة الحامي بمعية صديقه ورفيق دربه الشيخ سالم خميس حبليل، ثم مدرسة شحير ثم الريدة الشرقية ثم بالغيل ثم مدرساً بالمعهد الديني بالغيل، وفي عام ١٩٥٧م طلب إحالته للمعاش والتدريس برباط (الشريف) بالشحر. لقد جعله الله معلماً بالمدارس والمساجد، فقد كان مدرساً بكل المساجد التي ولي إمامتها، فقد بدأها إماماً بمسجد عمرو ثم بمسجد بن قبولة ثم مسجد مرشد ثم مسجد بازيراك وأخيراً جعل من مسجد بن عتيق مسجده الذي يؤدي به كل فروضه فالمسجد جاره، قال لي مرة في لقاء يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م صحيح كنت إماماً لمسجد مرشد ولكني كنت إماماً لمسجد بازيراق (هكذا) مدة خمسة عشر سنة... وأنه حين كان العمل جارياً لإعادة بناء مسجد الجامع عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وزعت الناس على خمسة مساجد لأداء صلاة الجمعة، وفيها كنت خطيباً بمسجد العيدروس بحي عقل باعوين، ولما طالت المدة رشحت الفقيه المحامي سعيد محمد داؤود إمام مسجد الديني بافضل).

وبالمناسبة فالشيخ عبد الكريم أحد أساتذتي وإن لم يكن على مقاعد الدراسة ولكنه بالمسجد وبالبيت وكنت أطرح عليه كل ما يعن لي في جانب الفقه، رحمه الله وأحسن إليه فقد طلب إعفاءه من العمل بالتربية عام ١٩٥٧م وحينها كنت طالباً بالصف الثالث من مدرسة مكارم الأخلاق الابتدائية وطالب لأبنائه عبد الله عبد الكريم وعبد الرحمن عبد الكريم.

وكان قد تفرغ من حينها للتدريس برباط الشريف الذي أسسه شيخه وأستاذه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن وكان افتتاحه عام ١٩٥١م وعندما احتل المعهد وجعل منه المدرسة الإعدادية مارس الداعية شيخنا عبد الكريم نشاطه التعليمي فقهاً وحديثاً وسيرة وعلم التوحيد في بيته فيأتي إليه كل الراغبين في درسه المجاني جزاه الله كل خير.

لقد عاش كل عمره معلماً للصغار والكبار حتى أسلم روحه بارئها في ١٧ ربيع ثاني ١٣٨٩هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٩٦م قد قضى وقته كله بين العبادة والتعليم وكأني به لم يجد فرصة للتأليف وعلى الأقل فتاويه الفقهية وقد عرفت أن له رسالة جمع فيها أذكاراً لم تنشر إلى اليوم وبالمناسبة فإن خبراً ننقله للشباب المتعطش لسيرة تفصيلية للشيخ عبد الكريم بأن ابنه الأصغر الأستاذ عبد الرحيم حبر كتيباً عن سيرة والده وكنا على أمل أن نراه قبل أن نفارق هذه الفانية ونأمل أن يتم ذلك قريباً، وقد تمكنت من مقابلته أخيراً وفي أول إبريل ٢٠١٧م ومن حسن الحظ أن أجد الكتاب منضداً في حقيبته فتفضل مشكوراً ليطلعني عليه فكان بعنوان (فاتحة المريد لمن أراد الوصول إلى الحبيب في ترجمة العالم والعارف بالله عبد الكريم بن عبد القادر بن عبيد الملاحي) (١٣٢٨-١٤١٧هـ)(١٩٠٧-١٩٩٦م). ونأمل أن يجد من يطبعه له مع الشكر.

عبد الله صالح بن عثمان:

الشيخ عبد الله من أهل الشحر وهو رجل يشار إليه عند ذكر أعيان البلد ومثقفيها وقد انتظرت طويلاً للبحث عن ترجمة له ولو يسيرة وسألت وبحثت وعدت خالي الوفاض وما أسجله الآن أعده غيضاً من فيض.

فلم يستطع أحد أن يفيدني عن الجزء الأول من حياته وحتى اكتمال رجولته، وعرفنا الرجل موظفاً كبيراً في الدولة للنشاط المالي بلواء الشحر بوظيفة ضابط المالية ومعه مساعداً الشيخ فرج سعيد بازرقان وقد ورد اسماهما في مدونة الشيخ الأرضي التاريخية وأفاد أنه في «١٢ رجب ١٣٦٦هـ ـ ٣ فبراير ١٩٤٧م حصل عزل من الحكومة في ضابط المالية عبد الله صالح بن عثمان وفرج سعيد بازرقان، وطرحوا بدلهم واحد من شحير» والمؤرخ لرضي لم يبين الأسباب واللفظة قاسية (عزل) وقد تريثت كي استطلع الخبر لكن دون فائدة وقد علمت مشافهة من أن الرجل تأثر كثيراً من أسلوب الدولة مع موظفيها فلم تطقه الشحر ومسقط رأسه بما رحبت فهاجر إلى الحبشة وعاد إلى عدن بعد مرور سنة ثم إلى جدة وقد توفي فيها.

وكانت المكتبة السلطانية قد افتتحت في فترة توليه وظيفة ضابط مالية الشحر وتحمل بعض الوقت أمانتها فقد كان باب منزله الخلفي يقابل الخارج منه موقع المكتبة القديم ببيت بن رمضان، فكان يحمل ما يعن له ويتوجه آخر كل عصر إلى مقر المكتبة ويغلق بابها عند صلاة المغرب بمسجد بن عمران والعودة إلى المكتبة، قال أحد الرواة: إن هذه الفترة شهدت حضوراً مكثفاً من القراء والزوار بالمكتبة بسبب وجاهته - رحمه الله تعالى - ولم أقف على تاريخ وفاته والزميل الرجل الوجيه سعيد محمد بابقي يقدر ذلك في نحو عام ١٩٧٩م.

وفي اتصال بنجله الطبيب سالم عبد الله المقيم إلى يوم الناس هذا في الإمارات العربية المتحدة جاء ما ملخصه:

- عام ١٩٤٧م حصل على إعفاء من وظيفة مالية الشحر.

- عام ١٩٤٨م سافر إلى الحبشة ومكث بها سنة أو أقل من سنة.

- عام ١٩٤٩م عاد إلى عدن وفيها تعرف على التاجر علي عبد الله العيسائي ليعمل بتجارته مدة ثلاثين سنة أو تزيد وهو الذي حول تجارته إلى جدة فتبعه مديراً لأعماله.

- ١٩٧٩م استقال من العمل مع التاجر العيسائي وأقام لنفسه عملاً تجارياً بسيطاً.

- بعدها توفي ولم نعد نذكر تاريخ وفاته.

- قدر تاريخ وفاته من يعرفه بأنها في العشر قبل الأخيرة من القرن الماضي أي مابين ١٩٨٠ - ١٩٩٠م.

عبد الله عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر :

هو من مواليد مدينة الشحر عام ١٨٩١م تلقى تعليمه الأولي على المعلم سالم سعيد بن حسينون، ثم التحق برباط الغيل المعروف برباط بن سلم ثم هاجر إلى مدينة تريم ليلتحق برباطها المشهور برباط تريم، وعلى علماء تريم درس العلوم الشرعية الإسلامية وعلوم اللغة والأدب والتاريخ، وقضى به سنتين وعاد إلى الشحر. وبدأ في إقامة مجالس العلم في حلقات كانت الأولى في مسجد جده الشيخ أحمد مربياً ومعلماً وناشراً للتعاليم الإسلامية وشارحاً لقضايا الفقه. وفي النصف من عام ١٩٤٣م تم اختياره من قبل لجنة مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية مديراً للمدرسة، وفي عهده تم تطوير التعليم وطرقه وإدخال المواد الجديدة، وفي هذه ينظر إلى بحث الأستاذ سالم احمد بن سلم: «الطرق التربوية التي أدار بها السيد عبد الله مدرسة مكارم الأخلاق» كما وضع لوائح تنظيم سير العمل بالمدرسة، وأخرى للانضباط والتأديب

وفي هذه ينظر إلى كتاب: (المذكرة التاريخية) المخطوطة لأحمد عبد القادر الملاحي. وقد استمر مديراً للمدرسة حتى ١٩٥١/٢/١٢م حين طلب استقالته من الوظيفة، بعد تدخل المناهج الجديدة على يد ناظر المعارف الشيخ القدال سعيد القدال، وكان قد كتب موضحاً بأنه يرغب في التفرغ للعمل في مؤسسته التعليمية التي أطلق عليها بنفسه اسم: (الرباط الشريف) والذي افتتح على يده في مطلع سنة ١٩٥١م وقام بالتدريس فيه بنفسه منذ الافتتاح وساهم في إنشائه وتشييده وقد شارك أهل مدينة الشحر رحلة البناء والإشادة بتقديم المبادرات الليلية لجلب مواد البناء من حجارة ورمل وطين، وهم يكنون له حباً صوفياً ويرون فيه الأب لهم جميعاً. وقد وضع عدداً من الدراسات الصغيرة هي في الأصل مناهج دراسية قدمت للطلبة وعلى الأخص طلبة الرباط الشريف، وقد نشر بعضها الزميل محمد علوي باهارون (الحامي) وصدرت عن دار الحامي للنشر، وقد وضع قصة المولد النبوي وهي مختصرة ويمكن قراءتها في أقل من ساعة زمنية.

ولهذا الرجل ولع بالكتاب فقد جلب من سفرته كتباً كثيرة هي أساس مكتبة الرباط الشريف الذي عرف مؤخراً برباط المصطفى، وكأنه فرعاً لمثيله القائم اليوم بمدينة تريم وبنفس الاسم، إضافة إلى مكتبته الخاصة -رحمه الله-، فقد أصيب في آخر حياته بالشلل الذي استمر معه حتى وفاته في ٢٣شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٤فبراير ١٩٦٥م.

ونحن لا نعدم ترجماته الكثيرة والمنتشرة في الصحف السيارة والنشرات المحلية، وتتصدر رباطه لوحة عند مدخله بها نبذة واسعة عن حياته وفي الكتيبات التي أصدرها الأستاذ محمد باهارون عن دار الحامي، وكذا كتيب الشيخ جمعان سالم عماني (التوضيحات في الحول والحضرة والزيارات) وأيضاً مقالات عنه وعن نشاطه بنشرات محلية ومنها التي يصدرها الرباط.

وأخيراً فقد صدر عن الأستاذ عادل حاج باعكيم كتاباً عنه تحت عنوان: (عقود الجمان في ترجمة السيد العلامة عبد الله بن عبد الرحمن).

* وفي المذكرة التاريخية المخطوطة لأحمد الملاحي (القانون المدرسي واللائحة المدرسية التعليمية لمدرسة مكارم الأخلاق) الذين وضعهما مدير المدرسة الشيخ عبد الله.

* وكتاب: (الشيخ القدال باشا، معلم سوداني بحضرموت) من تأليف ابنه الدكتور محمد سعيد القدال.

* وكتاب: (ثمانون عاماً من الجهد والعطاء) بمناسبة ذكرى تأسيس المدرسة، وبمناسبة الذكرى ٣٩ لوفاة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن صدر عن الرباط كتيب بمناسبة هذه الذكرى في شوال ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م.

وقد صدر حديثاً كتاب تحت عنوان (فيوضات الشرف الأوفى في سيرة مؤسس رباط المصطفى) من إعداد لجنة خاصة.

الطبيب عبد الله عمر الشاطري:

استمر الأمر طويلاً في مدينتنا وغيرها من حضرموت على العلاج الشعبي بواسطة الأعشاب والمأكولات أو الموروث من العادات القديمة المخلوطة بالدجل والمعتقد من الخرافات التي لا تستند على حقائق علمية أو تاريخية وهي ضرب من السحر والدجل والشعوذة والادعاء بمشاركة الجن واقتصر العلاج على الكي والحجامة والتفلة والمحي والكتابة السحرية على البيضة والمعروض من ثياب المريض والتمائم والتمسوح وتعليق العكوس وأظلاف الحيوانات وقطع الحديد وأكياس الحبة السوداء وغيرها كوسائل علاجية لأمراض تفتك بالناس وخاصة الأطفال والشيوخ رغم التطور في مجال الطب في بلدان كثيرة مجاورة وأخرى يرتادها الحضارمة فإن الطب الحديث قد وصل إلينا متأخراً، ولا نريد أن نسكت عن محاولات من عدة رجال برعوا في العلم والطب وحبروا كتباً وأوراقاً سجلوا فيها تجاربهم في هذا المجال ومنهم على سبيل المثال العالم محمد عمر بحرق.

وفي عام ١٩٣٧م استقدم السلطان صالح بن غالب المتوفى عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) الدكتور مستر رانادي وهو طبيب هندي في خدمة السلطان، لكنه جعله طبيباً في خدمة الجميع، حيث أصدر قراراً لإقامة مستشفى عام بعاصمة حكومة المكلا في نفس عام استقدامه، ويظهر أن الدكتور رانادي كان موجوداً قبل ذلك التاريخ، إذ يذكر المستشار البريطاني دبليو اتش انجرامس أنه وصل بعد المغرب إلى ميناء المكلا في باخرة أقلته من عدن وذلك في منتصف إبريل ١٩٣٧م وأنه أشار للطبيب عن رجل طويل من بين مستقبليه يلبس جبة طويلة وعلى رأسه عمامة فأجابه بأنه رئيس الوزراء حامد أبو بكر المحضار وكانت هذه أول مرة يقابل فيها المستشار الوزير المحضار.

وكان على الطبيب (رانادي) الهندي القيام بالعلاج المجاني وتوزيع الأدوية أيضاً مجاناً علاوة على الإشراف على الناحية الوقائية أو الطب الوقائي وكان عليه أن يقوم بتدريب عدد من المواطنين للعمل بالمستشفى وأن يؤهل بعضهم للعمل في وحدات مستقلة في أكثر مدن حضرموت. ثم بعد ذلك في البلدات والقرى والوديان. وقد تم ذلك الأمر في وقت لاحق، أما في بداية الأمر فقد اقتصر على مدن الشحر وشبام ووادي دوعن ووادي حجر، وكان نصيب الشحر الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الشاطري المشهور بلقب (سيد عباد) - رحمه الله تعالى- وقد أدلى عليه والدي - رحمه الله - بالقول: (إنه تخرج من تحت الطبيب رانادي بالمكلا وقد عمل معه هناك وأنه افتتح وحدة صحية بالشحر عام ١٩٥٠/٥١م.

فكان هو الرئيس والفني والعامل في نفس الوقت وعند الافتتاح وأضاف إني أعرفه في تلك الفترة حيث كنا نلتقي معاً أياماً من فصل خريف التمر بقرية معيان المساجدة ، وقال: (كان الافتتاح في الغرفة الأرضية الواسعة التي تقع بالجزء الغربي الجنوبي من حصن ناصر، وقد أضيف إليه مساعداً بعد ذلك وهو الأستاذ سالمين بلحصن من سكان الأكوات الشرقية وقد ذكر الأستاذ خميس كرامة حمدان قائلاً: إنه لم ير مكاناً مثل هذه الوحدة الصحية والذي يعمل بها المساعد الصحي ومساعده بلحصن أكثر نظافة ولطافة. وكان للشاطري اهتمام بطلبة المدارس والأطفال وأمهاتهم وكل المواطنين. وقد وفرت له الدولة آنذاك القليل من الأدوية الأساسية والأولية وكانت تقدم بالمجان.

رحم الله الأستاذ عباد الشاطري الذي يعد أول طبيب عالج الأمراض على أساس علمي ولو أنه كان يعتمد على أعراض المرض من خلال وصف المريض. وهذا في الدور الأول قبل أن يتم بناء المستشفى القديم الذي زود بالمختبر وقسم الأشعة.

لقد كان الطبيب رانادي يزور هذه الوحدة الصحية بالشحر كل يوم خميس حيث يعالج المرضى ويوصي من حالته الصحية تستدعي مقابلته بالمكلا وآخرين يتم تحويلهم إلى مستشفى الملكة بعدن. وهو على كل حال طبيب عام ثم إنه عمل طويلاً حتى تم استبداله بطبيب بريطاني عمل بمستشفى المكلا، أما الشحر فقد عين بها طبيب باكستاني هو جليل الدين وكان أيضاً طبيباً عاما وذلك بعد أن تم بناء مستشفى الشحر. والمعهود عن الطبيب/ المساعد الطبي عبد الله الشاطري حسن أخلاقه وتعامله مع أهل بلده، وخاصة مع المرضى بالمستوصف لديه والذين يتحمل الذهاب لزيارتهم ببيوتهم باعتبارهم مرضى. ويذكر من عاصره من الناس إخلاصه وتفانيه في عمله وكل ما من شأنه تخفيف آلامهم ومساعدتهم بالكلام الطيب المطمئن لحالتهم علاوة على العلاج الناجع والمفيد، وكان لذكائه جزء كبير من إتقانه لعمله - رحمه الله- فقد توفي في حادث مروري وهو متوجه إلى شرق الشحر وإلى قرية المقد المتزوج منها، وذلك فيما يعرف بالمدورة وهي الطريق إلى مدينة الحامي عام ١٩٦٢م.

إن ما نكتبه اليوم لم يكن إلا بقصد ذكره بالجميل فقد قدم ما كان يستطيعه ويعلمه وما هو في حدود إمكاناته وإمكانات الدولة السابقة أن تقدمه لمواطنيها.

مصادر الترجمة:

١ـ (الرعاية الصحية) نشرة فصلية يصدرها مكتب الصحة بالشحر عدد (٦) الصادر في ١١ يونيو ٢٠١١م.

٢ـ (الخاذ) مدونة الكاتب عبد الله حداد.

الشيخ عبد الله عوض بكران:

الضابط المالي للدولة بلواء الشحر، وهو رجل مشهود له في عمله بالصدق والنزاهة، وهو من مواليد الشحر ويذكر المؤرخ خميس حمدان في ترجمة له في كتابه منارة الشحر العلمية أنه من مواليد عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) ولكن الأستاذ محمد أبو بكر باحويرث وهو أحد أسباطه يؤكد أنه من مواليد ٤ إبريل ١٩٢٧م .

وإذا كنا لا نعلم عن حياته الأولى فهي ككل أترابه قضى الجزء الأول منها في كتاب البلدة ثم أدرج طالباً في مدرسة مكارم الأخلاق، وقد وصل إلى آخر مراحلها الدراسية، ولعل الميزة التي تميز بها هذا الطالب هو اهتمامه غير العادي بمسألة الحساب وفور تخرجه نراه مسئولا مباشراً لدكاكين أحد تجار البلد فأحسن عمله بيعاً وشراءً وإدارة لكن هذا لم يكن آخر طموحه فتقرب حتى تمكن من أن يعين مساعداً لضابط المالية بلواء دوعن ثم بلواء المكلا العاصمة، إن هاتين الوظيفتين أكسبتاه قدرة على ما عنده من الاستعداد الفطري والرغبة والعقلية المحاسبية وأن يتهيأ لأخذ تمرينات على الأعمال المحاسبية للدولة وفي مجالاتها المتعددة فنقل ضابطاً لمالية الشحر ثم رئيساً لها في هذا اللواء وقد استمر في عمله بهذه الوظيفة مدة ثلاثين سنة ثم أحيل للمعاش في تاريخ ٨ فبراير ١٩٨٨م فعاد إلى العمل التجاري مسئولا عن حانوت للأقمشة والروائح الزكية من عطر وعود.

رحم الله الرجل فقد كان ملأ الأسماع طيبة ونبلاً وصدقاً في التعامل وكان من طراز اجتماعي لطيف المعشر وصديق الكل من أهل حيه وبلدته.

توفي رحمه الله في مسقط رأسه مدينة الشحر في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨م.

ومن الجدير بالذكر أن التواريخ المسجلة في ترجمة الرجل قد أفادنا بها محمد أبو بكر باحويرث وهو أحد أسباطه فله جزيل الشكر والامتنان.

وقد اعتمدنا في ترجمته على:

- منارة الشحر العلمية.. كتاب المؤرخ خميس حمدان.
- مدونة الكاتب الخاذ.
- إفادات من سبطه محمد أبو بكر باحويرث.

القاضي عبد الله محفوظ الحداد :

هو الفقيه القاضي عبد الله محفوظ محمد الحداد من مواليد مدينة الديس الشرقية عام ١٩٢٣م، وقد تولى تربيته والاعتناء به جده محمد لاغتراب والده حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره. تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه ثم سافر إلى تريم ليدرس برباطها وعلى أيدي علماء هذا المعهد تلقى المزيد من العلم. وعاد إلى بلدته ثم جاء إلى الشحر لمصاحبة صاحب الرباط الشريف العالم التربوي عبد الله عبد الرحمن فكسب من علومه ما شاء الله له.

وفي عام ١٩٤٦م رشح للقضاء فكان أحد الذين انتدبوا لحضور الدورات التأهيلية بمعهد القضاء بالغيل على يد مدير المعهد الشيخ محسن بن جعفر أبونمي وعندها أصبح قاضياً، وفي ٣٠ إبريل ١٩٤٩م عين قاضياً بمحكمة الريدة وقصيعر. ثم عين قاضياً بمحكمة الديس الشرقية خلفاً للقاضي محمد عمر العماري في ١٩٥٠/٤/٢٩م وحتى يوم ١٩٥٠/٩/٢٩م. وفي ١٩٥٠/١٠/١٥م عين منقولاً إلى محكمة المكلا الشرعية.

ويذكر الأرضي في مدونته أنه في: ((يوم السبت ٢٨ صفر ١٣٧٢هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٥٢م تعين الحداد قاضياً بالشحر بدلاً من القاضي محفوظ المصلي الذي رجع إلى المكلا إلى المجلس العالي للقضاء والحداد إلى محكمة الشحر هذا اليوم)).

وحسب الوثائق التي أطلعنا عليها الأستاذ أحمد كرامة البحسني مدير محكمة الشحر وكان حينها مكلفاً بتأليف كتاب عن قضاة الشحر، أطلعني على وثائق صادرة عن محكمة الشحر، وكانت الأولى بتاريخ ٨ رمضان ١٣٧١هـ الموافق ٣١ يونيو ١٩٥٢م وآخرها صدرت في ٢٤ ذي القعدة ١٣٧٥هـ الموافق ٣٠ يوليو ١٩٥٦م وعليها توقيع القاضي الحداد.

بعدها توجه القاضي الحداد في منحة دراسية بجمهورية السودان بجامعة الخرطوم قسم الشريعة، ويسجل المؤرخ الأرضي عودته في مدونته قائلاً: ((يوم السبت ٢٩ شعبان ١٣٧٦هـ الموافق ٣٠ مارس ١٩٥٧م وصل القاضي عبد الله الحداد الذي كان قاضي الشحر، وصل من السودان، والله أعلم يقع في أي مكان)).

وعاد قاضياً بمحكمة الشحر بتاريخ ١٣ صفر ١٣٧٩هـ الموافق ١٨ إبريل ١٩٥٩م واستمر حتى ١٦ شوال ١٣٨٠هـ الموافق ١ إبريل ١٩٦١م ثم نقل إلى المكلا معيناً رئيساً لمحكمة الاستئناف بالدولة القعيطية.

وفي تلك الفترة أكثر القاضي الحداد نشاطه الاجتماعي والثقافي بالشحر، فقد كان عضواً بنادي الاتحاد الرياضي الثقافي الإصلاحي، وكان في هيئته بل رئيس النادي، وفيها حدث خلاف حول أولوية اهتمام النادي ((اختلف أعضاء النادي فيما بينهم حول أولوية الأنشطة الرياضية أم الثقافية والاجتماعية وقد أدى هذا الاختلاف في آخر المطاف إلى تأسيس نادي شباب الجنوب الرياضي من مجموعة من النادي عام ١٩٦٠م)) جاء هذا فيما كتبه الأستاذ محمد عوض باصالح في حديث له نشر بالعدد (٧) من نشرة سعاد الصادرة في إبريل ـ يونيو ٢٠٠٩م، وأكد لنا الكابتن الأستاذ فرج عبد الرحمن بايوسف وقوع هذا الحدث، ويبدو أن الحداد كان يوافق أهل الرأي بإلغاء الرياضية من النادي الذي انهار ولم يبق به إلا العدد الصغير والذي تكررت منه الهزائم.

وفي المكلا عين الحداد لرئاسة مجلس القضاء العالي بحضرموت عام ١٩٦٥م وحتى عام ١٩٦٩م، حيث قدم استقالته واكتفى بتولي الخطابة بمسجد عمر، أي مسجد السلطان عمر بن عوض وهو من أشهر المساجد ابتداء من عام ١٩٧٥م، ثم عين محاضراً بكلية التربية بالمكلا، جامعة عدن في قسم اللغة العربية عام ١٩٧٦م، وقد جمع مكتبة كبيرة بدأها في الشحر، وكنت وابنه محمد أيام كنا طلبة بمدرسة الوسطى بالشحر، نعبث بها بحذر ثم نضع ما نأخذه منها في مكانه. وهي بادرتنا للاطلاع على الكتب والمكتبات وباكورة معارفنا، أما مكتبة المكلا فكانت عظيمة.

وقد وضع القاضي الحداد عدداً من مؤلفات لكن لم يطبع منها غير كتابه (السنة والبدعة) وكان لي أمل أن يطبع (مجموعة فتاويه) وهي فتاواه التي كان يذيعها أسبوعياً من إذاعة المكلا فهي نافعة جداً.

توفي رحمه الله بالمكلا في ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦م.

وقد رجعنا في كتابة هذه الترجمة الموجزة إلى:

١ـ مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي التاريخية (م).
٢ـ سيرة فضلاء للشيخ سالم عبد الله باقطيان
٣ـ مجلة جامعة الأحقاف عدد (٥) أكتوبر ١٩٧٧م.
٤ـ صحيفة نوفمبر عدد (٢١) ٢٠١٢م في ذكرى وفاته السادسة عشرة.

الشيخ عبد الله محمد بن داؤود :

هذا الرجل من أهل الشحر أباً عن جد، حيث يجمع الرواة علي ميلاده فيها دون ذكر للتاريخ. وقد عاش حياته كلها هنا في مسقط رأسه وقد اقتصر عمله على صناعة الحلي الفضية وهو رجل اجتماع

من طراز معروف له ثقله في مجتمعه، ونحن لا نعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياته ولا تعليمه، لكن وجوده مع جماعة التنوير وعضويتها دلنا على مستواه التعليمي ونضوج فكره. وهو من أهل مدينة الشحر الذين اطلعوا على ما جرى ويجري في شمال الوطن العربي في مصر والهلال الخصيب في العراق ولبنان وما بينهما، وخبروا ما جرى في المهجر الشرقي الحضرمي من خلاف اجتماعي وثقافي، فتدارسوه بينهم وكان الشيخ عبد الله عضواً فاعلاً في نادي الشباب الأدبي منذ تكوينه حتى تغيير تسمية نادي الاتحاد الرياضي الثقافي الإصلاحي، وكان مقراً لتجمعهم حتى بعد أن انسلخ منه نادي شباب الجنوب عام ١٩٦٠م فاستمر نادياً ثقافياً، فلم ينفصل عنه ولا عن جماعته حتى كبر وأدركه العجز، وتوفي رحمه الله تعالى في ٥ مايو ١٩٧٨م.

ولقد عرفته عندما كنت والبعض من زملائي نرتاد زيارة المكتبة السلطانية بالطابق العلوي من المبنى الشهير بيت السيت الهندي في الأعوام ١٩٦٨-١٩٧٠م حيث يواجه باب المكتبة باب مقر نادي الاتحاد الثقافي ولا تزيد المسافة بين البابين عن مترين حيث نقابل الأعضاء المتحابين وهم أعضاء لجنة التنوير الثقافي (انظر ترجمة علي سالم منصور) والشيخ عبد الله لم ينجب إلا ابنة واحدة وكان شاعراً شعبياً ذكر ذلك لنا بعض من رواة الشعر الشعبي العامي ولكننا تأخرنا في السؤال عن تلك القصائد والأبيات التي نظمها والتي يطارحها مع الشعراء في الأسمار وغيرها، ولم يترجمه أحد لكني هنا أعتمد على معرفتي الشخصية وما دونته في مذكرتي الخاصة بالشعر العامي وشعرائه.

انظر معجم شعراء العامية الحضارمة للكاتب.
ومدونته الشخصية الخاذ.

الشيخ عقيل سعيد إسحاق:

وهو من أهل مدينة الشحر سكن مع أسرته في حي المجورة من حي الصيادين الشرقي، ترجمه المؤرخ خميس حمدان في كتابه (منارة الشحر العلمية، مكارم الأخلاق)، وكعادته لا يتحرى الدقة في تواريخ من يترجم لهم الميلاد والوفاة، فهو يقول في تاريخ ميلاد صديقه الأستاذ عقيل أنه من مواليد ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ولا يمكن أن يكون أحد المنشدين الثلاثة الذين أشار إليهم نفس المؤرخ، وهو ابن سبع سنوات ومعهم الثالث صالح عمر بن سلم (انظر ترجمته هنا) حيث تم افتتاح المكتبة عام ١٩٤٣م، وعلى ذلك نضيف أنه من طلاب مدرسة مكارم الأخلاق ونرى أنه في سن كل من المؤرخ خميس وثالثهم ابن سلم في نشيد استقبال السلطان.

وقد عرف عن الأستاذ عقيل حبه للأدب واللغة وفروعها إضافة إلى التاريخ والحساب، وقد عمل بسلك التدريس منذ تخرجه فكان أول عمل له مدرساً في المنورة شمال مدينة المكلا ثم بمدرسة مكارم الأخلاق ووادي (الأيسر) فرع وادي دوعن ثم سافر إلى عدن للبحث عن عمل له هناك ولكنه عاد إلى حضن التدريس حتى عام الاستقلال، حيث تم ترشيحه للعمل بإدارة المناهج التربوية، وأسندت إليه مهمة الإشراف على مناهج وطرق تدريس مدارس محو الأمية، وقد شارك بوضع المناهج وكتب القصة والقصائد ومنها الأناشيد المدرسية. ويعده أهل الشحر أحد أعضاء شلة التنوير ويمكننا التعرف عليهم عند ترجمة الشيخ علي سالم منصور والشيخ عوض مطران قرينون، ومن المؤسف جداً ألا يجمع شعره في ديوان حتى وإن كان صغيراً فهو ينبئ عما يفكر فيه هؤلاء التنويريون في تلك الفترة، ومن حسن حظي أن رأيته مرة في أثناء زيارته لمسقط رأسه الشحر وزيارة منتدى الراوي عوض سالم عبدن بعد أن عرفت الموجز من أخباره مسبقاً. وعاد إلى مقر عمله بعدن.

وأشار المؤرخ حمدان أنه حج عام ١٤٠٥هـ وهذا يعني أنه كان في يوم ٩ ذي الحجة ١٤٠٥هـ واقفاً بجبل عرفات وهو يوافق ٢٥ أغسطس ١٩٨٥م لكنه أرخ يوم وفاته خطأ، قال: (١٤٠٧هـ) وأول يوم في هذا العام هو ٥ أكتوبر ١٩٨٦م، وقد نعته وزارة التربية والتعليم وبصفة خاصة مركز البحوث التعليمية وجاء في النعي (تتقدم وزارة التربية والتعليم ومؤسساتها المختلفة بأسمى آيات التعازي لأسرة الفقيد وأقاربه والجدير بالذكر أن الأستاذ عقيل قد عمل في الجبهة التعليمية لأكثر من ثلاثين عاماً وساهم في وضع المناهج التربوية وكذا مناهج محو الأمية، وكان الفقيد متفانياً مخلصاً في أداء رسالته التربوية والوطنية) وقد وصفه النعي بالقول: (فقيد الجبهة التعليمية) الذي وافته المنية يوم ٣ ديسمبر ١٩٨٤م - رحمه الله -.

الشيخ علي سالم منصور:

لا أعلم من أطلق عليه لقب (رسول النور) لكني أعلم أنه مشهور بين مجموعة من شباب جيله، عرفنا القليل منهم وظل الآخرون مجهولين إلى يوم الناس هذا، وهو معروف بين أهل الشحر قاطبة، وكذا أسرته وهم من أهل الشحر أباً عن جد ولم يسعفني الحظ أن أعلم انتماء هذه العائلة لكني لا أشك في أنهم من نسل أحمد بن منصور أمير الشحر الذي قاد المقاومة الشعبية ضد الغزاة البرتغاليين واستشهد في إحدى المعارك الثلاث. نعم لقد تتبعت أخبار هذا الأمير وأسرته ومكانته دون طائل، ولكن أسرة آل منصور هذه من الأسر المشهورة بين ساكني المدينة، وهم محل ثقة لحفظ وثائق أهل البلد وحفظ الأمانات وصرف التحويلات ومصروف أسر المغتربين بالهند وبإندونيسيا وشرق إفريقيا، وعندما هاجم جنود آل كثير الشحر وحاول البعض منهم اقتحام منزل آل منصور، وكان من حسن الحظ أن كان بالبيت

جماعة من آل تميم الواصلين تواً من شرق آسيا، فكانوا هم المشاركون في الدفاع عن البيت وأهله وما فيه من أمانات وحوالات مالية ومصروفات لعائلات المغتربين الشهرية.

في هذا المنزل عاش الشيخ علي سالم وربما يكون ميلاده عام ١٩٢٤م، وفي هذا الجو المشحون بالنشاط والحيوية والتجارة والاغتراب والمعارفات والتجانس ترعرع ودرس كالآخرين في الكتاب/ المعلامة لكنه دخل إلى المدرسة النظامية الأهلية وقعد بين أترابه في مقاعد الدرس، وكرس جهده للعلم والمعرفة (واستطاع بجده واجتهاده كسب حصيلة علمية طيبة في علم الفقه واللغة العربية وقواعدها والتاريخ والمعلومات العامة) (ص٧٧ من مكارم الأخلاق لحمدان).

وشاءت الأقدار أن يعين معلماً بمدرسة البادية الغربية التي تقع بمنطقة المنورة بالمكلا، وكان ذلك نتاج الحرب العالمية الثانية، فقد كانت هناك مدرسة أخرى لبادية الساحل والمنطقة الشرقية، ومن حسن حظه أيضاً أن يعين صديقه وزميل الدراسة الشيخ علي سعيد السعيدي معلماً بمدرسة (فوة) القريبة من مدرسة (البادية).

لقد رأى منصور في مدرسته عجباً، رأى نظاماً مدرسياً غير ما عهده طالباً بمدرسة مكارم الأخلاق، ولما كان الزميلان العليان يلتقيان عصر كل يوم تقريباً، حكى منصور لزميله السعيدي ما يشاهده ويعايشه ويمارسه يومياً في مدرسته الجديدة، وقد نقلا كل ما لمساه لزملائهم بالشحر وكان منهم:

١- الشيخ عوض مطران قرينون
٢- الشيخ عقيل سعيد بن إسحاق
٣- سالم أحمد بن سلم
٤- الشيخ خميس كرامة حمدان
٥- الشيخ عمر سعيد باغزال
٦- الشيخ علي عبيد النوبي
٧- الشيخ حسن عمر بن سلم
٨- الشيخ محمد محفوظ باخميس
٩- الشيخ علي محمد سواد
١٠- الشيخ محمد عوض حميدان (عشار)
١١- الشيخ عبد الله محمد باداوود
١٢- الشيخ عوض أحمد حميدان (المعلم)
١٣- الشيخ صالح سعيد القارة
١٤- وآخرون لم تسعفنا الذاكرة بهم.

وقد عرفنا ممن بقي على قيد الحياة أنهم قد أطلقوا على أنفسهم رجال التنوير وهم أنفسهم من أطلق على المترجم له رسول النور.

ولم يكن هذا فقط، ولكنهم تابعوا المسألة وتأكدوا من أن وراء هذه الأعمال مدير مدرسة الغربية الأستاذ/ محمد أحمد ريس الجعيدي وهو في الأصل من أهل وادي عمد المبارك المعروف سابقاً بوادي قضاعة، وقد تخرج من مدارس الإرشاد بجاوى بإندونيسيا، فالتلاميذ عندهم متساوون في حقل المدرسة

لا فضل لأحد على أحد، والمعلم أب للكل والاحترام واجب له من كل التلاميذ والنظام المدرسي يجري على الجميع. لأجل هذا تم دعوة مدير المدرسة الجعيدي للشحر، ونظمت جماعة التنوير رحلات له إلى القرى المحيطة بالشحر والعكس قد تم حيث قام أكثر التنويريين هؤلاء برحلات إلى فوة والمنورة وثلة وغيرها من أرياف المكلا، لكن المهم هو النظام المدرسي في مدارس جاوى الإندونيسية الإرشادية وغيرها في أجزاء عرفوها من البلاد العربية الأخرى، وكبرهم أولئك الرجال ولكن لم تنضج بعد أفكار مجتمعهم وكانت التجربة في زعيم الجماعة الشيخ عوض مطران قرينون (انظر ترجمته هنا) لأجل هذا تم الانخراط في النشاط الاجتماعي المتمثل في الأندية، وظل النشاط سرياً لكنه مقتصراً على النشاط الثقافي فقط. ومن ذلك ما تركه الأستاذ منصور في عدد من الشباب وكنت منهم، ولا زالت هديته الأولى ماثلة أمامي بإحدى رفوف مكتبتي الصغيرة وهي الجزء الثاني من كتاب صلاح البكري (تاريخ حضرموت السياسي ج٢)وقد قرأت كتاب علي أحمد باكثير همام في بلاد الأحقاف وقرأت كتابه (حمدان قرمط) من مكتبة نادي الاتحاد الثقافي بواسطته وكان ذلك في عام ١٩٦٨م، أما كيف عرفت الرجل الذي أصهرني في ابنته الكبرى عام ١٩٧١م والذي أعده أحد أساتذتي غير المباشرين بين أدارج المدرسة، فعلاوة على مجاورة مساكننا حيث لا يفصل منزلينا إلا مسكن واحد فقط، فإن صديقه وزميله في التلمذة والعمل الشيخ علي سعيد السعيدي كان مسئول البعثات التعليمية بالمنطقة التعليمية الغربية بالمملكة العربية السعودية، وكانت بعثة حضرموت التعليمية تحت إشرافه وكنت أحد أعضائها وتصل أخبارنا إلى صديقه منصور ثم إلى والدي، وكنت بهذا صديق الطرفين. ولما عدت وجدت عند الرجل ما قربني إليه من ود واحترام ومحبة خاصة أني كنت وآخرين من زوار المكتبة السلطانية المجاورة لمقر نادي الاتحاد الرياضي الثقافي الذي كان الأستاذ علي منصور سكرتيره الثقافي وتمتنت المعرفة بعد الخطبة والزواج، رحم الله الرجل الذي كان جاداً في حياته كل الجد، لكنه يلجم حياته بلجام العقل وقيد التفكير.

لقد قام الأستاذ منصور بعمله على أتم وجه مما وصف لي وفي جدية ومثابرة وحرص على نشر العلم والوعي الثقافي، وقد عمل معلماً في كثر من البلدان ومنها معلماً بمدرسة روكب ومعلماً بالمدرسة الشرقية بالمكلا ثم معلماً بمدرسة مكارم الأخلاق بالشحر مع درجة مساعد مدير، واستمر في العمل معلماً ولمدة سبع سنوات آخرها نائباً لمدير مدرسة رباط باعشن بوادي دوعن بفرعه الأيمن، لكن بعدها ترك العمل بالتدريس ليعمل مع أسرته في التجارة فاستقر في عمله الجديد حتى وفاته - رحمه الله - لقد قام الأستاذ علي منصور بعمله في المجال التربوي مثلما يقوم به أي غيور على حبه لوطنه ومواطنيه، وكان مخلصاً لعمله كما أخبرنا بذلك صديقه أستاذ الأجيال سالم أحمد بن سلم - أطال الله عمره - وما جاء في ترجمته عند المؤرخ خميس كرامة حمدان في كتابه (مدرسة مكارم الأخلاق منارة الشحر العلمية) ص٧٢-٧٤. وقد شهر عنه لقب (صديق الكتاب) فقد أعان كل من يرغب في القراءة واقتناء

الكتب وكل من يرغب في العلم ويحبه، وذلك بإهداء الكتاب وتيسير السبل للراغبين في تكوين المكتبات المنزلية والخاصة، وقد وفقه الله في أداء واجب الحج وزيارة مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولعل أهم عمل يذكر له هو مشاركة صديق عمره الشيخ علي سعيد السعيدي -المتوفى بجدة في ١٠ فبراير ٢٠١٥م - في بناء مسجد الرحمن بالشحر، وقد اعتمد عليه في تشييد المسجد العامر بناؤه إلى اليوم.

رحم الله الشيخ علي سالم منصور الذي نرى أنه قدم خدمات جليلة لمسقط رأسه وسكانه وكان ذلك بإخلاص وعناية وفارقنا إلى رحمة الله تعالى في التاسع من شهر ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق ١٤ يوليو ١٩٩٧م، وقد رثاه صديقه عضو جماعة التنوير الشيخ خميس حمدان بقصيدة منها:

علـــي الاســـم والإخـــلاص جمـــاً ذهبـــت جـــو وأوجعنـــا الـــذهاب
يطـــول الشـــعر فيـــك أبـــا رشـــيد ولا تكفـــي الســـطور ولا الكتـــاب

وقد اعتمدنا في ترجمته على كتاب الشيخ حمدان مدرسة مكارم الأخلاق منارة الشحر العلمية وكتاب ثمانون عاماً من الجهد والعطاء، ومدونة الخاذ مدونة الباحث حداد.

الشيخ علي عبيد النوبي :

هو من أهل مدينة الشحر ولا نعلم عن طفولته وصباه شيئاً إلا أننا ملزمين بأن نقول أنه درج في مسقط رأسه كأترابه ثم نعرف أنه كان احد طلاب مدرسة مكارم الأخلاق، ويشار إلى أنه أسن من طلاب صفه، ويضيف مترجمه المؤرخ خميس حمدان في كتابه (مكارم الأخلاق) أنه كان من أذكياء الدفعة ويتمتع بذاكرة جيدة في حفظ المتون من المقررات، وكان ذو موهبة في فن الخط، ورغم كونه لا يواظب على حضور الجلسات الإضافية التي تعقد في غير الدوام المدرسي فإنه لم يكن بقليل الثقافة الأدبية وخاصة النحو والإلمام الواسع بعلم الفقه ومع ذلك فقد كان شديد الرغبة لفن الإدارة. وعلى ذلك نراه في عام ١٩٤٥م موظفاً بمثابة كاتب رسمي برئاسة القضاء الشرعي بالمكلا (حمدان، مكارم الأخلاق، ص٦٦) ثم يترأس مجموعة كتبة الدائرة، وقد قضى في هذه الوظيفة نحو من سبعة عشر عاماً، وعندها هاجر حضرموت إلى جدة بالمملكة العربية السعودية ليعمل فترة قصيرة مع أحد التجار ثم عمل موظفاً بالبنك الأهلي التجاري بقسم أملاك البنك، وعندها عرفته هناك مع عدد من الزملاء الطلاب، فقد كان مشرفاً ثقافياً علينا يهتم بما يجري داخل الوطن وكان ذلك بين عامي ١٩٦٦-١٩٦٧م. وقد عدت إلى مسقط رأسي، ولكنه بعد ذلك اعتقل وبعض الطلاب وبعض المهاجرين بحجة القيام بعمل سياسي يضر بالبلد المقيم به ثم أطلق سراحه والآخرين بعد مضي سنتين.

وعندها عين مديراً لفرع شركة التجارة، قطاع الأقمشة واستمر يعمل بها حتى قبيل وفاته رحمه الله، حيث لقي ربه يوم ١٤ ذي الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ١٧ يوليو ١٩٨٩م.

اعتمدنا في كتابة الترجمة على:

١ـ خميس حمدان في كتابه منارة الشحر العلمية.

٢ـ مدونة الكاتب الخاذ.

٣ـ المعرفة الشخصية والتتلمذ عليه.

النائب علي محفوظ بن بريك:

من أهل مدينة الشحر، ولد بها عام ١٩٣٠م، تلقى تعليمه بمدرسة مكارم الأخلاق بالشحر، ووصل به المطاف إلى الفصول الراقية دون أن يكمل المرحلة إلى نهايتها، كما يشير إلى ذلك الشيخ المؤرخ خميس حمدان في كتابه (منارة الشحر العلمية..).

وقد أشير إلى حسن سلوكه وهدوئه وانتظامه للدوام المدرسي، وأخذ له قسطاً جيداً في الحساب والخط واللغة والنحو والأدب العربي شعراً ونثراً فقد حفظ الكثير من قصائد المتنبي والبحتري وشوقي وحافظ فكان للشعر دوره في ثقافته وفكره، وعندما انخرط في سلك الحياة العملية كان أولها مسئولاً على سجن البلد بدرجة (هور دار)وهي رتبة عسكرية، ثم تحول إلى كاتب بإدارة نائب الدولة تحت إشراف مساعد النائب الأستاذ سالم ناجي بن بريك.

وعندما فتحت المدرسة الخاصة لتدريب نواب الدولة الإداريين كان الشاب علي محفوظ بن بريك من الملتحقين بها، ثم عمل تحت التدريب بمحاكم المكلا وكان أول تعيين له بدرجة قائم عن النائب في مدينة حريضة ثم عين بعد ذلك في غيل باوزير في نفس الدرجة قائم بأعمال النائب، ومنها عين نائباً عن الدولة بمديرية الشحرخلفاً للنائب عبد الخالق عبد الله البطاطي الذي أحيل للمعاش ١ مارس ١٩٦٤م.

وعمل في منصبه الجديد حتى نهاية الدولة القعيطية في ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٧م، حيث سلم الأمر لرجال الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي، ثم غادر الوطن كله إلى الحجاز وهناك استقر بمدينة جدة بعد أداء مناسك الحج والعمرة، ثم غادر جدة للعلاج بالعاصمة البريطانية لندن، وفيها توفي - رحمة الله عليه - ونقل جثمانه إلى جدة حيث قبر فيها في شهر رجب ١٤٠١هـ الموافق مايو ١٩٨١م.

علي محمد سوّاد:

هو من أهل مدينة الشحر ومن طلاب مدرسة مكارم الأخلاق في عهدها الأهلي، لا نعدم ترجمات له عند أكثر من كاتب ودارس، فهو وإن اختلف في تاريخ ميلاده، فالجميع يتفق على وجوده بالمدينة،فالشيخ خميس حمدان في كتابه مدرسة مكارم الأخلاق يؤرخ ميلاده بعام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) في حين يؤكد الشاب عمر سالم باصالح من أنها في ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) معتمداً على مذكرة تلميذه الأستاذ عبد الله إبراهيم باعشن، لكن نجله الدكتور لطفي يصحح تاريخ ميلاده بعام ١٩٢٠م وهذه المعلومات قدمت له كي يصحح أي أخطاء في هذه الترجمة.

ويشير حمدان أنه أكمل كل مراحل مدرسة مكارم الأخلاق وإلى الصف الراقي، وأنه من المنتظمين بالمدرسة، مركزاً على حبه للقراءة والاطلاع، وكان محباً للفقه وعلوم اللغة العربية وقد وصف بالذكاء والفطنة، وعمل فور تخرجه بالتدريس، لكنه لم يكن راغباً فيه فتحول إلى العمل التجاري مشاركاً لأخيه في حانوت له، ويبدو أنه خلق للقضاء فتجده طالباً بمعهد الشيخ محسن جعفر بو نمي بغيل باوزير، وهو من أقرت الدولة واعتمدت الخريجين منه قضاة بالقطر، والتحق الشيخ علي بعد الانتهاء من التدريس تحت إشراف رئاسة القضاء الشيخ عبد الله عوض بكير، وهو أحد شيوخه ثم عين قاضياً بالمجلس العالي، ثم تعين تحت التطبيق لمحاكم المكلا، وهي فترة إرشادات تحت رئاسة القضاء، ثم عين رسمياً قاضياً بلواء دوعن حيث مكث هناك مدة تزيد على ست سنوات، ثم ابتعد عن الوظيفة طالباً التقاعد بسبب تدخلات وضغوط يتعرض لها القضاة، وفضل العمل كمحامٍ لدى محاكم المكلا، وعمل بهذا ردحاً طويلاً من حياته، وقد زامل عدداً من الطلاب الذين عدوا من علماء البلد ومشاهيرها الذين نذكر منهم على سبيل المثال الشيوخ: عبد الكريم الملاحي، وسالم حبليل، ويسلم سند، ومحفوظ بن حازب وغيرهم، وكان من أساتذته في مراحل مختلفة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن مدير مدرسة مكارم الأخلاق، والشيخ عبد الله عوض بكير، والشيخ محسن جعفر بو نمي، ومن أصدقاء التلمذة الأساتذة: علي سالم منصور، وسالم أحمد بن سلم، وصالح سالم لرضي، وكان المترجم له يعمل على تثقيف الشباب وتدريسهم وخاصة من لديه الرغبة في العلم والعمل وأشير هنا إلى بعض منهم:

١ـ عبد الله إبراهيم باعشن، وقد كتب نبذة ميسرة عن أستاذه القاضي علي محمد سواد، وهي وإن كانت مخطوطة فهي منتشرة بين الباحثين.

٢ـ أحمد إبراهيم باعشن.
٣ـ سالم أحمد ودعان.
٤ـ عقلان سليم بو سبعة.
٥ـ صلاح صالح البطاطي.
٦ـ سعيد سالم مخروش.
٧ـ عبد الله أحمد البيض، وغيرهم.

وإذا لم نجد بين أيدينا ما وضعه من تأليف، نظن أنه كان عملياً أكثر من أن يكون منظراً، لكن هذه مظنة فإن له بعض الفتاوى عندما كان إماماً بمسجد بايعشوت بالمكلا، وهناك مؤلف له تحت عنوان (الصيد في الرد على طه باحميد) وهو بحث طويل.

*أجوبة تتعلق بالعبادات والشعائر الدينية التي يرى أنها بدع قدمها له إخوة من آل باخميس بالحيسر، وقت أن كان قاضياً بدوعن.

*بحث بعنوان (إزالة القترة عن قانون الأسرة) وهو مناقشة وتوثيق قانون الأسرة وتحقيق مواده بما جاء في المصادر الإسلامية وقد رفعه إلى وزير العدل والأوقاف.

توفي القاضي علي محمد سواد بمسقط رأسه الشحر، ودفن بمقبرة باهارون وذلك يوم الأربعاء ١٤ ربيع ثاني سنة ١٤١٧هـ ٢٨ أغسطس ١٩٩٦م - رحمه الله -.

وقد اعتمدنا في ترجمته على:

- أوراق تتعلق بالمتقاعدين إلى المعاش صدر في ١٩٩١/١/٢٠م يثبت فيها وظيفته كقاض بمجلس القضاء العالي بالمكلا.
- مدرسة مكارم الأخلاق للشيخ خميس حمدان.
- نبذة ميسرة عن المترجم له من إعداد تلميذه عبد الله باعشن.
- معرفته الشخصية.
- أحاديث مع نجله الدكتور لطفي علي سواد.
- الخاذ مذكرة للمؤلف.

الشيخ عمر عبود حميد:

الشيخ الشاعر عمر حميد من أهل الشحر ومن المولودين فيها وقد عمر طويلاً، وآل حميد ينتسبون لفخذ من كندة يعرفون باسم (بافيلع) وهي تعني الضخم أو كبير الجثة وقد اشتهروا في زمن الشاعر ومن قبله بالتجارة، تدلنا على ذلك مزارعهم وماؤها بقرية تبالة وهي من القرى التابعة للشحر وتقع على بعد خمسة كم إلى الشمال منها، وقد استأجر ابن أخيه عبود على جمرك الشحر من الدولة القعيطية فترة زمنية من حياته.

وقد اشتهر الشاعر بحبه واهتمامه بالتاريخ والأدب فهو الذي باع مخطوطتين في مجلد واحد للأستاذ محمد عبد القادر بامطرف بثمن زهيد وكان أمله أن تحفظ لديه، لكن يد الأقدار سطت على

مكتبته وأخذ المخطوط مع مخطوطات أخريات، والمجلد يحتوي على كتابين لمؤلفين من أهل الشحر هما الربان عوض سالم باسباع والآخر للأديب الشاعر سعيد علي بامعيبد، ومن حسن الحظ يقول الأستاذ بامطرف: (ولقد استقيت معظم حوادث قصة الشهداء السبعة ووصف مدينة الشحر من كتابين مخطوطين هما بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر لمؤلفه الربان سالم عوض باسباع، وزاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن ومالابار لمؤلفه الأديب الشاعر سعيد بن علي بن سعد بامعيبد، والمؤلفان من أبناء مدينة الشحر).

والشاعر حميد تخصص في نظم أشعار رقصة (الزفين) النسائية بالشحر وتلحينها وقد اشتهرت الفنانة طابلة أفراح الزواجات فطيمون باعلي وفرقتها بأداء هذه الأغنيات وترديدها مع الألحان، وقد سمعت بنفسي عدداً من قصائده الملحنة يرددها الشيخ سعد عوض بن عصب الشحري واحتفظ بتسجيل صوتي لتلك الجلسات.

وقد توفي الشاعر حميد بالشحر ويرى البعض أن ذلك في العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري (٥١ ـ ٦٠) لكن الراوي عوض سالم عبدن وهو من أعتمد عليه في أغلب رواياتي التاريخية والأدبية يرى أنه توفي بعد ذلك، وقال إنه يعرفه ووصف لنا لباسه وطريقته في مشيه وإذا كان توقعه سليماً وأنا هنا أرجح رأيه فإني لا أستثني من أن يكون أحد المدعوين لحضور حفل افتتاح المكتبة السلطانية في مدينة الشحر.

ومصادر ترجمته:

*مخطوطة المؤرخ خميس حمدان، شخصيات شحرية لها تاريخ.

*كتابنا معجم شعراء العامية الحضارمة.

*أحاديث الراوي عوض سالم عبدن.

* مدونة الباحث الخاذ.

التربوي الشيخ عمر هادي مقرم:

هذا التربوي الشيخ عمر هادي سالم عبود مقرم من مواليد الشحر عام ١٩٢٣م وبعد أن تلقى تعليمه الأولي في كتاتيب البلاد (العلمة، المعلامة) ألحقه والده بمدرسة مكارم الأخلاق، وهي في دورها الأول كمدرسة أهلية وعلى أيادي مجموعة من أساتذة المدرسة تلقى المزيد من الدراسة، ثم ختمها بالدراسة الخاصة على أستاذه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر، وتوفي بمسقط رأسه مدينة الشحر في ٦ ذي الحجة عام ١٤٠٦هـ الموافق ٨ أغسطس ١٩٨٦م وذلك عصر يوم السبت

الساعة الخامسة بمستشفى الشحر على إثر غيبوبة دامت ثلاثة أيام قضاها كلها بالمستشفى وأسلم بعدها الروح لباريها - رحمه الله - هذا ما أفادنا به نجله الأستاذ محمد عمر وأضاف وشُيّع جثمانه في الصباح الباكر من يوم الأحد ٧ ذي الحجة إلى مثواه الأخير بمقبرة عبد الرحيم بحي الحوطة من مدينته.

وكان من أصدقاء الفقيد الذين تركوا أثراً في بعضهم البعض من الاتجاهات الفكرية والثقافية الشيخ عوض مطران قرينون والشيخ عمر سعيد باغزال والشيخ يسلم سند اليزيدي وكانوا من المقربين إلى أستاذهم عالم الشحر ومدير مدرستها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، وقد درس عليه المنهاج وغيره من الكتب التي لا يدرسها إلا الذين بلغوا مرحلة عالية من المراحل التعليمية، وكان قد أكمل مراحل المدرسة الأهلية وعلى إثر تخرجه أسندت إليه مهمة التدريس فيها كمدرس ومن ذوي الكفاءة العالية فقد كان يدرس مادة الحساب الذي أظهر في هذه المادة قدرة فذة مكنته من تقديمها أفضل من غيره، ثم عمل مع زميله الشيخ عمر سعيد باغزال بمدرسة غيل باوزير الابتدائية، وهو من أوائل من درسوا التلاميذ بها حال افتتاحها حيث عمل فيها لمدة سنتين، ثم سلك سبيل الهجرة فقصد أولاً جيبوتي التي عمل بها لسنوات ثم هاجر إلى مدينة جدة، وهناك تخصص في المجال المحاسبي ثم عاد إلى عدن وعمل محاسباً بمصنع الألمونيوم ثم بشركة عبد الجبار راشد وكلها وظائف في المحاسبة.

ولما أقعده المرض والكبر عاد إلى مسقط رأسه متقاعداً حتى وافته المنية - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته -.

وهذه النبذة من كتاب منارة الشحر العلمية لحمدان ومن ابنه الأستاذ محمد عمر ومن مدونة الباحث الخاذ ومن المعرفة الشخصية.

عوض أحمد باحميش:

رحم الله هذا الشيخ فقد كان أحد أساتذتي وقد دونت عنه بعض النقاط لتكون ترجمة له في كتابي الذي لم أدونه إلى اليوم وكان بعنوان (أساتذتي) فقد درست عليه الجزء الأول من كتاب السلطان صالح بن غالب القعيطي (مصادر الأحكام الشرعية) بمعية الشباب: سعيد أحمد منصور، وابن عمه عمر محمد منصور، وأحمد عوض باسباع (الصائغ)، وعبد الرحيم سعيد باسلامة (عامل بناء) - رحمهم الله -، ومن المنتظرين الأستاذ محمد عوض شعيب (من شبام حضرموت)، والنجار فرج سعيد بامطرف، وكاتب هذه النبذة وكنت قد حزت النسخة الوحيدة التي ندرس منها وهي من ملكية ابن الشيخ حسن عوض - رحمه الله-.

والشيخ عوض أحمد سالم باحميش من مواليد مدينة الشحر في نهاية العقد الأول من القرن العشرين على الأرجح وقد نشأ في كنف جده لأمه الشيخ عبد الله سعيد بن عوض باحميش وهو من أهل غيل باوزير وكان خطيباً لجامع الشحر وكان حياً حتى ٣ صفر ١٣٥٣هـ (١٧ مايو ١٩٣٤م) من خلال توقيعه على وثيقة شرعية وهو من قام بتربيته وتعليمه فقد كان لديه مدرسة صغيرة في الجزء الأمامي من بيته فاعتنى بسبطه أيما اعتناء إضافة إلى أخذه من علماء وقته من أهل مدينة الشحر وأظهر نبوغاً مبكراً حتى استقطبته لجنة مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية مدرساً بها لكنه لم يستمر بعد وفاة جده الذي خلفه في خطابة مسجد جامع الشحر واستمرار مدرسته الصغيرة بالبيت ثم أضيف له إمامة مسجد بن عمران وعندها كنا طلبة له مسائيين نقرأ القرآن حتى أذان العشاء ثم نقرأ الحديث وتفسيره وشرحه من قبله حتى قيام صلاة العشاء.

رحم الله الرجل أنجب ولداً هو حسن عوض وقد فارق الحياة شاباً، ثم تزوج للمرة الثانية، فأنجبت له ولداً فارق الحياة شاباً أيضاً، ثم تزوج للمرة الثالثة وأنجب ولدين هما عبد الرحمن وعبد الله - أطال الله أعمارهما-.

أصيب الشيخ بالشلل الذي أقعده ملازماً بيته ولمدة سنة كاملة وفارق الحياة في صباح يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة ١٣٩١هـ الموافق ٥ يناير ١٩٧٢م كما تم تسجيل ذلك في مدونة الكاتب من أخبار الشيخ عبد الله حامد يسر وذلك بعد يوم واحد من سفر والده بمعية الشيخ سالم خميس حبليل لأداء فريضة حج بيت الله وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي خلف الشيخ باحميش في خطابة جامع الشحر.

وهذه النبذة مأخوذة من:

١- مدونة الباحث (الخاذ).

٢- من كتاب مدرسة مكارم الأخلاق لخميس حمدان.

٣- من كتاب (عقود الجمان) لعادل حاج باعكيم.

الشيخ عوض مطران قرينون:

وهو من طلاب مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية ومن الدفعة الثانية، وكان قوامها سبعة طلاب فقط، مما يجعلنا نعد الرقم حسب ذاكرة المؤرخ خميس حمدان الذي وضع كتاباً بعنوان (مدرسة مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) وفيه تراجم لهؤلاء الطلاب ومن سبقهم ومن لحقهم، ويشير المؤرخ بأنه من مواليد الشحر دون ذكر لتاريخ الميلاد. ويشير أن الطالب عوض كان يتمتع بذكاء خارق وذاكرة

جيدة واهتمام للعلم ومحبته وعشق لدرس الفقه بجانب حصوله على النشاط الثقافي المتمثل في رغبته في درس اللغة العربية وفروعها وعلومها. وكان متفهماً إلى ما يجري من نشاط في بلدان الشمال العربي ويتابعه وخاصة ما يدور في مصر فكان يقرأ مجلة الرسالة للزيات ومجلة الهلال لزيدان ومجلة المنار لمحمد رشيد رضا، وكان لأسرته الدعم الكافي لشرائها، فقد كان الرجل منذ أن كان طالباً وهو يفتي في الفقه ويشرح ما غمض من مسائله، وعلى ذلك فقد كان بمثابة ما يعرف اليوم في الجامعات معيداً، ولقد بالغ البعض بأن كان يرى فيه مستقبلاً قاضياً للبلد، هذا ما جاء في ترجمة المؤرخ خميس حمدان له. ويضيف بأنه باشر التعليم في نفس المدرسة ويعتبر من الأساتذة الأفذاذ في فن التعليم علماً وثقافة، ولغة وتعبيراً لما يحتاج إلى شرح وإفادة وتوسع.

ولعل التأثر الفكري ونضوجه لديه نتاجاً لقراءته للمجلات الثقافية الواسعة الانتشار في مصر وشرق مصر وما يصل إلى المنطقة من أخبار عن جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وغيرهم، علاوة على النشاط الديني المتمثل في تحرر الدين من أي شوائب وزيادات، ثم إنه قد تشكلت جماعة التنوير وكان كما أظن أنه كان رئيسها أو زعيمها (انظر ترجمة علي سالم منصور هنا) الذي أفاد واستفاد من نشاط زملائه والعكس على النشاط الفكري الديني وجماعته من أن هناك أساليب تمارس لا تمت بأي صلة للتشريع الإسلامي (مكارم الأخلاق ٤٩) وقد امتلأ جوفه وضاق ذرعاً بتلك الأمور فانفجر ذات يوم وألقى كلمة عقب صلاة إحدى الجمع بمسجد جامع الشحر، يقدرها المؤرخ خميس حمدان أنها قبل ثلاثة أيام من الاحتفال السنوي لزيارة سالم عمر العطاس وقال: وضح فيها ما رآه مخالفاً لتعاليم الدين الإسلامي كما قرأ ... وقد عين ذكر المناسبة التي يجتمع فيها أهل البلد ومن غيرهم بتقديم الألعاب الشعبية المعتادة، ويتم خروج النساء يجتمعن في محل واحد ... وحدد في كلمته ليلة خمسة عشر من شهر محرم. وقصد بذلك زيارة العطاس الحولية وبين ما يراه يعمل بها من أخطاء وشيخه مدير المدرسة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن حاضراً الذي طعم من حديث تلميذه أنه خرج عما يألفه منه فصاح: (أمسكوا هذا الابن الوهابي) هكذا ص٥٨ من الكتاب. وأضاف: (وحاكم البلد عمر بن صالح بن هرهرة من المصلين الحاضرين ... فأشار إلى نائبه ناجي سالم بن بريك وكان بجواره أن يوقف قرينون ويأخذ منه كلمته المكتوبة وأن يجعله رهن التحقيق وهكذا أخذ قرينون إلى مركز الحجز المؤقت بدار ناصر في حفظ الحارس المسلح ثم نقل إلى سجن البلد لفترة لا تزيد على ثلاثة أيام تحت كفالة أهله).

أثاب الله المؤرخ خميس حمدان الذي كان يكتب من الذاكرة ولم يكن يسجل الأحداث في حينها فقد حدث فعلاً ما نقله لكن بعض شخوص الحدث من الذاكرة والصحيح أن الاحتفال الحولي يكون ليلة الخامس عشر من محرم وهذا يعني أنها عصر يوم ١٥ محرم ولا يمكن أن تكون الجمعة قبل ثلاثة أيام

من عام ١٣٦٤هـ فأول جمعة من محرم من تلك السنة هو ما تكون ٦ أو ١٣ محرم وهي توافق ٢٢ أو ٢٩ ديسمبر ١٩٤٤م وهو ثالث أيام الاحتفال الحولي، حيث يبدأ بزيارة حفيدة العطاس رقوان محمد سالم عمر العطاس، ثم اليوم الثاني يوم الغيلي الذي تأتي فرق شعبية مشاركة. انظر بحثنا (زيارة الشحر وصاحبها العطاس) وعدد ٢٣١ و ٢٣٢ ملحق صحيفة (الشرارة) المكلاوية صدر في ٢٣ يوليو ٢٠٠٣م و ٢٦ أغسطس ٢٠٠٣م.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن حاكم البلد الشيخ عمر بن صالح قد أعفي من الخدمة كنائب في الشحر بتاريخ ١٩٤٢/١٢/٢٨م. والشيخ محمد محفوظ الكسادي قد خلفه إلى ٣١ يناير ١٩٤٤م. ثم خلفه الشيخ عمر بن سالم القعيطي إلى مايو ١٩٤٤م، والحادث وقع في حكم الشيخ المقدم أحمد عمر باصرة الذي بدأت نيابته في ٢٦ مايو ١٩٤٤م.

وذكر حمدان أن حديث الشيخ قرينون ظل يردد بين مؤيد ومعارض، وعدد معين يعلنون صحة كلمته وأنها لا تخالف التعاليم الإسلامية.

مع العلم أن الحادث وقع أيام قضاء الشيخ محفوظ عبد الله بن حازب الذي ولي قضاء الشحر بعد محاكمة القاضي السابق شطر في ٢٦ سبتمبر ١٩٤٤م.

فمن الذي أمر باعتقال مدرس مدرسة مكارم الأخلاق، ومن أقر هذا الاعتقال؟ ويبدو لي أن القاضي أرسل مكتوباً لرئيس مجلس القضاء الشرعي بالسلطنة وكان حينها الشيخ عبد الله عوض بكير الذي عين في (١٩٤٤/٨/٥م إلى ١٩٦٥/٤/٤م) يعلمه بالحادث ويستشيره في الأمر. فأرسل القاضي بكير أمراً سريعاً بإطلاق سراحه فوراً ولم يصدر في ذلك حكماً لكنه نبه بأنه لم يرتكب جرماً ولم يأت أمراً يخالف الشرع الإسلامي يستحق عليه الاعتقال.

وبالإشارة إلى قول المؤرخ حمدان: (ولم يصدر قراراً بإدانته) فيظهر أن هناك خلاف حول مسألة قرينون الذي رفع عنه تقريراً للسلطان بعاصمته المكلا وكان يقوم بالأمر الأمير عوض بن صالح لغياب والده السلطان صالح بالهند، ويساعده الكاتب مسلم بلعلاء أحد أعيان المجلس السلطاني الذي رأى أن يحيل القضية إلى المجلس العالي الذي أمر رئيسه بإطلاق سراح قرينون دون قيد ولا شرط ولا حكم عليه وليس عليه أية إدانة ولا على كلمته.

وهناك مسألة تقتضي الإشارة إليها وهي تحويل عمل الرجل إلى مدارس المكلا وفي تلك الفترة اشترك في تمثيل مسرحية لم يدون التاريخ اسمها ولا شيئاً عنها. وقد تدخل اللوبي الخفي بمقترح آخر تحت شعار تضمينا للجراح أو كما قيل بعداً للاحتكاك أو الصدام، أن يغادر المعلم قرينون إلى شرق

إفريقيا وإلى مدينة دار السلام حيث مقر تجارة أسرته هناك. وفعلاً غادر مدينة الشحر إلى منفاه الملزم، إلى مكان لا يجيد فيه لغة أهله ولكن ربما يجد الفراغ الذي سيجدد فيه قراءاته وتنمية معلوماته وتغذيه أفكاره وتنقيح ثقافته بالاطلاع والقراءة، فقد عاد بعد مضي كم سنة (عدة سنوات) ليمارس نفس العمل في تجارة الأقمشة بسوق البلد المشهور بسوق شبام، وقسم أوقاته بين العمل والجلسات الخاصة مع أفراد وجماعات من المتنورين وبين التدريس في إلقاء دروس في الفقه بعد أذان العشاء وحتى موعد الصلاة بمسجد المدرسة واستمر على ذلك زمناً عرفته وخاصة أن لوالدي دكاناً بنفس السوق وعرفته أيضاً من خلال رحلة كانت تضم جماعته وأصدقاءهم وكانوا قد طلبوا بيتاً لجدي لأمي الشيخ مبروك جمعان دريقان بقرية معيان المساجدة إضافة إلى مشاهدته في مقر نادي الاتحاد الثقافي الإصلاحي المقابل بوابته بوابة المكتبة السلطانية مع عدد من جماعته التنويريين.

رحم الله الرجل الذي هدته منغصات الحياة مشاركة مع الكبر فألقى عصا الترحال زاهداً في حياة الدنيا وذلك عام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م كما يشير إلى هذا المؤرخ خميس حمدان في ترجمته للشيخ قرينون في كتابه (مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) وقد اعتمدنا عليه في كتابة هذه النبذة مضافاً إلى مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي مع أحاديث الرواة ومنهم الشيخ عوض سالم عبدن ومدونة الكاتب الخاذ.

الشيخ القدال سعيد القدال:

معلم سوداني ولد بمدينة القضارف عام ١٩٠٣م، التحق بخدمة حكومة السودان عام ١٩٢٧م ناظراً لمدرسة سنكات الأولية.

ابتدأ القدال نظامه التعليمي في مدرسة كسلا الأولية، ومدينة كسلا أنشأها الحاكم التركي المصري عام ١٨٤٠م، ثم درس بمدرسة العرفاء في الخرطوم وامتدت فترة الدراسة إلى عام ١٩١٨م.

وفي ١٩١٩/١/١م تعين القدال معلماً في مدرسة كسلا الابتدائية بمرتب ٣٦ جنيهاً في العام وكان استهلاله في الحياة العلمية في كسلا بداية لها إيجابياتها، فكسلا موطنه يعرفه أهلها ولأسرته مكانة مرموقة بها.

انضم القدال إلى نادي الموظفين في كسلا وهو ملتقى الصفوة المتعلمة، وأنشأ في النادي جمعية تعنى بعرض الإنتاج الأدبي سماها (ثمرة القراءة) وكانت الجمعية منبراً ثقافياً هاماً.

بعد ثمان سنوات كشفت بعض جوانب قدراته التربوية، فتمت ترقيته إلى الدرجة الثامنة في ١٩٢٧/١/١١م ونقل إلى سنكات ناظراً لمدرستها الأولية.

في عام ١٩٣٤م أنشئ معهد بخت الرضا لتدريب المعلمين للمرحلة الأولية، وكانت فترات الشيخ القدال في بخت الرضا مفعمة بالحيوية وغنية بالتجارب التربوية وكسب ترقيات.

وعندما طلبت حكومة حضرموت من المستر قريفت عميد بخت الرضا أن يرشح أحد رجال التربية السودانيين ليساعد في النهوض بالتعليم، صاح فيهم قائلاً: لقد وجدت لكم الشخص المناسب.

جاء الشيخ القدال إلى حضرموت عام ١٩٣٩م ومكث بها حتى عام ١٩٥٧م حين بلغ سن التقاعد.

وعندما عقد الإنجليز معاهدة الاستشارة مع دولتي حضرموت عام ١٩٣٧م أرادوا إدخال التعليم الحديث ضمن ما سعوا لإدخاله من أساليب ومؤسسات حديثة، وطلب المستشار البريطاني في حضرموت من والي عدن إرسال خبير تربوي ليضع خطة لتطوير التعليم في حضرموت لمدة عشر سنوات، فتم إرسال (المستر قريفت) عميد مدرسة بخت الرضا الذي جاء إلى حضرموت عام ١٩٣٨م ووضع تقريراً عن واقع التعليم في حضرموت، ثم ذهب الشيخ القدال إلى حضرموت، ليعمل مساعداً للمستشار للشئون الثقافية، مما جعله مسئولاً على التعليم في كل من الدولتين القعيطية والكثيرية، ثم عينه سلطان حضرموت ناظراً للمعارف بالدولة القعيطية.

وكان الشيخ القدال قد وصل إلى المكلا صباح يوم صائف من عام ١٩٣٩م ولم يجد أحداً في استقباله كما كان يتوقع.

وكانت التجربة الثانية عندما ذهب إلى مدينة الشحر في أيامه الأولى وزار مدرستها وقال: (وجدت مدير المدرسة وضع نظاماً للمدرسة ومن هذا النظام وجوب خلع الأحذية قبل دخول المدرسة وهو نفسه يخلع حذاءه واتبعنا ما كان جارياً ولم نرد أن نخلق مشكلة في موضوع ألفه الناس ولن نجد من يساعدنا إذا خالفناه وعلى أن الأمور في المستقبل سارت كما شاءت الظروف وأصبح من الممكن دخول الناس إلى المدرسة بأحذيتهم (ص٥٧ من كتاب القدال..). وعندما أحيل المدير إلى المعاش أسهمت بقدر المستطاع في مساعدة المعهد الديني الذي أنشأه في مدينة الشحر. (ص٥٨)

وكان خطه الثاني أن يجد سبيله للناس ويتعرف على العاملين في محيط التعليم والشخصيات المؤثرة في المجتمع ويقيم معهم علاقات تفتح آفاقاً من العمل وتساعد على تسييره، وأن ينقل تجربة

سنكات لكن على نطاق أوسع وفي مجتمع جديد عليه، مجتمع له جذوره الحضارية التي تستمد من التراث الإسلامي، فوطد علاقاته مع رجال الدين والعلماء.

كما أظهر صفات ممتازة لأعيان البلاد وفقرائهم، وتحدث الشيخ أحمد الملاحي عن تجربته الشخصية عند زيارة الشيخ القدال مدرسة مكارم الأخلاق فقال: (ثم زار المدرسة يوم السبت، واستقبله مدير المدرسة والمدرسون، وأرادوا أن يجمعوا له الطلبة في قاعة الحفلات فرفض، وعرضوا عليه أن يزور الطلبة في فصولهم فأبى ولكنه قال: (إني أريد أن أتعارف مع المدرسين واحداً واحداً، فتعرف عليهم وكتب أسماءهم وتاريخ التحاقهم بالمدرسة وقدر ماهياتهم وأنا واحد منهم) (المذكرة التاريخية..خ)

وفي عام ١٩٤٠م ابتدأ القدال في تنظيم المدارس بالمكلا، ثم في الشحر وأثناء وجوده بالشحر سمع باحتلال الإيطاليين مدينة كسلا أي في ١٩٤٠م.

ونستطيع أن نسجل رأي المستشار البريطاني بالمكلا المستر (يوستيد) الذي قال: (استطاع الشيخ القدال ناظر المعارف ومساعد المستشار الثقافي من ٣٩ ـ ١٩٥٠م استطاع أن يؤسس شبكة من المدارس الأولية على امتداد الدولة القعيطية وأسس الرغبة القوية لدى الناس للمزيد من افتتاح المدارس).

وفي ديسمبر ١٩٥٠م عينه السلطان صالح سكرتير الدولة أي بمثابة رئيس الوزراء رغم ما انتاب التعيين أكبر حادثة شهدتها المكلا وهي حادثة القصر الشهيرة المؤلمة التي أدت إليها شعارات المطالبة بالسكرتير الوطني. (انظر كتاب حادثة القصر لأحمد عوض باوزير)

وقد مكث في الوزارة حتى عام ١٩٥٧م وعاد بعدها إلى السودان، ثم رفض أية مناصب ومهام أخرى ورغب في عدم الهجرة، وعين مشرفاً عاماً لتعليم البنات بشرق السودان، كما عمل رئيساً لبلدية كسلا.

وفي عام ١٩٧٤م مرض الشيخ ولزم الفراش، ثم فارق الحياة الساعة الثالثة عصراً يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٥م في الخرطوم.

استندنا في هذا إلى كتاب ابنه الدكتور محمد سعيد القدال (الشيخ القدال باشا، معلم سوداني في حضرموت) واستعنا بمذكرة الشيخ أحمد الملاحي المخطوطة وكتاب (حادثة القصر) لأحمد عوض باوزير.

المؤرخ مبارك صالح لرضي:

لا يخرج المؤرخون الحضارمة الأوائل عن اثنين مؤرخ حوادث أو كاتب سير وتراجم. وفي الحقيقة أنهم لم يكونوا بدعاً في هذا المجال خاصة إذا ألقينا نظرة إلى مؤلفات القدماء ومنهم أهل الجنوب ومنهم مؤرخنا الشيخ مبارك صالح لرضي (الأرضي).

وهذا الشيخ من أهل مدينة الشحر، ولد فيها في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وتوفي بها في ٢٥ رجب ١٣٨٤هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٦٤م، وعاش فيها جل حياته رجلاً متوسط الحال يعمل بتجارة التجزئة ويقع بيته على فوهة السوق الغربية الرئيسية لمدينته القريبة جداً لحصن الدولة (حصن ناصر) مما جعله يطل مباشرة على الأحداث المحلية وغير المحلية.

وكنت قد سمعت عن هذا الشيخ المؤرخ سابقاً غير أني لم أطلع على شيء من أعماله وفي الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر ١٩٩٥م كنت في جلسة مع بعض الأصدقاء نتحدث عن أشياء تعن لنا ومنها تاريخ مدينتنا، فتفضل حفيد المؤرخ الصديق العزيز محسن علي مبارك الأرضي بالإشارة إلى وجود أوراق من مدونات جده اليومية ثم أطلعني عليها مشكوراً في اليوم التالي.

كانت تلك الأوراق التي استطعت أن أجمعها في سجلين غير متكاملين في حالة غير جيدة، جعلني هذا انتقد صديقي على إهماله وقد عذرته حيث كان صغيراً لا يدرك أهمية مثل هذه المدونات عند وفاة جده المؤرخ.

وفي هذين السجلين نجد أن المؤرخ الأرضي قد بدأ في تسجيل أحداث مدينته ومنطقته وأحداث أخرى عالمية منذ يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٣٥٩هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠م وحتى ٢٢ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٦٠م أي أنه استمر يدون يومياً تلك الأحداث ولمدة عشرين عاماً متواصلة وأظن أن هذا ليس كل ما دونه المؤرخ الأرضي، ففي غلاف منفصل لأحد السجلين حساباً تجارياً حرر في عام ١٩٣٥م وقد لا يكون له علاقة بما يحتويه السجل نفسه، وقد أشار الصديق محسن بأن هناك أوراقاً أخرى تمزقت من فعل البلى، فهي تتقطع عند ملامستها أو ثنيها، وأحد السجلين في حالة شبيهة بما قلناه وأكثر وبعض أوراقه مفقودة فمثلاً نجد تاريخ توقيع اتفاقية تأجير بيت بن رمضان ليكون المكتبة السلطانية بالشحر في حين أننا لا نجد تاريخ افتتاح المكتبة! ذلك اليوم الذي حضر فيه السلطان صالح بن غالب بنفسه لافتتاح المكتبة. وربما جاء ذكره في الأوراق المفقودة، ولي أمل في العثور عليها حيث إني عاقد العزم على محاولة تحقيق هذا المخطوط ونشره من نسخة واحدة ويحتمل أن أجد التاريخ في أحد أضابير المخطوط.

والشك يتطرق إلى هذه المسألة فأحياناً كثيرة نجده يؤرخ لحادثة بعيدة استطراداً عند ذكره لحادثة قريبة، فمثلاً عند ذكره لبيع آل باشراحيل محلاتهم التجارية الكائنة بالسوق والمعروفة بالعكف الشرقي، أشار إلى أن العكف الغربي يواجهه وقد بناه آل (بو سبعة) من تجار المكلا وعند نهاية بنائه حدثت هدة (عراك) بين رجال من حي باعوين ورجال من حي باغريب وكان ذلك في عام ١٣٢٨ه (١٩١٠م)وقد اهتم في مدونته بتسجيل حوادث عظيمة وعلى المستوى العالمي وحوادث أخريات بسيطة جداً كشراء حطب أو يوم حجامته أو ختان أطفاله أو تنظيف بلاليع حماماته، إلا أن هذه الأمور لا تخلو من فائدة، فهي تعطي الدارس فكرة عن محتاجات الأسرة وأنواعها وأسعارها والأشخاص الذين يقومون بخدمات اجتماعية هامة رغم صغرها أو حقارتها في نظر البعض.

وتتنوع مدونة الأرضي بين تاريخ الوفيات والمواليد والتعيينات الجديدة للنواب والقضاة والعسكريين وأخبار الحروب والغارات وحوادث النهب والسلب والقتل وصلح القبائل مع الحكومة والاحتفالات والزيارات الموسمية والصادرات والواردات وصرف العملة وأسعار المبيعات والخسوف والكسوف ومواسم السفن الشراعية وغير هذا كثير، رحم الله المؤرخ مبارك صالح الأرضي وجزاه الله عنا خير الجزاء.

وللمزيد عن ترجمة المؤرخ الأرضي ننظر إلى:

* مدونته التاريخية الموجودة بيد أهله.

* مقالة لكاتب هذه السطور (الأرضي ومدونته التاريخية) نشرة الفكر الغيلية العدد الخامس يناير ـ مارس ١٩٩٧م.

مبارك عوض باراشد :

وهو من أهل قرية تبالة، التي تقع شمال مدينة الشحر وتبعد عنها بخمسة كم درس على أستاذه الشيخ سالم مبارك الكلالي وهو من قريته والشيخ عمر بادباه من قرية الصداع، وقد تم اختياره وزميله الشيخ والقاضي فيما بعد سالمين سالم سرور وأستاذهما الشيخ الكلالي، مدرسين بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية عند افتتاحها في ١٠ صفر ١٣٣٧هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٩١٨م، وقد استمر معلماً بالمدرسة حتى أدرجت مدرسة مكارم الأخلاق ضمن البرنامج التعليمي الجديد بعد تنظيم إدارة المعارف برئاسة المعلم السوداني القدال سعيد القدال، الذي عين ناظراً للمعارف بالدولة القعيطية في عام ١٩٤٤م، وعندها عين المترجم له ضمن السلك التربوي معلماً وتم تحويله إلى مدينة الديس الشرقية كي يفتتح بها هناك مدرسة نظامية تحت رعاية نظارة المعارف.

وكان الشيخ - رحمه الله - محل ثقة واعتزاز بين مواطني المدينة، فأحب المدينة وأحب ناسها، ومكث فيها بقية عمره وتزوج منها.

وقد تولى خطابة جامع الديس وقعد بالمسجد لتدريس مبادىء الفقه وخاصة فقه العبادات.

وقد توفي بسبب لدغة ثعبان بجدار بئر اعتاد النزول إليها للاغتسال كل صباح، وقد أفادني الأستاذ طاهر ناصر المشطي الذي يحبر اليوم محاولته الأولى لكتابة تاريخ مسقط رأسه مدينة الديس الشرقية بأن الأغلب يتفقون على أن وفاته ما بين عام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠م - رحمه الله وأسكنه جنته -.

القاضي محفوظ عبد الله بن حازب:

من أهل مدينة الشحر درس على كتّاب المدينة ثم أكمل دراسته بمدرسة مكارم الأخلاق منذ افتتاحها وهو من الرعيل الأول وكان طالباً مجتهداً وقد وصف بجده واهتمامه باللغة العربية وعلومها وبالأخص نحوها وصرفها وألفاظها وقد انعكست عليه عند حديثه دون تكلف وكان مهتماً أيضاً بالفقه ولهذا أسندت إليه شروح الحواشي على متون الكتب عند مباشرته في فن التدريس، ثم ارتقى إلى نيابة المدرسة حتى تحولت إلى مبناها الجديد بجانب مسجد باذييب، ثم عمل بالقضاء بمعية صديقه الشيخ شطر ثم شارك في محاكمته وخلفه في قضاء الشحر. (انظر ترجمة القاضي شطر هنا)، بعد أن أبعد من قبل المحكمة المشكّلة لمحاكمته ثم عين قاضياً ببلدة دمون التي تقع مجاورة لمدينة تريم ومباشرة. «وقد وصف الرجل بالنزاهة والعفة وكان علماً للعدالة والإنصاف»، وهو كما قال المؤرخ حمدان وأضاف قائلاً: «قد يتعصب لرأيه ويصر عليه ولو خالف الآخرين» لكن ذلك يحدث عندما يكون متأكداً من مصادره ومراجعه.

وقد اشتد عليه المرض في مقر عمله ببلدة دمون فكان يتألم من مرض ألم به قيل إنه في بطنه وعندها فارق الحياة فيها في يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ الموافق ٢٧ مارس ١٩٥٠م وقد اعتمدنا في ترجمته على مذكرة الشيخ مبارك الأرضي وأحاديث الراوي عوض سالم عبدن وكتاب خميس حمدان (مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) وفيه يذكر أن وفاة القاضي كانت عام ١٣٧١هـ.

محمد سالم المزجاجي:

الشيخ محمد سالم المزجاجي من أهل مدينة الشحر ونحن نجهل تاريخ ميلاده وهو شخصية اجتماعية ثقافية رياضية، يشار إليه عند تكوين الأندية الثقافية الاجتماعية الرياضية ففي عام ١٩٥٢م تأسس نادي (الاتحاد الثقافي الإصلاحي الرياضي) بالشحر وكان الشيخ محمد سالم أول رؤسائه وقد تم

اختيار بيت السيت الهندي درويش، وهو اليوم في ملكية الشاعر المرحوم مبارك عوض الكلالي وهو من أهل مدينة الحامي والمتوفى بجدة، وقد أظهر هذا النادي منذ تأسيسه وافتتاحه بمقره بيت السيت الهندي درويش مقابلاً للمكتبة السلطانية بالشحر نشاطاً ملحوظاً في المجالات التي ضمتها لوحته المرفوعة على جدار بوابته الرئيسية وقد ضم عدداً من المثقفين ورجال الدولة والأعيان في عضويته وقد تعاقب على إدارته أكثر من رئيس كان آخرهم القاضي عبد الله محفوظ الحداد.

ويهمنا من ترجمة الشيخ محمد أن نذكر أنه كان حريصاً على متابعة الأنشطة الثقافية والسياسية هنا وفي العالم العربي من خلال متابعة الصحف والإذاعات وقد عرفته - رحمه الله - عندما كان يعمل بالمكلا مديراً لفرع تجارة مؤسسة جدي سالم وأخيه جدي لأمي مبروك جمعان دريقان، وقد أمضيت ما يزيد على شهرين عام ١٩٥٨م أتطبب على الطبيب الهندي (رواندي) بالمكلا وأنا أساكنه بمعية والدي وألاحظه يعطف رقبته ويغلق عينيه على المذياع الصغير حين نشر الأخبار وحتى لا يزعجه أحد. وقد توفي - رحمه الله - بالشحر عام ١٩٧٨م، والنبذة من مدونة الباحث (الخاذ).

الشيخ محمد صالح بارجاء:

هذا الرجل من أهل مدينة الشحر حيث كان ميلاده بها ما بين العقدين الثاني والثالث أي (١٩٢٠م - ١٩٣٠م) وأرجح الأخير، درس أولاً كأترابه في الكتّاب التي تعرف عندنا (بالعُلمة - العلم) ثم أدرج بين طلاب مدرسة مكارم الأخلاق الذي وصفه أحد أفراد أسرته قائلاً: (وقد منحته شيئاً من اسمها فظل فعله الكرم والأخلاق إلى يوم مرضه) قال الشيخ خميس في ترجمته: (عاصر جميع نواب الدولة الذين تعينوا للعمل في هذا اللواء) ويقصد الشحر وهذه مدة طويلة فمن هو أول نائب في لواء الشحر عمل معه، وعلى أي حال فهو بهذا لم يحدد زمن عمله بإدارة اللواء مديراً لإدارة نيابة اللواء بالشحر إلا على وجه تقريبي فقال: (وتقدر مدة عمله بنحو ثلاثين عاماً تقريباً) فإذا ترك العمل عند الاستقلال ١٩٦٨م يكون أول عمل له ١٩٣٨م وهذا يعني أنه بدأ عمله وهو ابن الثامنة من عمره فمتى كان عام التخرج من مدرسة مكارم الأخلاق؟

ولقد عرف الرجل في الستينات وما قبلها المسئول الإداري بنيابة الشحر أيام الدولة القعيطية وهي وظيفة نائب النائب وكان يدير العمل بحنكة واقتدار وكأنه قد خلق له، وليس علينا إلا أن نعلم أنه ملء الأسماع ولا يمكن لساكن الشحر إلا أن يعرفه ويكفي أن نقول إنهم يعرفون حتى لبسه وألوانه المفضلة وطاقيته وكيف يلبسها فيعمدون على تقليده وهذه حقائق لا مراء فيها. وقد غادر البلاد بعد نيل الاستقلال ١٩٦٨م إلى المملكة العربية السعودية وأنه اختار الرياض عاصمتها وقد كرمه الله بأن يوفر له عملاً بشركة تجارية مصرفية حيث أعطي له درجة مدير لها ثم يتحول إلى شركة مماثلة ولكنها أكبر

وأعظم وقد عمل بها متفانياً في عمله الكبير هذا واستمر إلى نهاية حياته حيث أصيب بمرض رقد فيه بما يعرف (بالموت السريري) مدة تقرب من عام كامل ثم أسلم روحه إلى بارئها في الرياض في فجر الخميس ٢٠١٢/٥/٣م - رحمه الله - وقد تمت الصلاة على جثمانه بجامع الملك خالد بأم الحمام، ووري جثمانه بمقبرة الجامع نفسه إنا لله وإنا إليه راجعون.

محمد عمر العماري:

وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٣٠٢هـ (٨٤-١٩٨٥م). درس على شيوخ مسقط رأسه في الكتاتيب والمساجد والمنازل.

في سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) أرسله والده إلى سيئون ليدرس برباط الحبشي، وفيه تلقى العلوم الشرعية والعربية والفقه والفرائض في سنة واحدة. ولكنه عاد إلى سيئون ليكمل دراسته بها ويمضي ثلاث سنوات بالرباط. عاد إلى الشحر في عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م).

وانتشرت عنه أخبار بأنه ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والعمرة، وهناك سمع بمكة من علمائها، ويظهر أنه ذهب ليتلقى العلوم في أشبه ما يكون دورة تأهيلية، وفي هذه الفترة تمكن من أداء فريضة الحج. ولكننا لا نعلم المدة التي قضاها هناك. ومن المهم أن نعلم أن فكره تجدد وربما لقي من ساهم في درسه الحديث النبوي وعلم التوحيد، فقد جاء على خلاف لما ذهب، فقد تغيرت أفكاره، عاد بفكر سني يرفض كل ما كسبه في فترة شبابه من فكر صوفي، ولعل الكتب والمراجع التي جلبها معه كانت الفيصل في انقلاب فكره وتجديده.

وفي عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) تولى قضاء الشحر، ولعل أول قضية اطلعت عليها كانت نقضاً للحكم في قضية أثيرت من جديد بحكم فذيلها بحكم بتوقيعه بذيل الوثيقة، خادم الشرع محمد عمر سالم العماري وهي مؤرخة في ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م).

ومن وثائق أخرى مؤرخة ١٣٣٦هـ، ١٣٣٧هـ، ١٣٣٨هـ، ١٣٣٩هـ، ١٣٤٠هـ وهو الحاكم الشرعي. ويبدو لي أنه توقف عن مزاولة عمله نتيجة لتدخل وزير الدولة حسين بن حامد المحضار ونقده للقاضي في نزعه لنظارة الأوقاف من المتولين على بعض المساجد وكانوا يسيطرون على أوقافها، ويقال إنه تلقى أمراً لعدم التعرض لهذا الأمر ما اضطر الشيخ لطلب الاستقالة (انظر ص١٠ من كتاب دق المسمار ت باريدي).

وفي عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) حاول الحاكم الإداري النائب عمر صالح بن الشيخ علي عودة القاضي العماري للقضاء بشرط إرضاء من نزع منهم نظارة الوقف على المساجد فرفض الشيخ هذه المسألة وفيها أكثر من التردد على بلدة الحامي والريدة وقصيعر حيث كان يقوم (بجهد مبارك في هذه البلدات من نشر العلم ودعوة للسنة وحرب للبدعة).

وكرر ذلك في ذهابه للديس الشرقية وتولى التدريس والإمامة والخطابة في جامعها، وفي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) كلف من قبل السلطان صالح بن غالب أن يذهب إلى المشقاص (الريدة وقصيعر) لينشئ بها أول محكمة شرعية هناك، ثم نقل إلى الديس بعد سنة واحدة فمكث فيها قاضياً لمدة اثنا عشر سنة وبعدها أحيل للمعاش.

وللقاضي محمد عمر عدة أبحاث لم يطبع منها بعد تحقيقه غير (دق المسمار، نصيحة وإنذار) حققه أولاً الشيخ حسن محمد العماري وصدر عام ١٩٦٠م عن دار المعارف بالطائف، ثم صدر مرة أخرى بتحقيق الشيخ محمد فرج باريدي باسم (دق المسمار على متخذي الطار) عن دار الآثار بصنعاء عام ٢٠٠٨م. وللشيخ أيضاً:

- تذكرة الغافل في الوعظ والإرشاد.

- (مبحث المبحث في الاحتجاج بخبر الآحاد) رد فيه على بحث السلطان صالح.

- بغية المسترشد في واقعة المسجد.

- فتوى عن حكم الاستغاثة بغير الله، حققه الشيخ.

- وله رسالة في النحو.

- وله عدد من القصائد في مناسبات مختلفة تبين مواقفه في بعض الأعمال التي أحكم فيه رأيه السني.

وعمل في آخر حياته بنيابة عقود الأنكحة في الشحر، وتوفي - رحمه الله - في ٢٢ من شهر صفر ١٣٩١هـ الموافق ٨ إبريل ١٩٧١م في الشحر وقبر بها.

النائب محمد محفوظ الكسادي:

من أهل بلدة الحامي الشهيرة، فقد كان ميلاده فيها عام ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢م. درس بها ثم بالشحر على يد شيوخها وعلمائها، ثم عمل بالبحر سفراً وترحالاً حتى وصل إلى درجة ناخوذ، حتى عام

١٣٣٩هـ = ١٩٢١م وهو العام الذي توفي فيه والده الذي حكم الحامي منذ عام ١٣٠١هـ = ١٨٨٢م. فكان عميد الأسرة ما بين (١٣٣٩- ١٣٧٩هـ) ومكث في حكم الحامي إلى عام ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م.

وفي تاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٣٦١هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٤٢م عين نائباً على بندر الشحر خلفاً للنائب عمر صالح بن طاهر بن هرهرة ثم أحيل للمعاش في ٣١ يناير ١٩٤٤م.

ومن غير المعقول ألا يكون هذا الرجل وهو نائب لواء الشحر في الفترة التي افتتحت مكتبة الشحر خاصة وأن السلطان صالح وهو النائب عنه ألا يكون من الحاضرين إلا إن كان هناك عذراً مقبولاً، وكل ما نستطيع كتابته هنا هو أنه كان نائباً للواء الشحر مابين (٢٣ ذي الحجة ١٣٦٠ إلى ٦ صفر ١٣٦٣هـ وتوافق ٣١ ديسمبر ١٩٤٢ على ٣١ يناير ١٩٤٤م) وهو ما سجله المؤرخ مبارك صالح الأرضي في مدونته التاريخية المخطوطة.

وتوفي النائب محمد يوم السبت ٢ شعبان ١٣٧٩هـ ٣٠ يناير ١٩٦٠م وحضر تشييع جنازته إلى مقره الأخير ببلدة الحامي وفد من رجالات السلطنة القعيطية والشاعر حسين أبو بكر المحضار وألقى فيه قصيدة تأبينية منها:

غيب الطوفان في البحر منور　　في الغبب ما لحقنا مثيله

عالسفن له عادات عالبحر يطلع　　يشل كم فلك مشحون

وللمزيد الرجوع إلى مجلة شعاع الأمل عدد ١٥٥ مارس ٢٠١٥م فقد نشرت مقالاً عنه كتبه محمد علوي باهارون.

محمد محفوظ باخميس:

الأستاذ محمد من أهل مدينة الشحر ومن المواليد فيها درس على كتاتيبها ولكن والده الشيخ محفوظ سالم باخميس أحد علمين مشهورين من حذاة الطرق الصوفية بالشحر. وقد أرسله ليكمل دراسته برباط علي الحبشي بسيؤن وقد تمكن الرجل في التحصيل خاصة الفقه واللغة العربية وقد صقل ثقافته بالقراءة في التاريخ على الخصوص فأعانه على رفض ما كان يقوم به والده من نشاط صوفي وقد التحق بسلك التدريس وصاحب شلة من الأصدقاء أطلق عليهم جماعة التنوير على رأسهم الشيخ عوض مطران قرينون (انظر ترجمته هنا) وقد تنقل بمدارس الساحل من المكلا والشحر وحتى الريدة وقصيعر معلماً

منحه الله قدرة على الحفظ من التراث العربي شعراً ونثراً فكان ناتج القراءة ان أعانه على عطائه الشعري الفصيح والعامي وكذلك نثره الذي انتشر كناقد للأوضاع الاجتماعية.

وقد ترك التدريس لأسباب عرفنا منها تبرمه من عدم المساواة بين المعلمين ومنها الرواتب وعدم العدل في التنقلات وقد سجل مقامة شعبية تهكمية سمعنا البعض من أجزائها هنا في الشحر من أكثر من أستاذ ومنها:

(فمن كانت نقلته على المكلا فأهلا وسهلا، ومن كانت نقلته إلى الشحر فليكثر من الذكر، ومن كانت نقلته إلى الغيل فلا وزن ولا كيل، ومن كانت نقلته إلى الديس فليتعوذ من إبليس، ومن كانت نقلته إلى الريدة فليحند خبزه وعيده ...) وهكذا في بلدان دوعن ونقد آخر من الشعر، (منارة الشحر العلمية، حمدان، ص٨٧).

ولم يهتم المؤرخ حمدان بتاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، ولكننا نستطيع تحديد زمن حياته من خلال صداقته لأترابه من جماعة التنوير.

قال الشيخ حمدان في كتابه (الشحر عبر التاريخ): (وعلى سبيل الذكر نذكر بعضا ممن برز منهم في عصرهم، مثل الأساتذة:

عوض مطران قرينون، محمد عوض عشار، عمر سعيد باغزال، علي سالم منصور، سالم عبد الله مخارش، محمد محفوظ باخميس، عقيل سعيد بن إسحاق، علي سعيد سرور، أحمد عبد الله الهندوان، علي صالح باشراحيل، عبد الله أحمد باشراحيل.

ولا نعلم سبباً مباشراً لتركه مهنة التدريس، وعمل بعد ذلك محامياً بمحاكم المكلا واستمر في هذا العمل مدة وكان ينتقد أوضاع المحاكم الشرعية في حضرموت وبشكل ساخر ولعل مقالاته التي ينشرها بصحيفة (الجنوب العربي) لصاحبها أحمد عمر بافقيه تمثل ذلك ومنها مقاله الذي نشره بعنوان (خير بابكير) من الأسباب التي منع بسببها من ممارسة المحاماة، ثم سافر إلى عدن وعمل مدرساً بمدرسة بازرعة ثم بمنطقة دثينة وفيها كان يمد الصحف بمقالاته الناقدة الساخرة، - رحم الله الرجل - فقد طمست أخباره ونشاطه وشعره ومقالاته، وكأن أياد تعمدت ذلك ومن شعره هذا النموذج:

قضاة يرون الحق وفق هوائهم ذئاب على أجسامهن ثياب

وفي عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) أصيب بمرض سل العظام، ولم ينفع معه العلاج مع محاولاته التطبب، فعاد إلى الشحر بحراً واستقبل من مؤسسة آل دريقان بالمكلا وأسلموه لوالده وقد تبالغ مرضه فمات بعد مضي زمن يسير أو سنوات قليلة ولم أقف على تاريخ وفاته.

وقد اعتمدنا على ما كتبه الشيخ خميس حمدان في كتابه (منارة الشحر العلمية) وأخبار الراوي عوض سالم عبدن ومدونة الباحث.

ناجي سالم بن بريك:

وهو من أهل مدينة الشحر وكان ميلاده فيها، وهو أحد طلاب مدرسة مكارم الأخلاق في دورها الأول ولم يواصل دراسته حتى إكمال المرحلة بها، لكن الشيخ سالم ناجي بن بريك الذي كتب له الشيخ خميس ترجمة وردت في مخطوطته (أعلام شحرية) أشار إليه ووصفه بصديق الكتاب وأن له الدور الأعظم في تربيته وتعليمه.

والمترجم له من الذين برزوا في نشاطهم الفكري والعلمي فقد كون لنفسه من خلال القراءة والاطلاع مكانة طيبة وموقفاً يشار إليه بالبنان، ومنه أن السلطان صالح بن غالب اختاره ليكون كاتباً إدارياً بنيابة الدولة في لواء الشحر ومساعداً للنائب عمر صالح بن الشيخ علي، وهو من أول من عمل على تنظيم أرشيف الإدارة والاحتفاظ بملفاتها وأوراقها، وكان المحرك الفعلي للاتصالات الرسيمة بالمكلا العاصمة بإدارة السلطنة وسكرتاريتها، وقد عمل بها مدة لا تقل عن عشر سنوات (منارة الشحرص٢٥)، ثم عمل بالمحاماة لدى المحاكم الشرعية بالشحر والمكلا.

ويبدو أن الرجل كان وجيهاً لدى السلطان صالح وكسب ثقته فقد سمح له بأن يقيم نادياً بالشحر سمي (نادي الإصلاح) جمع به موظفي الدولة وبعض من تجار البلد وأعيانها، وهو فرع لنادي الإصلاح بالمكلا الذي افتتح عام ١٩٤٠م وقد أسسه مجموعة من أعيان البلد وترأسه الوجيه عبد القادر بن أحمد بافقيه، فقد كان الناديان وجهين لعملة واحدة ويعتقد البعض أنهما من ابتكارات السلطان صالح بن غالب وهما من أندية الدولة، والناديان لا يختلفان عن (نادي الموظفين) السابق بالمكلا الذي تأسس عام ١٩٣٨م والذي تولى رئاسته الشيخ مسلم بلعلا وإدارة الشيخ محفوظ بن عبده، ويظن أنه في سلة واحدة مع نادي (غرفة الموظفين) الذي أسسه المستشار البريطاني أنجرامس في الأربعينات (الشحر عبر التاريخ لحمدان ص١٥٥، والسلطان صالح لباحمدان ص٦٩)

وأخيراً فقد أعياه المرض وعاد إلى الشحر متقاعداً وتوفي - رحمه الله - في ٣٠ ذي القعدة عام ١٣٦٨هـ الموافق ٢٢ سبتمبر من عام ١٩٤٩م كما جاء في مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي.

الشيخ ناصر عمر مخارش:

يقول آل مخارش إنهم من آل القعيطي اليافعيين، ولم يرفض آل القعيطي هذا النسب فهم لا محالة منهم (وثائق بامطرف)، والأستاذ ناصر عمر مخارش منهم وهو من مواليد الشحر عام ١٩١٧م، درس أولاً على الكتاتيب هنا في الشحر ثم لما فتحت المدرسة الأهلية مكارم الأخلاق كان أحد طلابها، وقد أكمل منهجها كله، فكان أحد المرشحين الثلاثة للدراسة بإحدى ثانويات مدينة المنامة عاصمة إمارة البحرين مع أحمد محمد العطاس وعبد الله عوض باجبير، وعاد إلى الشحر فور نهاية المرحلة التعليمية الثانوية العامة، فوجد أن الوظيفة تنتظره معيناً كاتباً لدى السلطان ثم بسكرتارية الدولة، وتنقل بين العملين بالمكلا مدة طيبة، لكنه لأسباب نجهلها فضل السفر (إلى المملكة العربية السعودية في الوقت الذي بدأ بها وجود النفط في المنطقة الشرقية في حياة الملك عبد العزيز) هذا ما نصت عليه ترجمته في كتاب المؤرخ خميس حمدان (منارة الشحر العلمية..) وكان الملك عبد العزيز قد وقع على اتفاقيات البحث عن النفط في بلاده، وعندها بدأت قصة اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية.

وفي ٤ مارس ١٩٣٨م تدفق النفط من بئر الدمام (رقم ٧) التي أمر الملك بتغيير اسمها إلى (بئر الخير) وكانت تباشير اكتشاف النفط هناك، وكانت أول شحنات النفط المصدر بعد ذلك ثم ظهرت نتائج بيع النفط على الحياة في المجتمع السعودي. ومنذ ذلك التاريخ والخير العميم جراء توزيع النفط وبيعه معكوساً على البلد والنشاط التجاري باسط يديه على كل الأفراد وتدفق الكثير من الناس إلى هذا البلد للبحث عن عمل هناك، ثم تبع ذلك هجرة الحضارم إليها ومنهم الشيخ ناصر عمر مخارش.

وهناك عمل في أعمال مختلفة كان أولها مترجماً بشركة رضا وكانت لتجارة الأقوات واللؤلؤ ووكالات البواخر التجارية، وعمل أيضاً في المصارف مع شركة الكعكي وبن محفوظ، وكان أساس البنك التجاري، وقد افتتح فروعاً له في مصر ولبنان وسوريا وعاد إلى الرياض، وكاد له المدير الجديد الذي كان تحت إمرته، فتأثر كثيراً مع ضائقة مالية (وكان لخصمه الدور الانتقامي) كما يشير إلى ذلك الشيخ خميس حمدان، فأقعده المرض بالشلل النصفي بالبيت وأسلم الروح لباريها، ودفن بجدة عام ١٩٧٠م.

كل ذلك مأخوذ من كتاب المؤرخ خميس حمدان (منارة الشحر العلمية) وهناك فائدة فقد أشار المؤرخ مبارك الأرضي في مدونته التاريخية إلى أنه: (في يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة ١٣٦٨هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٤٩م وصل السكرتير سيف بوعلي البو علي العماني الزنجباري إلى الشحر في شأن الزواج حقه على أخت كريمة ناصر عمر مخارش) - رحم الله الجميع -.

الأستاذ يسلم علي سند :

هذا الأستاذ الشيخ يسلم علي سند اليزيدي من أهل مدينة الشحر حيث كان ميلاده فيها عام ١٩٠٦م.

أدخل إلى مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة بالكتاتيب المنتشرة آنذاك في عموم البلد.

أكمل المرحلة التعليمية بالمدرسة عام ١٩٢١م وطلب منه العمل بها مدرساً فكان ذلك عام ١٩٢٣م.

وقد عرف واشتهر بضلوعه في نحو اللغة العربية وصرفها مما جعلهم يصفون به لقب سيبويه وعلاوة على تمكنه في الفقه الإسلامي وحفظ القرآن وشرح معانيه ومفرداته اجتمع أهل الحي وجعلوه إماماً لمسجد عبد الرحمن بن أحمد البيض المشهور بين الناس بمسجد (بن أحمد).

وظل معلماً بالمدرسة يهتم بإلقاء الدروس الإسلامية وحفظ القرآن وترتيله وبعدها انتقل معلماً بالمدرسة الوسطى للأعوام ١٩٦٢ و ١٩٦٣م.

وقد أحيل للتقاعد عام ١٩٦٦م وانتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الخميس ٢٠ يناير ١٩٧٧م رحمه الله.

ومعلوم لدينا أن الرجل مصاب من تكوينه بضعف في عضلات عينيه وقد ورثه لحفيده ولذلك اتجه للعمل بالتدريس وكان هذا العائق يفرض عليه تقريب الكتاب إلى أدنى مسافة من عينيه وقد فرضت عليه أن يقرأ للمرة الواحدة فقط فكسب حفظ ما يقرؤه وقد عرفناه هكذا في الجزء الأخير من حياته. ومن محبته للغة العربية وعلومها ونحوها وصرفها أن كلفته المدرسة منذ تخرجه من مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية التي افتتحت عام ١٩١٨م بتدريس أوليات ومبادئ النحو.

وفي زيارة قام بها بعض من آل الذباغ الذين افتتحوا مدرسة الفلاح بالمكلا لمدرسة مكارم الأخلاق وكان السلطان صالح قد منحهم مهمة الإشراف على التعليم، وبأحد فصول الدراسة قام أحد هؤلاء بتقديم بعض الأسئلة إلى الطلبة وكانت أعلى من مستوى الصف التعليمي مما أعجز الطلبة أن يذكروا الإجابة عليها فأشار إليهم (بالاهتمام باللغة وهي أساس التعليم) هذا الأمر حز في نفس معلم التلاميذ الأستاذ يسلم سند فلم يكن منه إلا أن اندس بين التلاميذ بعد أن خلع عمامته وخطف طاقية أحدهم ووضعها على رأسه ثم وقف منتصباً وشكر الشيخ الذباغ وعلمه واهتمامه باللغة ثم أحرجه بطرح بعض

الأسئلة في النحو فلم يتمكن الشيخ الزائر من الإجابة عليها واعتذر لكونه بعيداً من الدرس والدروس فترة طويلة وإذا كان بهذا الأمر شيئ من القسوة فإن رأي الأستاذ سند أنه قد انتصف للمدرسة وطلابها وأساتذتها، وقد أخذ عليه هذا ونقد بعد مغادرة الوفد الذي لم يحقق هدفه ومبتغاه من تلك الزيارة كما يرى الشيخ خميس حمدان في كتابه منارة الشحر العلمية ص٣٨.

وآل الذباغ الذين وصلوا لحضرموت هم من الهاربين من مكة والمدينة المنورة وجدة من جحافل جيوش الملك عبد العزيز بن سعود موحد الجزيرة العربية وكانوا تابعين لحكم الأشراف بالحجاز وكانوا قد التجأوا لبعض البلاد العربية ومنها حضرموت وأجزاء من الجنوب العربي محاولين استرجاع ما ضاع منهم من سدة الحكم بالحجاز، وهذا ليس مجالنا الآن ولكن الحديث خرج بنا إلى ما لم نكن نقصده فالأستاذ سند امتلأ حماسة لبلده ولمدرسة مكارم الأخلاق فتصرف بما أملاه عليه حماسه - رحمه الله تعالى -.

تكملة أسماء المدعوين لحضور حفل الافتتاح :

اكتفي بدعوة هؤلاء لحضور حفل الافتتاح، افتتاح المكتبة السلطانية بالشحر الذي يشرفه السلطان صالح بن غالب القعيطي ولكني جد خائف من أن أكون قد أغفلت ذكر أحد من الواجب علي أن أقدم له دعوة للحضور، ولكن هذا عمل إحصائي أشبه ما يكون عليه المعاجم التي ينقصها الكمال، فجل من لا يسهو ولا ينام. ومن المؤكد أن من يرى أي نقص ومن وجدت لديه الرغبة والمادة أن يستدرك ما نقص ويسد أي عيوب وقعت فيها.

وقد وجهت نظري إلى عدد من العلماء والوجهاء والأعيان والأدباء وغيرهم، فوجدت أن بعضهم قضى نحبهم قبل الافتتاح أو أنه غاب عني تاريخ وفياتهم، ولسوف أذكر هنا من هؤلاء من يحضرني:

*القاضي الأديب المؤرخ عبد الله محمد باحسن وقد توفي في ١أكتوبر ١٩٢٩م.

*القاضي أحمد عوض المصلي، وقد توفي في ٢١ مارس ١٩٣٥م.

*الأمير علي بن صلاح القعيطي (١٨٩٨ ـ ١٩٤٨م) وقد أرغم على الإقامة الجبرية بالشحر من يوم ٨ يونيو ١٩٤٥م إلى ١٣ نوفمبر ١٩٤٧م.

*الشاعر ناصر جابر شلكاوي النوبي وكان مقيماً بجدة وتوفي ٢٥ مايو ١٩٤٤م.

*الشيخ فرج جمعان باظفاري، وهو من أهل حوطة الشحر ووالد الرجل الشهير أحمد فرج باظفاري، وكان هذا الشيخ قد ألقى كلمة نيابة عن أهل الشحر في حفل أو المهرجان الصناعي الذي افتتح عند عودة السلطان عمر بن عوض من رحلته لداخل حضرموت في فبراير ١٩٤٣م.

*الشيخ عبد الرزاق محمد باذيب والد عبد الله وعلي وأبي بكر وهم من رجالات السياسة في الجنوب، ولكني كما أظن أنه تحول إلى المكلا وعين عضواً بمكتب السكرتارية الذي ترأسه عبد القادر أحمد بافقيه.

* الشيخ علي سالم رويشد وهو من أعيان المدينة، له ديوان شعر عامي ـ احتفظ شخصياً ببعض أوراقه ـ ثم توظف بجمرك الشحر وتوفي في ٢٩/ ٥/ ١٩٥٩م.

*الشيخ محفوظ سليم الحبشي، من خريجي مدرسة مكارم الأخلاق وكان مديراً للمدرسة الوطنية بالمكلا ولم أقف على تاريخ وفاته.

*الشيخ يسلم سالم بو تمباك، وهو من حاشية السلطنة القعيطية وكان رجلاً معروفاً، عين فترة حاكماً للسوق، وقد كرمته الدولة واقتطعته مكاناً مهماً في ساحة البلد أقام عليها قهوته الشهيرة والتي عرفت باسم ابنه مبارك يسلم وتوفي عام ١٩٥٧م.

*الشيخ أحمد سعيد حداد وهو من أهل الشحر ومن خريجي مدرسة مكارم الأخلاق، اغترب مع والده وإخوته إلى الصومال وعند عودته افتتح مكتبة لبيع الكتب والمجلات بعاصمة الدولة المكلا وهي أول مكتبة من نوعها وكان غائباً عند الافتتاح، توفي بالمكلا في ١٧ يونيو ١٩٩٤م.

*الشيخ محفوظ سعيد باغريب، وهو من خريجي مدرسة مكارم الأخلاق ومن الأوائل، وكان ضليعاً في اللغة العربية، عمل طوال حياته في أعمال أسرته الحرة صباغاً للملابس، توفي بالشحر في ٢١ رجب ١٤٠٢هـ = ١٤ مايو ١٩٨٢م.

*الشيخ سالم أحمد حميد، من أهل الشحر خريج مدرسة مكارم الأخلاق، عمل ضابطاً للشرطة بعاصمة الدولة القعيطية المكلا، هاجر إلى الخليج وتوفي بمدينة دبي في ٣٠ مارس ١٩٩٢م.

*الشيخ حسن سعيد بن الشيخ سعد من أهل الشحر ومن خريجي مكارم الأخلاق وعمل مدرساً بها، عرفته أيام كان مديراً لبريد الشحر وعرفته أيام خريف التمر بقرية تبالة وهو أديب يحفظ الكثير من شعر القدماء والمحدثين كالمتنبي وامرئ القيس وشوقي وحافظ، توفي - رحمه الله - عام ١٩٧٩م.

*وهناك أسماء لآخرين مثل:

الشيخ أحمد عبد الله الهندوان موظف جمرك الشحر.

والشيخ عبد الله صالح باشراحيل وكان تاجراً ووجيهاً.

والشيخ أحمد سعيد الصوري معلم مدرسة.

والشيخ محمد عبد الله باعباد أحد وجهاء المدينة.

والشيخ سعيد أحمد باكثير وكان نائباً جنائياً.

والشيخ سالم أحمد حميدان معلم مدرسة.

والشيخ علي محمد بن عويش معلم مدرسة.

والشيخ عبد الله أبو بكر مهدمي وكان تاجراً ووجيهاً.

والشيخ عمر محمد باصالح وكان نائباً سياسياً.

والشيخ نصيب سعيد بلغيث وكان شاعراً عامياً.

والشيخ عمر سالم بو مهدي وكان شاعراً عامياً.

والشيخ حاج علي باجبع معلم مدرسة.

وأرجو أن لا يستغرب أحد من أن بعض المدعوين من صغار السن ولكن كلهم قد تجاوزوا سن البلوغ، ويبدو لي أن هذا السن في ذلك الوقت كان أصحابه أكثر فهماً مما عليه اليوم ولربما كان السبب هو عدم المشاغل والملاهي التي تشغل شبابنا اليوم. ولنأخذ أمثلة في ذلك:

*الشيخ علي محمد بن عويش - أطال الله عمره -، فهو من خريجي مدرسة مكارم الأخلاق والتحق بوظيفة التدريس في ١٩٤٤/٥/١٠م وعمره عند التوظيف ستة عشر سنة ومرتبه عام ١٩٥٢م مبلغ ٦٦ شلناً.

*الأستاذ يسلم علي سند اليزيدي وهو من خريجي مدرسة مكارم الأخلاق عام ١٩٢١م والتحق بالوظيفة عام ١٩٢٣م وعمره سبعة عشر سنة وبمرتب في عام ١٩٥٢م مبلغ ٩٩ شلناً.

*الأستاذ حاج علي باجبع تخرج من مدرسة مكارم الأخلاق عام ١٩٣٦م، والتحق بالوظيفة معلماً عام ١٩٣٨م وعمره آنذاك عشرون سنة وكان مرتبه عام ١٩٥٢م مبلغ ٨٧ شلناً.

*وفي حديث مع الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف أشار إلى أنه من مواليد مدينة الشحر عام ١٩١٥م، وأنه أدخل إلى مدرسة مكارم الأخلاق وهو ابن ستة أعوام، وقد أكمل كل مراحلها الثمان سنوات، وهذا يعني أنه تخرج عام ١٩٢٩م، وقال إنه عمل مدرساً حال تخرجه، ثم سافر عام ١٩٣٠م إلى الجزء الشرقي من إثيوبيا، أي إريتريا، بناء على طلب والده المقيم هناك. وعاد إلى الشحر عام ١٩٣٣م بعد أن درس بالمدرسة التبشيرية بعدن. وعلى هذا نستنتج أنه عمل مدرساً بمدرسته وعمره آنذاك أربعة عشر عاماً.

وقبل أن أختم هذا الباب علي أن ألقي نظرة على أسماء أعضاء اللجنة التي تشكلت هنا في الشحر، والتي كان همها السعي الجاد لإقامة مدرسة عرفت بمدرسة مكارم الأخلاق، وقد نجحت في مسعاها الخيري وفتحت المدرسة أبوابها في صباح يوم ١٠ صفر من عام ١٣٣٧هـ الذي يوافق ١٤ نوفمبر ١٩١٨م.

وقد جاء قوام اللجنة في الصفحتين ٢٩ و ٣٠ من كتاب (مدرسة مكارم الأخلاق، ثمانون عاماً من الجهد والعطاء) والذي صدر بمناسبة مرور ثمانين عاماً على تأسيسها، وهم التالية أسماؤهم:

١ـ حسين بن علوي الجنيدي.

٢ـ حسين بن عبد الله العيدروس.

٣ـ زين شيخ العيدروس.

٤ـ علي بن أحمد عيديد.

٥ـ محمد بن عمر عيديد.

٦ـ محمد بن عمر العطاس.

٧ـ محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر.

٨ـ هدار بن محمد الهدار.

٩ـ محمد بن عبد الله الهدار.

١٠ـ عمر صالح بن الشيخ علي.

١١ـ صالح بكار باشراحيل.

١٢ـ أحمد بن عوض المصلي.

١٣ـ سالم بن أحمد باغميان.

١٤ـ عبد الرحمن بن عبد الله بافضل.

١٥ـ إبراهيم بن عبد الله بافضل.

١٦ـ سليمان بن عبد الله عفيف.

١٧ـ أبو بكر بن عبد الله طيب.

١٨ـ عوض سعيد الرباكي.

١٩ـ أحمد حسن بن سلم.

وحول هذه الأسماء الواردة فإن المرجع الوحيد لها هو مخطوطة الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي التي جاءت تحت عنوان (المذكرة التاريخية) ولسهولة الحصول عليها حاولنا تصحيح الأخطاء الواردة هناك وفي صفحة ٣٧٧ من المخطوطة.

١ـ أشار الملاحي بأن اسمه الصحيح حسن وعده من علماء مدينة الشحر عام ١٣٤٢هـ (١٩٢١م) وأكد حفيده صحة الاسم.

٢ـ وجيه علوي منصب آل العيدروس بالشحر وعضو المجلس السلطاني ترجمه خميس حمدان وانظر ترجمته هنا.

٣ـ لم أجد من كتب ترجمة له وذكره الملاحي وعده من علماء الشحر.

٤و٥ـ ورد اسمان من أهل عيديد العلويين، ولكنا لم نستطع التعرف عليهما وعلى وصفهما كعلماء أو وجهاء وهما من أهل التجارة وقد جاء ذكر تجارتهما في مسرحية (حرب الأرادى) للأستاذ بامطرف.

٦ـ وليس لدي أية معلومات عن العطاس هذا ولا أدري إن كان أحد قد كتب ترجمة له وهو على أي حال والد آخر وزراء الدولة القعيطية أحمد محمد العطاس انظر ترجمته هنا. ووالد عمر محمد العطاس وزير البلديات أيام الدولة القعيطية.

٨و٩ـ وهذا من آل الهدار العلويين ولهذه الأسرة علاقة بسلاطين الدولة القعيطية ولأحدهما الدور الأهم في موافقة السلطان غالب منح المدرسة الباغ لتفتح المدرسة أبوابها في بنايته.

١٠ـ والعاشر هو النائب عمر صالح من مقادمة يافع بالشحر وكان صديقاً للوجيه حسين عبد الله العيدروس، انظر ترجمته هنا.

١١ـ وهذه الشخصية مهمة في تحقيق المدرسة انظر ترجمته هنا.

١٢ـ والمصلي اشتغل بالتدريس في مدرسة مكارم الأخلاق وكان قاضياً بالشحر وكان فقيهاً متأهلاً للفتوى له تصانيف عديدة وصفه محسن بو نمي بقوله: (الحبر العلامة) توفي عام ١٩٣٤م. (برالولد، وهو بحث لم ينشر لمحسن علوي العيدروس).

١٣ـ وباغميان أحد تجار البلد ويعد من أعيانها وهو من آل باشراحيل.

١٤و١٥ـ ورد اسمان من آل بافضل بالشحر والفاضلان يذكران ضمن وثائق العائلة ومقام الشيخ عبد الله بلحاج صاحب (المقدمة الحضرمية) في الفقه والمتوفى بالشحر ٩١٨هـ. وقد اطلعت على وثيقة محررة (٢٠ فبراير ١٩٢٤م) وابن الأخير فضل إبراهيم زوج عمتي شقيقة عمي أحمد سعيد حداد وكان تاجراً.

١٦ـ وقد سقط هذا الاسم وهو كما جاء في مذكرة الملاحي (عمر صالح الحدادي) وقد حاول أحدهم إيراد اسم سالم عمر الحدادي، وكان على خطأ ولا نعرف عن الحدادي هذا شيئاً.

١٧ـ الشيخ سليمان هذا أحد تجار الشحر المغتربين في شمال الصومال والمشهور أنه أسس الطريقة الأحمدية وقد وهب لها قطعة أرض جعل نصفها لأهل الطريقة والجزء الآخر لمنقطعي الطريق. ثم إنه توفي بالشحر في تاريخ ٢٥ شعبان ١٣٤٥هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٢٧م.

١٨ـ أبو بكر طيب ولعله المذكور عند عبد الله باحسن في كتابه (النفحات المسكية) وقد وصفه بالأديب ولا شيء غير هذا.

١٩ـ والشيخ عوض سعيد الرباكي وجيه من أهل الشحر عاد من الهند بعد اغتراب دام طويلاً وقد عرفته شخصياً في صغري توفي عام ١٩٧٠م

٢٠ـ والشيخ أحمد تاجر وجيه من أهل الشحر وكان كثير الذرية وهو والد التربوي أستاذنا الشيخ سالم أحمد بن سلم - أطال الله عمره - وقد منح الأب ابنه الأكبر محمد مكتبة بالشحر لبيع الكتب والأدوات الكتابية وقد سافر محمد إلى أديس أبابا، وهناك كرر تجربته في افتتاح مكتبة ظلت تعمل حتى بعد وفاته - رحمه الله - عام ١٩٩١م.

الفصل الرابع

ما بعد الاحتفال بافتتاح المكتبة

الشيخ علي سعيد سرور السعيدي :

انفض الحاضرون فور انتهاء حفل الافتتاح بالمكتبة السلطانية بالشحر، ببيت بن رمضان، ورجع كل إلى مكانه وسكنه، وبقي معنا مفتاح المكتبة الذي سلم للأستاذ علي سعيد سرور السعيدي، وهذا اسمه كما جاء في رسائله إلينا، وقد ورد اسمه أيضاً عند ذكر الأساتذة رجال التنوير وكان هو أحدهم، انظر ترجمة رسول النور الشيخ علي سالم منصور، وقد وردت ترجمة له بكتاب الشيخ حمدان (مدرسة مكارم الأخلاق، منارة الشحر العلمية) ص ٧٤-٧٥، ووردت ترجمة له بنشرة يصدرها معهده الوطني بجدة، ولدينا بصفة خاصة رسالة منه كتب فيها ملخصاً لترجمته.

وفيها يعتز بأنه عمل فور تخرجه من مدرسة مكارم الأخلاق أميناً للمكتبة السلطانية بالشحر، ولكنه لم يهتم بتاريخ التخرج، ونحن نعتمد عمله بالمكتبة عند افتتاحها كما جاء بالعدد (٢٠٢) من صحيفة (فتاة الجزيرة) العدنية الصادر في ١ يناير ١٩٤٤م والتي جاء بها خبر الافتتاح في آخر شهر ديسمبر ١٩٤٣م. وهناك إشارة بأنه استمر لفترة قصيرة ولكنه لم يحددها بالتاريخ، ويمكننا معرفة الزمن بتاريخ من خلفه باستلام المكتبة مباشرة، ويتضح لنا أنه رأى زملاءه قد عينوا مدرسين بمرتبات تزيد على ضعف مرتبه ككاتب بالمكتبة السلطانية، وكان هو وزميله الشيخ علي سالم منصور مدرسين بمدارس أرياف المكلا، فكان الشيخ علي سعيد بمدرسة فوه الأولية والشيخ علي سالم مدرساً بمدرسة المنورة شمال غرب المكلا، وهي خاصة للبدو الرحل من مناطق دوعن وما حولها، ولكن ذلك دون ذكر للتواريخ، ونحن قد علمنا أن المكتبة تم افتتاحها في ١٩٤٣/١٢/٢٤م، وأنه كما أشار في رسالته بأنه تحول إلى معلم بالمدرسة الغربية بالشحر حين افتتاحها وقت أن كان مديرها الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير (المتوفى ١٥ ربيع ثاني عام ١٤٣٧هـ = ٢٥ يناير ٢٠١٦) وكان افتتاحها عام ١٩٤٥م.

وعلى هذا فإن الشيخ علي سرور لم يستمر مسئولاً على المكتبة السلطانية غير سنة ونصف السنة، لكن ما السبب في تركها؟ فقد أشار في حديث مباشر عند زيارتي له ولمعهده في شهر شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م، بأنه وجد أن وظيفته نصفية وهي تبدأ من الساعة الرابعة عصراً إلى السابعة

والنصف مساءً، وبمرتب يعادل نصف مرتب المعلم بالمدارس الأولية، ولهذا فضل العمل بالتدريس وترك أمر المكتبة، وبالمناسبة ففي الرسالة يذكر أنه عمل (أميناً) للمكتبة، واتضح أنه نسي اسم وظيفته (كاتب) وأن درجة أمين المكتبة تستحق مرتباً أكبر، وهذا النظام قرره السلطان أو من كلف بوضعه لفرع المكتبة بالشحر.

والأستاذ علي من مواليد مدينة الشحر في حوالي ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) هكذا! وقد عمل فور تخرجه من إكمال مراحل مدرسة مكارم الأخلاق الأولية كاتباً مسئولاً للمكتبة السلطانية بالشحر، ثم تركها للعمل بحقل التدريس بمدارس المكلا والشحر والحامي، ثم عمل مديراً لمدرسة النهضة بالشيخ عثمان بعدن لمدة سنة واحدة، وهاجر إلى المملكة العربية السعودية حيث استقر به الأمر في مدينة جدة، وحصل على الجنسية السعودية إلا أنه لم يخرج عن نطاق التعليم هنا وهناك، فالتحق بوزارة المعارف وعمل بمدارس جدة مدرساً ثم وكيلاً ثم مديراً لمدرسة زيد بن حارثة ثم مديراً للمدرسة الخالدية.

انتقل بعدها إلى العمل الإداري بالإدارة العامة للتعليم مديراً لمكتب مدير التعليم بالمنطقة الغربية، ثم رئيساً لقسم المنح الدراسية، وعرفته وهو يعمل بهذه الوظيفة، فقد أشرت أني كنت أحد الطلاب الممنوحين دراسياً من قبل المملكة العربية السعودية، ثم أحيل للتقاعد عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) بعد خدمة استمرت مدة ٣٨ عاماً.

ولعل أهم عمل قدمه في حياته هو أنه أنشأ مركزاً تعليمياً بجدة، حيث منحته وزارة المعارف هناك ترخيصاً عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) لفتح معهد باسم (المعهد الوطني) وقد زاول هذا المعهد نشاطه الإيجابي في خدمة العلم والتعليم إلى يومنا هذا، حيث يحتوي على ثلاث مراحل ابتدائية ومتوسطة وثانوية، كما تعمل هذه المراحل ليلاً لكبار السن، ويضم هذا المعهد في نفس الفترة المسائية أربعة أقسام أخرى هي: تعليم اللغة الإنجليزية والمحاسبة والآلة الكاتبة والكمبيوتر.

كما أشاد مسجد الرحمة بالشحر ومكتبته الكبيرة بمساعدة صديق عمره الشيخ علي سالم منصور.

رحم الله الجميع فقد فارقنا إلى رحمة الله تعالى الشيخ علي سعيد السعيدي يوم ١٠ فبراير ٢٠١٥م.

الشيخ عبد الله صالح بن عثمان:

سبق أن قدمنا محاولة لترجمته وهي كما نظن أقرب إلى الصحة حيث لم نجد فيما وقع في أيدينا من كتابات محلية من وضع ترجمة لهذه الهالة التي تفتخر مدينة الشحر به فيمن أنجبته من طاقات.

وهو من أهل الشحر وفيها كان ميلاده دون علمنا بتاريخه، وفيها تعلم وتثقف، ويصادف وقت إنشاء المكتبة السلطانية أن يكون المسئول المالي للدولة بلواء الشحر بوظيفة (الضابط المالي) والمكتبة تؤول إلى مكتبه، وعندما قبلت استقالة الأستاذ علي سرور، لم يجد من يتقدم لملء هذه الخانة الشاغرة (كاتب المكتبة السلطانية بالشحر) مما اضطره إضافة إلى كونه ضابط المالية أن يتكلف مهمة فتح أبواب المكتبة كل مساء واستمر الأمر طويلاً. (انظر ترجمته في الباب الثالث من هذا الكتاب).

الشيخ أبو بكر عبد الله بافضل:

عرفته شخصياً وكنت مدعواً لمأدبة إفطار بمنزله بجدة في إحدى أمسيات شهر رمضان الفضيل في ٧ رمضان ١٤١٩هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٩٨م وفيها أكرمني الرجل وأهداني نسخة مصورة من مخطوطة كتاب (صلة الأهل بمناقب آل بافضل) الذي طبع فيما بعد على نفقة ابن مؤلفه الشيخ محمد عوض بافضل عام ١٤٢٠هـ /١٩٩٠م.

لكني والله يعلم لم يكن في ظني أن أبحث عن ترجمة له بعد وفاته -رحمه الله- وقد فاتني هذا، فلست على علم بماضي حياته، الطفولة والصبا، ولكن هو على وعي تام وثقافة طيبة بتاريخ بلده وشيوخها وتاريخ عائلته، يدل على أنه درس على الأقل على علماء وأساتذة أجلاء في محيطه، وعندما كنت أسأله عن الذين تولوا مسئولية مكتبة الشحر وجدت اسمه بينهم، وورد اسمه على رسالة إلى نائب لواء الشحر يطلب فيها إعفاءه من المسئولية وهي بتاريخ ٢١ محرم ١٣٦٨هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨م وعليها مقدم الطلب أبو بكر عبد الله بافضل، كاتب المكتبة السلطانية بالشحر.

محمد مصطفى:

وقد تقدم محمد مصطفى برسالة لنائب لواء الشحر المقدم أحمد عمر باصرة محررة ١٣٦٨/٢/٤هـ الموافق ١٩٤٨/٢/٥م يطلب ملء الوظيفة الشاغرة، كاتب المكتبة السلطانية بالشحر، وقد أحالها النائب إلى ناظر المكتبة السلطانية بالمكلا، مفيداً بأن محمد مصطفى المغربي تقدم برغبته للعمل بالمكتبة المذكورة، برسالة محررة ١٩٤٨/١٢/٦م وجاء الرد في اليوم الثاني من ناظر المكتبة السلطانية بالمكلا في ١٩٤٨/١٢/٧م، وقد تم التسليم من السابق للاحق رسالة من النائب للناظر محررة في ١٢/٢٥ وبأن التسليم قد تم في يوم ١٩٤٨/١٢/١٩م.

والملاحظ أن هذه الرسائل كلها، خاصة الواردة من النائب، تورد باسم الكاتب محمد مصطفى المغربي، وهو محمد مصطفى الجيلاني لاحقاً، وليس لدي أية معلومات عن محمد مصطفى هذا غير أنه انتقل للعمل بالمكلا وفيها توفي في أول فبراير ٢٠٠٩م.

والبحث جارٍ والسؤال مفتاح المعرفة، وفوق هذا نعلم أن كتب المكتبة وأدواتها ظلت في عهدة هذا المغربي/ الجيلاني كاتباً ً لمكتبة الشحر السلطانية حتى عام ١٩٥٢م.

كتاب آخرون للمكتبة:

لا نعلم ولم نجد أية رسائل في ملف المكتبة الحاوي على بعض الأوراق والرسائل الخاصة بالمكتبة عن أي شخص استلم المكتبة وأدواتها بعد محمد مصطفى المغربي حتى ١٩٥٢/٧/٢٢م فقد ظلت في عهدته حتى ذلك التاريخ.

ومن المعلوم لدينا أحاديث عن موظفين في تلك الفترة، وهم الآتية أسماؤهم:

صالح عبد القوي بن جحنون اليزيدي.

محمد سالمين بن سرور.

محمد سالم عيديد.

وكل ما لدينا هي معلومات وردت ورددها رواة نثق بهم وبمعلوماتهم ولهذا نورد ما دوناه من أحاديثهم مع الاختصار الشديد.

فالأستاذ صالح عبد القوي بن جحنون من أهل الشحر، وردت عنه أخبار الرواة بأنه كان ممثلاً في مسرحية عولجت من رواية (بنت الأخشيدي) رواية لجورج زيدان، وكان دوره (بنت الأخشيدي) ولكنه تعقد من تشنيعات زملائه بالبلد، وقد أشار المؤرخ خميس حمدان لمثل هذا الخبر في رسائله إلينا بذلك.

ويقول أصحاب المسرح أنه أدى دور بنت الأخشيدي في المسرحية التي حورها الشباب إلى مسرحية حوارية وسيناريو، وكان عرضها عام ١٩٤٨م وقد جعل ريع عرضها على النظارة ببيع التذاكر لمساعدة المنكوبين في فلسطين. وكان بعض زملائه قد عيروه لتمثيله دور بنت الأخشيدي فانعكس هذا عليه وفكر في السفر إلى الحجاز وكنا جميعاً قد وصل إلينا خبر أنه كان يعمل بالمكتبة السلطانية بالشحر مع علمنا الأسبق أن للمكتبة موظفاً واحداً فقط، وأن أحداً لم يستلم المكتبة منذ أن كانت في عهدة محمد مصطفى، لكن في لقاء مع الشيخ محمد سالمين بن سرور قال إنه استلمها من صالح عبد القوي وأنه هو من رشح محمد سالم عيديد لاستلام المكتبة.

وهذه إرباكات في تاريخ المكتبة، فهل اصطلح المسئولين هنا أن يقوم هؤلاء بفتح أبواب المكتبة كل مساء بمقابل معين ودون الاستلام الكامل؟، ولكني أشك في هذا الأمر وبات عندي مؤكداً بأن الوظيفة براتبها (١٥) روبية هندية في الشهر الواحد لا تشجع على التنافس بين الشباب للعمل ككتاب للمكتبة السلطانية بالشحر. وربما أكون قد حاولت هنا التخلص من عقبة أزعجتني ولم أجد لها حلاً، كما أرى من تولى مسئولية المكتبة لاحقاً كي نؤدي واجبها لجمهور القراء.

نقاش الخبر:

في إشارة من الشيخ محمد بن سرور أنه زار المكتبة المقدم أحمد عمر باصرة نائب لواء الشحر، بمعية الوجيه صالح بكار باشراحيل مصطحبين معهم الأمير علي بن صلاح القعيطي (انظر ترجمته في كتاب الفكر والثقافة، وقد صدر عن ابنه الدكتور محمد سعيد كتاباً بعنوان (السلطان علي بن صلاح)) وكان الشيخ بن سرور كاتب المكتبة قد استقبلهم أحسن استقبال، وقال: (إنه اتصل به بعد أيام الشيخ صالح بكار وعرض عليه مقترحاً من نائب اللواء باصرة بتعيينه كاتبه الخاص، وأنه سيتحمل أسرار الدولة وأنه رأى فيه الرجل المناسب والأمين على أسرار البلد وأمنه. وأنه مقابل هذا سيتقاضى مبلغ (٣٧) روبية مرتباً بدلاً من (١٥) روبية هندية مرتب كاتب المكتبة، إلا أنه أخر ذلك كي يشعر والده القاضي وأنه عمل بهذه المهنة السنوات ٤٧-١٩٤٩ ثم غادر إلى المملكة العربية السعودية) وقد عاد إلى البلد في سنوات عمره الأخيرة، وتوفي بمسقط رأسه مدينة الشحر في ١ يوليو ٢٠١٤م.

ومن ذلك قوله إنه هو الذي رشح الأستاذ محمد سالم عيديد ليعمل كاتباً بالمكتبة عند سفره إلى الحجاز، وكانا صديقين منذ أيام الدراسة بمدرسة مكارم الأخلاق وبكتاب القاضي سالمين سالم بن سرور، وعاد محمد سالم عيديد إلى الشحر ثم سافر إلى عدن وعمل بها وتوفي فيها عام ١٩٩٤م، ربما في منتصف يونيو من نفس العام، وقد عرفته شخصياً عندما كنت أدرس بالمرحلة الثانوية بجدة، وهو يعمل بالبنك الأهلي لمجموعة ابن محفوظ الكندي.

وكل ما ورد هنا نتحفظ عليه، لأن الكتب والأدوات بالمكتبة السلطانية بالشحر ظلت في عهدة كاتب المكتبة محمد مصطفى المغربي/ الجيلاني حتى تاريخ ١٩٥٢/٧/٢١م، وهو تاريخ استلام المكتبة كتاباً وأدوات لمدير المدرسة الشيخ عمر محمد بن سهيلان.

ولعلي أستطيع أن أستنتج وبقناعة تامة بأن وظيفة (كاتب المكتبة السلطانية بالشحر) وظيفة غير مرغوب فيها، ولم يتقدم ليملأها أحد، وأظن أن السبب الرئيسي هو مرتبها الضئيل، ولا أعتقد أنه غاب عن ناظر المكتبات السلطانية بالمكلا هذا السبب ولكن لغرض عنده وعند المسئول عليه، ولا أدل على

ذلك أكثر من القول إنه قد فرض على مدير المدرسة الابتدائية (مكارم الأخلاق) أن يستلم مسئولية كاتب المكتبة بجانب إدارته للمدرسة، ولن يتجاسر أحد من النواب على إبداء رأيه حول ماهية كاتب المكتبة حتى ضاق الأمر بآخر النواب على لواء الشحر الأستاذ علي محفوظ بن بريك الذي أرسل رسالة إلى ناظر المكتبات السلطانية يطالب بتعيين موظف للمكتبة براتب معقول وكان ذلك في رسالة بتاريخ ١٩٦٦/٧/٢٥م، وهي رسالة متأخرة جداً، فقد مر عمر طويل على المكتبة منذ افتتاحها (٢٣ سنة)، ولم يهتد أحد إلى ضآلة المرتب الذي لم يشجع أحد على التنافس عليه.

الشيخ عمر محمد بن سهيلان:

نظرت إدارة نيابة لواء الشحر مع أمين المكتبات السلطانية بالمكلا إلى الحالة التي عليها المكتبة السلطانية بالشحر، ولكن لم ينتبه أحد منهم إلى المسألة المالية لكاتب المكتبة الذي سوف يشجع من لديه الرغبة لأن يشغلها بل ويتنافس مع الآخرين عليها، وربما تعامت عن ذلك وضربت صفحاً عن مناقشته وحتى لا ترفض رأي السلطان الذي فرض قوانين المكتبات وفروعها.

وبدلاً من ذلك اهتدت إلى أمر مهم وهو الاتفاق مع إدارة المعارف بالسلطنة آنذاك بأنه من الضروري أن يتحمل مدير المدرسة الابتدائية (مكارم الأخلاق) مسئولية كاتب المكتبة السلطانية دون الإشارة إلى أية علاوة أو استحقاق أو ميزة تشجيعية لمدير المدرسة.

أول مدير مدرسة يستلم المكتبة:

وكان ذلك في بداية عام ١٩٥٢م حيث كلف الشيخ عمر محمد بن سهيلان بإدارة المدرسة الابتدائية بالشحر، ومن أحد الملفات القديمة بهذه المدرسة نجد الآتي:

عمر محمد بن سهيلان:

* تخرج في نوفمبر ١٩٥٠م من معهد التربية والتعليم بالسودان.

* التحق بالوظيفة في يناير ١٩٥١م وعمره ١٩ سنة ومرتبه في ١٩٥٢م مبلغ ١٨٧,٥ شلن إفريقي، العملة الإفريقية التي أقر الإنجليز استعمالها هنا بدلاً من العملة الهندية (الروبية) وذلك بعد استقلال الهند.

* ومن تنقلاته أنه في أغسطس ١٩٥٢م عين مديراً لمدرسة مكارم الأخلاق الابتدائية بالشحر.

* وقد صدر كتاب بمرور أربعينية على فقده عن لجنة أعدت الكتاب بعنوان (وفاء وعرفان للفقيد التربوي بن سهيلان) وفي صفحاته تجد سيرة موجزة كتبها زميله في الطلب سالم أحمد بن سلم:

* أنه من مواليد مدينة المكلا عام ١٩٣٢م.

* عمل فور تخرجه بالتربية والتعليم وقضى بها مدة سبعة عشر عاماً.

* انتقل بعدها ليعمل مديراً لإدارة الأوقاف لمدة أربع سنوات، وحينها وقع عليه الاعتقال عام ١٩٧١م.

* أبعد عن إدارة الأوقاف بعد أن أفرج عنه.

* غادر البلاد مهاجراً بطريقة خفية إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية.

* عاد إلى البلاد بعد أن أدركته الشيخوخة.

* كون وجماعة من زملاء العمل جمعية أسماها (جمعية المساندة) للتربية والصحة بالمحافظة.

* وافاه الأجل - رحمه الله- يوم الاثنين ٢١ أكتوبر ٢٠١٣م.

وبناء على ما تم الاتفاق عليه فقد وصل مدير المدرسة الابتدائية الأستاذ عمر محمد بن سهيلان إلى الشحر، وقام فعلاً باستلام المكتبة كتباً وأدوات، جاء ذلك في رسالة من نائب اللواء بالشحر إلى ناظر المكتبة السلطانية بالمكلا محرر في ١٩٥٢/٧/٢١م، وهي إشهار ناظر المكتبة بأمر الاستلام.

وكان في استلام الشيخ عمر بن سهيلان مرحلة جديدة تمر بها المكتبة، وربما سارت على هذه الطريقة فترة زمنية طيبة، سنتبع سيرها إلى نهايته.

الشيخ سالم أحمد حسن بن سلم:

أحد الأساتذة الذين أثروا الواقع التربوي التعليمي في حضرموت خلال الحقبة الماضية من الزمن ١٩٤٠-١٩٥٠م، فقد بذل مع زملائه جهوداً كبيرة لتحديث التعليم في حضرموت وقد تخرج عليهم عدد كبير من رجال الدولة ووزرائها.

*وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٩٣٠م وهو اليوم بصحة وعافية - أطال الله عمره- .

*تلقى تعليمه الابتدائي بالشحر والمتوسطة بغيل باوزير.

*في عام ١٩٤٥م سافر إلى السودان في منحة دراسية في كلية المعلمين (بخت الرضا) وتخرج منها العام ١٩٥٠/٤٩م.

*عين مدرساً بالمدرسة الوسطى بغيل باوزير وضابط داخلية للمعهد الديني في يناير ١٩٥١م.

*في عام ١٩٥٤م انتدب للعمل بالتعليم الابتدائي، فعمل مديراً لمدرسة (مكارم الأخلاق بالشحر) لمدة أربع سنوات، وفيها أضيف إليه مهمة أمانة المكتبة السلطانية بالشحر خلفاً لزميله الشيخ عمر محمد بن سهيلان.

*في عام ١٩٥٩م أنيط به افتتاح أول مدرسة وسطى بالقطن، واستمر بالعمل في المدارس المتوسطة مديراً لها حتى عام ١٩٦٤م حيث عين ضابط تعليم للمرحلة الثانوية بالإدارة العامة بالمكلا.

*وفي عام ١٩٦٦م عين مشرفاً إدارياً وفنياً، وعمل في هذا المجال متنقلاً بين مدارس الشحر وشبام، ثم عين مديراً لمكتب التربية والتعليم ٦٨ ـ ١٩٦٩م بسيئون.

*وفي عام ١٩٧٤م عين عميداً لدار المعلمين بالمكلا ورئيساً لقسم التوجيه الفني حتى أحيل للتقاعد عام ١٩٨٦م بناء على طلبه.

*وقد التحق أثناء خدمته في الحقل التربوي والتعليمي بعدد من الدورات التربوية الخارجية وتحصل على الشهادات التالية:

١ـ في عام ١٩٦٥م سافر إلى بيروت للدراسة في المركز الإقليمي التابع لمنظمة اليونسكو لمدة عامين وتحصل على شهادة في التخطيط التربوي.

٢ـ في عام ١٩٧٤م سافر مرة أخرى إلى بيروت لحضور دورة مكثفة في الإشراف التربوي وتحصل على شهادة في هذا المجال من وكالة الأمم المتحدة ببيروت.

٣ـ في عام ١٩٧٥م سافر إلى ألمانيا لحضور دورة تربوية في التوجيه التربوي لمدة نصف عام، وتحصل على شهادة في ذلك.

٤ـ قام عام ١٩٨٥م بالإشراف على الدورات التربوية التي عقدت من قبل اليونسكو لمعلمي المرحلة الابتدائية.

٥ـ ساهم في تحرير النشرات والمجلات التربوية التي صدرت من قبل الإدارة العامة للتربية والتعليم حتى عام ١٩٦٨م.

وهذه المعلومات من كتاب (مرافئ تربوية) وهو الكتاب رقم (٢) من سلسلة مجلة (الرسالة التربوية) التي تصدرها الإدارة بالمكلا وقد صدرت في ديسمبر ٢٠١٠م ويضم مجموعة مقالات كتبها المترجم له.

وأضيف أنه أحد أساتذتي في المرحلة الابتدائية والمتوسطة وهو من عشقني حب القراءة -أطال الله عمره-.

الشيخ صالح سالم محمد الأرضي:

يشير صديقه وزميله في التربية أستاذ الجيل الشيخ سالم أحمد بن سلم بأن الأستاذ صالح سالم من مواليد الشحر عام ١٩٣٥م، فقد تفضل مشكوراً بكتابة نبذة مختصرة عنه بناء على طلبي، ذكر فيها أنه تلقى تعليمه الأولي بمدرسة مكارم الأخلاق وواصل دراسته بالمدرسة الوسطى بالغيل، وقد زكى الأستاذ محمد سعيد مديحج رأيه بأنه من الدفعة العاشرة المتخرجة في العام الدراسي ١٩٥١/٥٠م (المدرسة الأم ص ٢١٢)، ثم إنه التحق بمدرسة المعلمين بالغيل وتخرج منها عام ١٩٥٣م، وقد تفوق الأستاذ صالح على أقرانه في رسم الخط العربي والفنون التشكيلية فعين مدرساً بالمدرسة الوسطى، وقد جاء نشاطه غاية في الإبداع، وكان قد تلقى هذا عن أساتذة بالمدرسة الوسطى، ويشار بالبنان إلى أستاذه المباشر الأستاذ سالم عوض الرميدي (انظر كتابه محطات على الطريق ص٨٩).

وقد صادف الاحتفال المدرسي بالذكرى الرابعة عشرة يوم ١٣ ـ ١٤ مارس ١٩٥٨م أن تزامن مع احتفال الأمة العربية بوحدة مصر وسوريا، وبدأ الاحتفال بكلمات وخطب وقصائد، وحضر جمع من الجماهير مضافاً إلى أعضاء السلطنة ومجلس السلطان والمستشار البريطاني ووزير الدولة وغيرهم، وقد أثار سخط المستشار وضيوفه مسرحية (بور سعيد) وكلمة الجمعية الأدبية الإنجليزية، وكانت بعنوان (يقظة العرب) وزاد الطين بلة أن فتح المسرح على لوحة تشكيلية لخلفية المسرح من رسم الأستاذ صالح وكانت قبضة حديدية وعلى جانبيها علم مصر وعلم سوريا وفي أعلاها ألوان تمثل الفجر، فطاش صواب المستشار وخرج غاضباً، واستمر العاملون بالنشاط المسرحي المدرسي ليلة ثانية وتسارعت الأحداث حيث قامت السلطات بتوقيف مدير المدرسة وأربعة من المدرسين بل وتوقيف المدرسة، وتظاهر الناس في الغيل تضامناً مع الطلبة، وكان الأستاذ صالح أحد هؤلاء المعلمين، وقد تم تحويله إلى مدرس ابتدائي في مدرسة مكارم الأخلاق بالشحر، وفيها أبدى الأستاذ صالح نشاطاً فنياً بإنشاء جمعية الفنون التشكيلية، وشارك في وضع أزياء الممثلين بالمسرحيات.

وقد كلف الأستاذ صالح بتحمل مسئولية المكتبة السلطانية، وكان في ذلك متحملاً إدارة مدرسة مكارم الأخلاق في العامين الدراسيين ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩م، ثم لم تساعده تنقلات المعلمين، حيث جاءت نقلته إلى القطن وحورة، فطلب إعفاءه وهاجر إلى السعودية وإلى الرياض ثم عاد بعد أن تمكن من بناء منزله الذي تسكنه أسرته اليوم، أما عن نشاطه الاجتماعي وإن كان قد خلطه بالنشاط السياسي، فقد كان عضواً في سكرتارية نادي كوكب الصباح الرياضي الثقافي بالشحر، ثم إنه اتهم وآخرون

بانتمائهم إلى جهات أخرى، وتم فصله من عضوية النادي، وإن لم تتم محاكمتهم، ولكنها أشبه بالمماحكات بين الأقران وقيل إنهم انتموا إلى حزب البعث العربي وربما كانوا صادقين في اتهامهم بذلك.

وفي عودته بعد هجرته إلى مسقط رأسه عاد إلى حقل التدريس متخصصاً في تدريس مادة الفن التشكيلي وفن رسم الخط العربي وساعد كل المعلمين في إنتاج بعض وسائل الإيضاح وخاصة الرسومات، ولقد عرفت الأستاذ صالح وهو أحد أساتذتي منذ عام ١٩٥٩م إضافة إلى صداقاته بالكثير ممن أعرفهم من أساتذتي ومن جيلي - رحمه الله- فقد شارك في أكثر المعارض الفنية وقدم لوحات كثيرة في المدارس التي عمل بها، ومن المؤسف أن تمتد أيدي الضياع إلى تلك الأعمال الفنية الجميلة، وأشار إلى تلك الإبداعات الأستاذ سالم عوض الرميدي في كتابه: (محطات على الطريق) فقد اختار بضع لوحات من أعماله، وصورة الفنان التشكيلي صالح سالم واقف بين رسوماته وأعماله، ثم تفضل مشكوراً بقوله: (وإعجاباً بأعمال هذا الفنان المبدع كتب المؤرخ الشيخ سعيد عوض باوزير قصيدة يوم ١٩٥٦/٣/٤م تحية لهذا الفنان الشاب) ثم ذكر هذه القصيدة في كتابه في صفحة ٩٩، ومنها هذه الأبيات:

بين الأضالع والجوانح ... قلب يهيم بفن صالح

فن تقل له القصائد ... والمحامد والمدائح

سل عنه لوحات المعارض ... في المدارس والمسارح

كم من عظيم قد ثوى ... في لحده تحت الصفائح

أحياه جل الله مكتمل ... الملامح والجوارح

حفظته ألطاف السماء ... من عين ذي حسد وكاشح

سل عنه حصناً للنجير ... يضم أصحاب المطامح

تجد البدائع والروائع ... في جوانبه لوائح

سل عنه آلاف الذين ... تمتعوا برسوم صالح

ما بين غادٍ معجب ... ببديع ريشته ورائح

ثمل بروعة ما رأى ... فلسانه بالشكر طافح

سبحان ملهم ما تجود ... به عباقرة القرائح

ولم يبق غير البسيط من تلك الفنون التي نفذها الأستاذ صالح، وكان جديراً بالذكر خاصة في مجاله، لكن لا يهتم في بلادنا بمادة الفنون، ولو ساعدتني الأيام سوف أكتب عنه ضمن كتابي (أساتذتي) الذي بدأت في تجميع مادته منذ سنة تقريباً، رحل عنا الأستاذ صالح - رحمه الله- في مسقط رأسه الشحر في ١٦ أغسطس ٢٠٠٤م الموافق ٣٠ جماد ثاني ١٤٢٥هـ.

وقد اعتمدت في كتابة هذه الترجمة على نبذة كتبها الشيخ سالم أحمد بن سلم وما جاء عنه في كتاب (محطات على الطريق) للأستاذ سالم عوض الرميدي ومقالين إلكترونيين كتبهما الدكتور سعيد سالم الجريري وعباس محمد باوزير علاوة على ما دونته في مذكرتي (الخاذ).

علي أبو بكر الصبان:

وهو من مواليد الشحر عام ١٩٤٤م، وترعرع فيها، ودرس كآخرين القرآن وشيئاً من الكتابة والحساب على كتاب المدينة، ولكنه أدخل إلى حرم مدرسة مكارم الأخلاق الأولية بالشحر لتلقي التعليم النظامي، ثم والى دراسته بالمعهد الديني بالغيل، ثم واصل دراسته بالثانوية الصغرى أو ما عرف حينها بمدرسة المعلمين وكانت بعد المدارس المتوسطة وتخرج منها عام ١٩٦٤م.

وفي عام ١٩٦٥م التحق بسلك التدريس، وطاف بالمدارس في المنطقة شرقاً وغرباً وشمالاً، ولم يمض زمن طويل حتى رشح من قبل إدارة التربية والتعليم آنذاك مديراً بتلك المدارس، وكان آخرها مديراً لمدرسة السلام بمدينة الشحر وبعدها ذهب للتقاعد، وهي فترة ليست بالقصيرة.

رحم الله صديقنا الأستاذ علي أبو بكر ففي فجر يوم الثلاثاء ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٧م غادرنا إلى دار البقاء، هذا الأديب الشاعر التربوي، بعد مرض عضال ألم به ومكث معه في صراع مرير ما يقرب من سنة أو نحوها ثم أسلم روحه لباريها، وقد حضر تشييع جنازته ودفن جثمانه العديد من رجالات الشحر وجمع غفير من الأهالي ومعهم أصدقاء الفقيد من خارج المدينة من شرقها وغربها من الريدة وقصيعر والغيل والمكلا ومن تريم وشرقها ومن وادي دوعن بفرعيه ووادي عمد وغير ذلك، فقد كان الفقيد معروفاً لدى الأوساط التربوية والثقافية ورجال الفكر والأدب والثقافة والفكر الديني والمتنورين في عموم مناطق ومديريات حضرموت. وخاصة الدعاة إلى الله عن بينة من هدي القرآن والسنة النبوية فللفقيد نشاط معهود لا ينكر في أكثر من مجال، وخاصة النشاط الاجتماعي والثقافي منذ أن جاء معلماً بالمدارس الأولية بمسقط رأسه، فقد كان ضمن اللجان الشعبية وكان عضواً بسكرتارية نادي كوكب الصباح الرياضي الثقافي الاجتماعي، وكان عضواً باتحاد الأدباء والكتاب وغير هذا ، وقد تمثل نشاطه في :

*العمل بالتربية والتعليم معلماً ومديراً للمدارس الأولية.

*أمانة المكتبة بالشحر خلفاً لصديقه وأستاذه صالح سالم الأرضي.

*عضوية اتحاد الأدباء والكتاب.

*عضوية منتدى الشاعر المحضار الأسبوعي (منتدى الاثنين).

*المشاركة بالحضور الفاعل في أغلب الأمسيات والمحاضرات الأدبية والثقافية.

*قرض الشعر العامي والمشاركة في المساجلات المباشرة وغير المباشرة فيما يعرف بالمسرحات وهي كالنقائض في الفصيح.

*وقد نشرت مجلة (آفاق التراث الشعبي) الصادرة عن اتحاد الأدباء بحضرموت (العدد الثاني) ديسمبر ٢٠٠٩م، عدداً من قصائد الفقيد العامية في الصفحات (١٤٥-١٥٢).

وقد تم نقل هذه الترجمة من مدونة الكاتب (الخاذ).

الأستاذ عبيد سالم براهم:

لن يكون صعباً على أي شخص أراد مقابلة الأستاذ عبيد سالم براهم أو زيارته، فهو موجود في مسجد (وبير) الحديث التأسيس، والقريب من منزله بحي (بن جوبان) من الجانب الشرقي من مدينة الشحر، وفي أي فرض من فروض الصلوات الخمس، هذا الرجل الذي أفنى عمره كله تقريباً وهو شمعة تحترق لتضيء طريق ودروب السالكين للتربية والتعليم، وذلك بتوفير مستلزمات الدراسة من فرش وكراسي وأمياز وأدراج وكتب وكراسات وأوراق وكل وسائل الكتابة على الأوراق والكراسات والسبورات، وغير هذا أكبر وأصغر وأدق، وهو يدفع كل هذه الأدوات لكل المدارس وكأنها من عنده، إنه نائب مدير التربية والتعليم لشئون التجهيزات المدرسية بمديرية الشحر، أيام كانت أكبر مديريات المحافظة، وكان ينظر إلى المدارس وكل ما تحتويه من مدراء ومدرسين وطلاب وعاملين، كأولاده الذين تفرقوا في أسرة جديدة ومبان حديثة وأماكن متفرقة، فكل واحد منهم يستحق ما يستحقه الآخر، وإن حصل هذا أكثر من البعض ورأوا أنه يحابي ويعطف ويمنح (زيد أكثر من عبيد)، فلم تكن هذه الأمور إلا تحسس في غير محله، وأنا أشهد أنه كان عادلاً وأن كل المدارس كانت عينان في وجه واحد بالنسبة له.

والأستاذ عبيد من أهل الشحر، ربما كان ميلاده عام ١٩٤٢م وهو بصحة طيبة، صحيح أنه أصيب في يوم مضى بالشلل الذي غالباً ما يترك في الإنسان علامة وأثراً يدل على إصابته به في يوم ما إلا أن الأستاذ عبيد قد عافاه الله وتجاوز مرضه، ومُنح الصحة والعافية وإن كان تأثير الشلل واضحاً عليه.

والأستاذ براهم كان آخر كتاب (أمناء) المكتبة السلطانية بالشحر، قبل الاستقلال والتي كان موقعها بيت السيت (السيد) الهندي درويش، والذي آلت ملكيته أخيراً للشيخ أحمد عوض الكلالي، وهو من مدينة الحامي، وإذا جرى وفي نطاق ضيق جداً خبر بأنه هو من أحرق بعض كتب المكتبة، فهو خبر زائف ولا أساس له من الصحة وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى بقوله: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [الحجرات:٦] ، فإن عملية الحريق هذه لم تحدث أبداً، وكل ما في الأمر أن (جنكيز خان الشحر) مدمر الكتب والمكتبات، قد انتزعها من كاتب المكتبة عنوة وأغلق بابها، ونقلها إلى موضع آخر سوف نذكره في بابه فقد تم نقلها دون أمين أو مسئول عليها وسلمت إلى المسئول الجديد (لا أحد)، ولهذا ذهبت تذروها الرياح لأن الأمين الجديد (لا أحد) هذا أكبر المهملين منذ أن خلق الله الدنيا وأسكن فيها الناس أطال الله عمر الأستاذ عبيد سالم براهم ومنحه الصحة والعافية.

الفصل الخامس

ما آلت إليه المكتبة السلطانية بالشحر :

سجل لنا التاريخ أن المكتبة السلطانية قد تنقلت إلى أكثر من مكان، وذلك لظروف تغيير مكانها وكانت النقلة الأخيرة أسوأ تلك النقلات فقد كانت دون رقيب أو أمين أو ما يعرف كاتب المكتبة وهو الذي تكون الكتب وأجزاء المكتبة ومحتوياتها في عهدته أما أن يتم النقل دون مسؤول عليها تكون عرضة للتلف والضياع وعدم المسئولية.

فقد كانت المكتبة السلطانية بالشحر قد افتتحت رسمياً في ١٩٤٣/١٢/٢٤م بحضور السلطان نفسه وجمع من الأعيان من أهل مدينة الشحر ومن المصاحبين للسلطان، ببيت الشيخ سالم محمد برمضان بسوق البز بالشحر وأخذت ردحاً من الزمن، لكننا لم نستطع أن نذكر تاريخ هذه النقلة من هذا المكان إلى بيت الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن مكارم بسوق البلد الرئيس ولا أسبابها وليس لدينا أية رسالة أو أي دليل على هذا التغيير ولا حتى خبر من الرواة يبين السبب ولعلنا نستطيع أن نخمن السبب لهذا الانتقال.

إن بيت بن رمضان يقع في سوق البلد الفرعي ويعرف بسوق الصدف واللول والمرجان كما جاء وصفها في قصيدة الشاعر الشيخ محفوظ بن عبد الرحمن العطيشي، والبيت على حاله كما تركته المكتبة بعد انتقالها، وكما كان قبل أن يتم اختياره ليكون المكتبة، وموافقة السلطان صالح على ذلك بعد حضوره لمعاينته، وتوقيعه على اتفاقية الإيجار، ولو وقف أي منا خارج مشهد الشيخ أحمد باعوين بجانب جداره الشرقي في اتجاه الشمال ومشى حتى البناية المعترضة للشارع القصير فهو أمام البيت الذي كانت به المكتبة السلطانية، والذي خلفها سكن الشيخ منصور عبد الواحد النوبي، الرجل الذي عمل قصاراً للملابس ومكوجياً، وكان من أشهر أهل الشحر نظافة لملبسه الأبيض المنيل بالبلوج الأزرق.

ويتكون هذا البيت من غرفتين أماميتين تشرفان على الشارع من الجهة البحرية ويلي الغرف صالة تقفوها مصالح البيت من مطبخ ومستودع وحمام، ثم إن الشارع قليل المارة خاصة في المساء بسبب الظلام فهو قليل الإضاءة خاصة إذا عرفنا أن الكهرباء الأهلية لم تبدأ عملها ونشر أضوائها قبل عام ١٩٦٤م، إضافة إلى النزاع حول الأتريك (مصباح الكيروسين) وسعره، وكان الرأي في نظري

سديداً في اختيار الغرفة المطلة على السوق العام من منزل الشيخ مكارم الذي تم نقل المكتبة إليه في السوق وبين أكثر الناس حضوراً ومروراً في ذلك المكان لكني لم أجد تاريخ هذا الانتقال ولا كيفيته.

بيت مكارم:

يقع هذا البيت بالسوق العام وتقع إحدى غرفه المعنية على السوق مباشرة ـ وهي على حالها منذ أن كانت مقراً ثانياً للمكتبة السلطانية بالشحر ـ وتقابل المنزل الكبير الذي احتل من قبل نادي شباب الجنوب الرياضي بالشحر منذ تأسيسه في عام ١٩٦٥م في الجزء الشرقي منه، أما الجزء الغربي فقد كان به إدارة البلدية بالمدينة والصورة تبين موقع البيت وغرفة المكتبة، وقد جاء في مذكرة الشيخ مبارك الأرضي التاريخية أنه في (٢٥ محرم ١٣٧٠هـ / ٥ نوفمبر ١٩٥٠م سبر (ابتدأ) عمر باسويد في بناء الدكاكين حقه التي في سكن بو سبعة اشتراهن).

ويبدو لنا أن بنايتي الأسواق (الماركيتات) قد اكتملت وأنه في (يوم الجمعة ١٥ ربيع ثاني ١٣٦٩هـ (٣ فبراير ١٩٥٠م) تحول أهل البساط وأهل الخضرة وأهل الصيد إلى الماركيت حق الحكومة، حسب أمر النائب أحمد عمر باصرة) وعلى ذلك ففي الواجهة الغربية لبيت مكارم انتشر باعة الأسماك الصغيرة، كالعيد واليذب وما يشبهها من الأنواع الصغيرة، وكانوا يفترشون الساحة التي تقع بين ماركيت الخضار واللحم ـ وهو اليوم خاص بباعة الحلويات ـ وبيت صالح عبد القادر بارجاء ـ وهو اليوم قهوة سالم محمد عوض الصبان ـ.

ويبدو لنا أن البناية التي أقامتها الدولة القعيطية كسوق مركزي لباعة الأسماك، خاصة البناية الغربية قد تسرب خبرها إلى هؤلاء الباعة، فتسابقوا للحصول على الأماكن التي يرون أنها أكثر فائدة لهم من غيرها وأنها أسهل للمشترين وأكثر بركة وشهرة، وربما حدث عراك ونزاع حول هذه البقعة أو تلك، وقد كثر عدد هؤلاء الباعة، مما اضطر صاحب المنزل المجاور لهذه السوق الجديدة الشيخ مكارم إلى كتابة رسالة لنائب اللواء مكررة لناظر المكتبة السلطانية مفادها أن بيتهم أصبح محاصراً، ويصعب مرور النساء من هناك، ولهذا طلب إخلاء المكتبة لحاجتهم لهذه الغرفة، والبحث عن مكان وموقع آخر، والرسالة مؤرخة في ١١ محرم ١٣٦٩هـ وتوافق ٢ نوفمبر ١٩٤٩م، ويبدو لنا أنه لم يتم التوفيق في الحصول على موضع مناسب للمكتبة، واستمر نشاط باعة الأسماك في التوجه إلى السوق عشوائياً، وربما حدثت بعض المشاكل جراء الصدامات على مواقع البيع، وقد وصل خبرها إلى إدارة النائب وحاكم السوق، مما اضطر نائب اللواء وكان حينها المقدم أحمد عمر باصرة أن يصدر بلاغاً بتوزيع أجزاء السوق على الباعة المستقرين من باعة الحلويات والخضار واللحم والسمك، وقد جاء في مذكرة

الشيخ مبارك الأرضي ما نصه: (يوم الجمعة ١٥ ربيع ثاني١٣٦٩هـ تحول أهل البساط وأهل الخضرة وأهل الصيد إلى الماركيت حق الحكومة حسب أمر النائب أحمد عمر باصرة) وهو يوافق ١٩٥٠م.

ويظهر لنا أن عملية النقل تأخرت قليلاً وربما لمدة عامين هما عامي ١٩٥١/٥٠م.

في هذه الفترة كاد أن ينتهي السيت درويش التاجر الهندي المسلم من بنايته الشهيرة في الجانب الشرقي من السوق العام أو ما بين السوق العام وسوق البز الشهيرة باسم سوق شبام، وخلفها شمالاً تقع أسواق باعة التمر، وليس لدينا تاريخ النقل بالتحديد، ولكن بالمتابعة نرى أن المكتبة بكل أجزائها بالطابق العلوي الثالث من القسم الشمالي من البناية، وقد احتلت إحدى غرفه الثلاث المكتبة السلطانية بالشحر ولم نستطع أن نعرف شيئاً عن النقلة هذه وكيفيتها ومن حضر من الجهات المسئولة مباشرة على كل العملية وسيرها من حيث الصيانة وعدم الضياع والحفاظ على الكتب من التلف.

بيت السيت درويش:

هذا البيت الكبير الذي يتكون من ثلاثة طوابق علاوة على السطوح أعلى الطوابق، ويكون الطابق الأرضي الشرقي دكاكين الجملة ودكاكين الواجهة البحرية في أغلبها أسواق للحلاقين، وكل طابق من شقتين وبالطابق الثالث خاصة الجزء الشمالي ويتكون من ثلاث غرف نجد أن المكتبة قد احتلت الغرفة الجنوبية الشرقية.

إن الذي عانت منه المكتبة في مقرها الأول ببيت بن رمضان هو بعدها عن الجمهور وأماكن تواجدهم، وإضاءتها غير الكافية، وكان السبب نفسه موجود في الطابق العلوي من بيت السيت درويش، ولعل وضعها الثاني في منزل مكارم أعطى هيئة المكتبة التفكير الجاد في وجود الناس حول المكتبة، ونعتقد أن هذا الأمر قد دار في رؤوس أصحاب الهيئة أو القائمين على أمر المكتبة الذي يهمهم وجود القراء وتقريبهم إلى وسائل القراءة ومحاولة جعل القراءة والاطلاع أمر يشبه العادة الدائمة، ولعل تفكيرهم قد هداهم إلى التعاون مع التفكير الجاد عند تأسيس نادي الاتحاد الثقافي الإصلاحي الرياضي وتقاسم الشقة لتكون غرفة منها خاصة للنادي، وتبقى الغرفة الثالثة وهي وسطية كمستودع للمكتبة.

وفعلاً تم إطلاق هذا الاسم للنادي الجديد الذي أسفر أول اجتماعاته عن اختيار الشيخ محمد سالم المزجاجي أول رئيس له، وكان في عمارة السيت الهندي درويش وفي الغرفة المجاورة والمقابلة لباب المكتبة السلطانية بالشحر وفي شقة واحدة.

إن الشائع بين الجميع ـ بمن فيهم الطبقة المثقفة ـ أن ينسب هذا البيت الذي تقام فيه المكتبة ونادي الاتحاد الثقافي للتاجر الهندي السيت عبد الله جعفر وهو خطأ شائع، فمركز تجارة هذا الهندي يقع في سوق البز التي تعرف بسوق شبام، وهو البيت الكبير الذي آلت ملكيته للوجيه الشيخ حسين مسلم معوضة المتوفى بالشحر ٢٣ يوليو ٢٠٠١م، ولا زال في ملكية أولاده وورثته إلى يومنا هذا، وقد جاء في إحدى وثائق المكتبة أن هذا البيت الذي به المكتبة السلطانية بالشحر في ملكية التاجر درويش السيت الهندي.

حالة بناية السيت درويش:

تقدم الشيخ أحمد سعيد الأرضي (المتوفى في ١٠ أكتوبر ١٩٧٨م) برسالة إلى نائب اللواء بالشحر للإفادة بأنه وكيل الشيخ عيدروس بن حسين السقاف المهاجر بشرق إفريقيا الذي اشترى بيت السيت (درويش) مع سبعة دكاكين أخرى في سوق التمر، وأطلعه على وثيقة الوكالة، فوجه نائب اللواء رسالة إلى المحاسب الجزئي في الشحر في ١٧ يناير ١٩٥٢م، تفيد بأنه يستحق أن يستلم جميع ما يخص هذا البناء من كروات.

وتقدم الوكيل أحمد سعيد الأرضي برسالة إلى نائب لواء الشحر المقدم أحمد عمر باصرة في ٣١ يناير ١٩٥٢م، مطالباً برفع إيجار غرف الشقة المكونة من المكتبة والغرفة التي يسكنها الطبيب (المساعد الصحي) وأن يرتفع إيجار كل غرفة إلى خمس عشرة روبية بدلاً من عشر روبيات لكل شهر.

وقد آلت ملكية هذه البناية الكبيرة إلى الشيخ مبارك عوض الكلالي الشاعر الفنان المعروف، وهو من أهل بلدة الحامي التي تقع إلى الشرق من مدينة الشحر، فقد وصلت رسالة لنائب لواء الشحر من وزير السلطنة أفاد فيها بأن ناظر المكتبات السلطانية تلقى رسالة من الشيخ مبارك عوض الكلالي بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٤م، تفيد بأنه اشترى البيت الذي تحتل المكتبة السلطانية بالشحر جزءاً منه بالطابق الأعلى، ويطلب تفريغ المحل أو زيادة الإيجار إلى ثلاثين شلناً، ويطلب رأيه في هذه المسألة أو البحث عن مكان مناسب للمكتبة، لكن المكتبة استمرت في مكانها إلى ما بعد الاستقلال ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

واحتلت أجزاء منه مؤسسات الفلاحين والعمال والشباب، وقد ترك دون صيانة، فهو علاوة على حجمه من أربعة طوابق فقد بني من الطين مع تجليد كل جدرانه، وكانت أساساته من حجر لكن الرطوبة وارتفاع الشوارع على مستوى مداخله سببت انهيار وتشقق بعض أجزائه من أثر أمطار عام ٢٠٠٨م، مما اضطر مالكه أو من ينوب عنه إزالة الأجزاء العلوية منه، وفي الجزء الأخير من مساء السبت ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٨م سقط هذا المنزل من أثر الأمطار الأخيرة وعدم الصيانة.

عودة إلى عملية نقل المكتبة:

هذه النقلة داخلية، فقد كتب وزير السلطنة القعيطية رسالة إلى نائب لواء الشحر محررة ٢٩ أغسطس ١٩٦٣م، يعلمه بأن الشيخ مبارك الكلالي طالب بتفريغ محله الذي تحتله المكتبة السلطانية لعمارته وذلك لغرض صيانة العمارة وترميم ما يستحق منها، وأشارت الرسالة بأن الوزير أخذ عليه التعهدات اللازمة لحفظ الكتب في مكان أمين في نفس العمارة، لتعود إلى مكانها بعد إتمام العمارة، ونبه الوزير فيها على ضرورة تكوين لجنة من الكاتب (أي كاتب المكتبة) والشيخ مبارك ومندوب أو مندوبين من قبلكم، لنقل الكتب إلى المحل الذي عينه الشيخ في العمارة نفسها، ويعطى القفل لكم حتى عودة الكتب مرة أخرى إلى محلها في نفس العمارة وبنفس اللجنة يكون ذلك، والرسالة هذه مؤرخة في ٢٩ أغسطس ١٩٦٣م، منسوخة لكل من الشيخ مبارك وكاتب المكتبة السلطانية ولناظر المكتبة السلطانية بالمكلا، ويتضح الحرص على كتب المكتبة وأدواتها تحت إشراف اللجنة المكونة عند النقل وعند العودة إلى حال المكتبة السابق.

لجان الجرد:

من ضمن قضايا الحرص على المكتبة بدرجة أساسية وأدواتها، نرى أن هناك لجان تتكون للإشراف على عمليات الاستلام والتسليم لكاتب المكتبة المسئول الجديد ولإخلاء طرف الكاتب السابق، وينتج عن ذلك كشوفات بالموجود والسؤال عن المفقود وتقرير عن التالف أو التي تطلب صيانة، إن أمامنا بعض من الجرودات وهي غير متصلة لكنها تشكل الحرص التام على الحفاظ على كتب المكتبة وأدواتها.

وفي الغالب تتكون لجان الجرد من مندوب ناظر المكتبات السلطانية بالمكلا وكاتب المكتبة السلطانية بالشحر ومندوب من نيابة اللواء بالشحر إضافة إلى الكاتب الجديد المستلم من الكاتب القديم، ثم يُرفع تقرير عن كل عملية جرد بإمضاء المندوبين دون كتابة أسمائهم واضحة، وإنما تذكر صفات كل مندوب مما جعلنا نغض الطرف عن أسمائهم فنحن نجهلهم.

أنموذج للجرد:

من النماذج التي حُفظت جرد ١٩٤٨/١٢/١٩م، وهو الذي وقع فيه الاستلام من كاتب المكتبة السلطانية السابق الأستاذ أبو بكر بن عبد الله بافضل للكاتب الجديد الأستاذ محمد مصطفى المغربي، وهو محمد مصطفى الجيلاني المتوفى في أول فبراير ٢٠٠٩م، وذلك جميع الكتب الموجودة بالمكتبة وعددها

(٦٠٤) كتب دون ثمانية منها، ذكرت أرقامها فقط ضمن كشوفات الجرد إضافة إلى أثاث وأدوات المكتبة.

وهناك ملاحظة على هذا الجرد حيث إن الكتب المفقودة فقدت من أيام ضابط المالية الشيخ عبد الله صالح بن عثمان الذي تحمل مسئولية كاتب المكتبة، ولكننا لم نجد هذه الكشوفات، أقصد كشوفات الجرد ابتداء من هذا، فقد فقدت مع الكثير من وثائق المكتبة.

أنموذج آخر:

لعل آخر من استلم المكتبة السلطانية بالشحر الأستاذ عبيد سالم براهم (انظر ترجمته هنا) ولدي رسالة موجهة للسيد ناظر المكتبات السلطانية بالمكلا، صدرت من لجنة الاستلام والتسليم مؤرخة ٣ أغسطس ١٩٦٧م تفيد بأن (اللجنة تكونت من المستلم الأستاذ عبيد سالم براهم والمسؤول السابق علي أبوبكر الصبان ومندوبكم الأستاذ سالم حسن بن عثمان ومندوب نائب لواء الشحر، فقد استلم المذكور عبيد سالم براهم جميع المكتبة من أدوات وكتب وفهارس المكتبة ودفاتر أدواتها ودفتر الاستعارة، وكانت طبقاً لما ذكر أعلاه) والرسالة منسوخة للسيد نائب لواء الشحر.

إن مسألة الجرد والاستلام والتسليم بحضور اللجان المشكلة تعبير عن حرص المسئولين على المكتبة ومحتوياتها، وكان الأستاذ عبيد مثالاً عالياً بالاهتمام والحرص على كل ما تحتويه المكتبة خاصة الكتب، وقد شهدت على ذلك بنفسي، وقد اتهم المؤرخ الشيخ خميس حمدان الأستاذ عبيد بأنه أحرق كتب نادي الاتحاد الثقافي الرياضي بالشحر وكان ذلك الاتهام في رسالة موجهة للكاتب بتاريخ ١٤١٦/٨/٢١هـ الموافق ١٢ يناير ١٩٩٦م ونصها: (وللعلم فإن نادي الاتحاد القديم كانت به مكتبة خاصة وهي من اشتراكات الأعضاء وعلمت أن الكتب أحرقها عبيد سالم براهم إن صح الخبر بحكم أنها من الكتب الرجعية فإن لم تحرق ممكن ضمها إلى مكتبة الشحر) ونحن هنا نظن بأنه ربما تسرب هذا الخبر الفاسق إلى المؤرخ خميس وربما سربه إلى آخرين وربما نشره في شيء من كتاباته ظهرت أم لم تظهر، فإنّا نبرّئ ساحة الأستاذ عبيد من هذه التهمة تماماً، وكنا من المعاصرين لتلك الفترة، وعملنا معاً بإدارة التربية والتعليم بمديرية الشحر، فقد كنا نواباً لمدير التربية والتعليم كنت نائباً للمدير لشئون الإحصاء والتخطيط والأستاذ عبيد نائب المدير لشؤون التجهيزات المدرسية.

النقلة السيئة:

هذه النقلة كانت على أيدي شباب ينتمون لتنظيم الجبهة القومية لمدينة الشحر، فقد استغل سفر الأستاذ كاتب المكتبة السلطانية الأستاذ عبيد في رحلة عمل لمركز الريدة الشمالية، ولمدة لا تزيد عن

ثلاثة أيام، ولم نستطع أن نحدد تاريخ هذه النقلة إلا أننا نظن أنها قبل منتصف عام ١٩٦٨م، ولما وصل الأستاذ عبيد عائداً من مهمته قال من حديث له: وجدت أن المكتبة قد نقلت دون إذني ولا إشعاري ووجدت أن الكتب كلها في كومة وسط الغرفة الواسعة من دار ناصر مقر الحكومة آنذاك، دون رقيب ولا عتيد فقد تم النقل عشوائياً وبدون كاتب المكتبة أو أي مسئول عنها وبعد مضي أسبوع أو عشرة أيام، تم نقل الكتب إلى الغرفة الجنوبية من بيت الشيخ محفوظ صالح الأرضي، ولم يرتب لها كاتب مسئول ولا أمين لحفظها، وكنت أنا والبعض من أصدقائي نزور المكتبة، ويلاحقنا عند خروجنا صديقنا لاعب الكرة لفريق نادي كوكب الصباح الرياضي الثقافي الإصلاحي مبارك سعيد علي وهو الشهير بلقبه (تمباكو) ويسألنا: (غير ما أخذتوا شيء من الكتب؟) وكان يتجرأ ويمد يده إلى قمصاننا ليتأكد من صدقنا، وفي مرة واحدة سألته هل يستطيع أن يسأل هذا السؤال ويمد يده إلى قمصان أحد المسئولين في التنظيم أو الدولة؟ وبهذه الطريقة تم إخلاء طرف الأستاذ عبيد فهو غير مسئول عن أي ضياع أو تلف يلحق كتب المكتبة.

وقد قدم الشيخ محفوظ صالح الأرضي رسالة إلى محافظ حضرموت بخصوص إيجار مقابل نقل المكتبة إلى بيته، فوجه الأستاذ عبد الله عبد الكريم الملاحي وكان سكرتيراً لمحافظ المحافظة الخامسة (حضرموت حالياً) إلى مأمور المديرية الشرقية (الشحر حالياً) يبحث فيما إذا كان هناك اعتماد للمكتبة السلطانية سابقاً؟ فإذا كان المبلغ لا زال معتمداً يجب إعلامه كي يتمكن من صرفه على مقر مكتبة الجماهير (المسمى الجديد للمكتبة السلطانية) واستمر الحال ردحاً من الزمن لا يذهب إلى موقع المكتبة أحد فهي في مقر التنظيم الحاكم، رغم أنهم أطلقوا عليها اسم (مكتبة الجماهير) بدلاً من المكتبة السلطانية.

نقلة السكرتير:

لعل الأستاذ أحمد عمر برعود سكرتير منظمة التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية بالمديرية الشرقية، الوحيد الذي رأى بأم عينيه ما آل إليه أمر المكتبة، التي صار صعباً أن تعدها الجماهير مكتبتهم رغم أن اسمها (مكتبة الجماهير) لكونهم لا يزورونها ولا يرتادونها، فاتفق مع مدير إدارة الثقافة والسياحة م/٥، على أن يتم تحويل مكتبة الجماهير لتتبع إدارته، وهي التي كانت تابعة للتنظيم والمؤسسات الجماهيرية الأخرى في المديرية وتم تعيين أمين للمكتبة (الكاتب المسئول) الذي كان يصرف له معونة من خيرية المديرية، بعد تأكيد مدير مكتب الثقافة بأن مسئول المكتبة سوف يوضع في إحدى الخانات التي لديهم، كل ذلك جاء في رسالة من سكرتير منظمة التنظيم إلى سكرتير المكتب التنفيذي ومحافظ المحافظة الخامسة وكانت بتاريخ ١٩٧٧/٥/٢١م.

وفي الرسالة إشارة إلى أنه قد تم جرد مكتبة الجماهير فقد شكلت لجنة الجرد، وقد تم نقل المكتبة إلى بيت الزجاج، وهو البيت المشهور بهذا الاسم الذي يشكل جزءاً من واجهته الغربية شباك واسع من الزجاج وقد بنته الدولة القعيطية عندما أصدر قانون الهجرة والجوازات، وجعلته مقراً لهذه المؤسسة الحكومية، وجلب لها شخصان كان أحدهما مهندساً لسيارات الدولة والآخر مصوراً ومظهراً للصور الخاصة بالجوازات، وقد سلمت المكتبة للأستاذ سقاف صالح الهدار معلم المدرسة الذي أحيل للتقاعد في ١٤/ ١٢/ ١٩٧٤م، بعد أن أنهى خدمته بسلك لتدريس بالمحافظة الرابعة (شبوة)، وقد أعيد توظيفه من جديد كما يشير إلى هذا ابنه الأستاذ محمد سقاف في ١٩٧٧/٥/٢١م حسب قرار مدير إدارة العمل والخدمة المدنية بالمحافظة الصادر في ٢٠/ ١٩٧٧/٧م ليعمل أميناً لمكتبة الجماهير بالشحر اعتباراً من ١٩٧٧/٥/٢١م وقد استمر عمله بالمكتبة إلى أن توفاه الله في ٣٠ يناير ١٩٧٩م.

مكتب إدارة الثقافة:

كان مكتب إدارة الثقافة بالشحر في نفس المبنى المشهور ببيت الزجاج، وكان مدير الإدارة - رحمه الله- الأستاذ عمر عبد الرحمن بازرقان (توفي ٢٠٠٥/٥/٣١م) وهو المسرحي المشهور جداً، لقيامه بأدوار يشكر عليها في مسرحيات الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف خاصة الشيخ الكبير وسور الشحر وحرب الأرادي، وغيرها من المسرحيات وهو الذي رشح صديقنا الأستاذ التربوي (ابن عمه) عبد الله فرج بازرقان ليشغل كاتب مكتبة الجماهير بالشحر- رحمه الله- (فقد توفي في ٢٦ إبريل ٢٠٠٢م) وقد عمل بالمكتبة حتى عام ١٩٨١م، بصفة مؤقتة، فهو قد حصل على التقاعد وهذه الوظيفة إنما لعدم حصول موظف لها.

آخر أمناء المكتبة:

في عام ١٩٨٠م توظف الأستاذ سعيد عبيد أحمد حمدون الشهيرة أسرته بلقب (باوادي) وهو من أهل بلدة الحامي القريبة من مدينة الشحر وفي شرقها، وهو من المولودين بها ١٩٦٠م، أكمل مرحلة الثانوية العامة وتحول إلى إدارة الثقافة بالشحر، واستلم المكتبة خلفاً للأستاذ عبد الله فرج بازرقان عام ١٩٨١م.

استمر الأستاذ سعيد كاتباً بالمكتبة حتى أكتوبر ١٩٨٧م حيث أوقف العمل بالمكتبة بحجة أن لا مكان لها بالإدارة ومكاتبها التي تضج بالموظفين، فأخرج مدير إدارة الثقافة قراراً بإغلاق المكتبة وإرجاعها إلى كراتين جمعت لأجل ذلك، وظهرت إشاعات مفادها أن المكتبة سوف تفتح أبوابها من جديد بمقر نادي سمعون الرياضي وأن هناك مساع تجري لنقل المكتبة ولم يفلح هذا النقل.

لكن المكتبة نقلت كراتيناً إلى مقر إدارة الثقافة الجديد خلف المسرح وهو الجزء الجنوبي من المسرح الذي كان جزءاً من حديقة البلدية، وهو حال إدارة الثقافة اليوم، وكان حفظ المكتبة رديئاً، في مكان رطب وغير مناسب، فكانت طعاماً للأرضة والسوسة والحشرات والقوارض، وقد تحول الأستاذ سعيد إلى أرشيف الإدارة، حتى تمكن من إقناع إدارة التربية والتعليم بتحويله إلى بلدته الحامي مسئولاً لمستودع إحدى مدارسها.

محاولات لإعادة المكتبة:

جرت محاولات عديدة من قبل مأموري المديرية لعودة المكتبة إلى طبيعتها، فباءت كلها بالفشل، واتضح أن أمر إغلاق المكتبة كان أسهل بكثير من أمر افتتاحها مرة أخرى، وفي الحقيقة قد كثر الهرج والمرج من قبل المثقفين والمنتقدين عن أمر المكتبة وأنه لا يجوز أن يحرم منها المتعطشون للقراءة والفوائد المرجوة منها، وكونها أمر إسلامي دعا ديننا إليه في أول آيات محكم التنزيل القرآن الكريم، لهذا كانت محاولات بعض المسئولين لإعادة المكتبة لوضعها الطبيعي السابق، مع محاولة تطويرها ورفدها بالكتب الجديدة والدوريات.

المسئول الأول بمديرية الشحر:

حسب النظام الإداري الوحدوي الجديد، انقسمت مدينة الشحر إلى أربع مديريات وهي في الأصل مراكز مديرية الشحر، وغير اسم المأمور إلى اسم جديد هو (مدير عام المديرية) مع أننا هنا سوف نهتم بمدينة الشحر فقط وهي التي كانت عاصمة مديرية الشحر وفيها المكتبة السلطانية، وهذه قائمة بأسماء المديرين العامين بالمديرية منذ أيام انتهاء الحرب اليمنية اليمنية:

١ـ محمد علي مخارش.
٢ـ حسن محمد بن طالب.
٣ـ فيصل عائض الأرضي.
٤ـ عبد الله عبد الله السبلاني.
٥ـ محمد فرج مصاقع.
٦ـ محمد حسين معوضة.
٧ـ سالم أحمد بانخر.
٨ـ حسين محمد باداهية.
٩ـ أحمد عمر مدي.

١٠- أمين سعيد بارزيق وهو من يشغل منصب مدير عام مديرية الشحر إلى وقتنا الحاضر ونحن نحبر هذا الكتاب وسوف نكتب ما أنجزه في حياته الثقافية لاحقاً إذا أمدنا الله ببقية من العمر إن شاء الله.

وعلى أي حال فالمكتبة اليوم تفتح أبوابها لثلاثة أيام من كل أسبوع نهاراً، فالموظف من بلدة الحامي وكان يعمل مشاركة مع موظف آخر هو محمد أحمد باجبع الذي توفي - رحمه الله- في يوم الأحد ٢١ يناير ٢٠٠٦م، والمطلوب من الأخ المهندس أمين سعيد بارزيق الالتفات إلى أمر المكتبة بأن يوظف شخصاً آخر ليحل محل الأستاذ المرحوم باجبع وحتى تستمر المكتبة بافتتاح أبوابها نهاراً ومساءً وحتى تفي بحاجة القراء ورواد المكتبات ونفضل الأوقات المناسبة مع أوقاتهم وأن نفعّل دورها بعقد بعض الفعاليات بمقرها أو بالقرب منها وزيارتها من قبل المسئولين والاهتمام بوضع برنامج دوري للمحاضرات وإلقاء الخطب في المناسبات وجعل أفئدة من ناس المنتديات تأوي إليها وعقد بعض فعالياتها بالمكتبة، هذا علاوة على مدها بالجديد من الكتب والمجلات.

جهود مدراء العموم :

سوف نقتصر على مدراء العموم بمديرية الشحر الذين لهم صلة بالمكتبة حتى لا نخرج عما خططنا له لتاريخ المكتبة، وليس لهذا الكتاب أية علاقة بسياسة أي مسئول أو اتجاهاته عند تعيينه مديراً عاماً لمديرية الشحر ولا عند إعفائه من المهمة لا سلباً ولا إيجاباً، فقط فيما يتعلق بأمر المكتبة السلطانية، وما علمناه أو وصل إلينا خبره وتحرينا في ذلك الخبر اليقين.

حسن محمد بن طالب :

وهو من مواليد مدينة الحامي التي تقع إلى الشرق من مدينة الشحر حيث ولد فيها عام ١٩٥٥م واصل دراسته الليلية وحصل على شهادة دبلوم في اللغة الإنجليزية من كلية أيستلند البريطانية.

في ٢ سبتمبر ١٩٩٥م صدر قرار محافظ محافظة حضرموت الأستاذ صالح عباد الخولاني بتكليف الأستاذ حسن محمد مديراً عاماً لمديرية الشحر بالوكالة، أي نائباً عن مأمور المديرية كما كنا نعرف، فكان نائباً عن الأستاذ محمد علي مخارش الذي عين بعد انتهاء الحرب اليمنية اليمنية، مديراً عاماً لمديرية الشحر في ٧ يوليو ١٩٩٤م، ثم عين معه الأستاذ عوض سعيد مقطوف مساعداً له بطريقة لم أستطع معرفتها، ولكن الأستاذ مخارش سافر إلى صنعاء في يناير ١٩٩٥م (ومكث بها فترة طويلة وفي شبه إقامة، حتى توفي - رحمه الله تعالى- في صنعاء في ٢٠١١/١١/٥م) وعندها صدر قرار بتعيين الأستاذ حسن بن طالب مديراً عاماً للمديرية، وفي ٣ إبريل ١٩٩٦م تم نقله مديراً عاماً لمديرية حورة.

والمهم في أمر المكتبة أن تم استدعاء رئيس لجنة التراث الشعبي بالمديرية، وهو كاتب هذه السطور حيث تم إعلامه والآخرين بوضع اتفاقية مع أحد التجار المحليين تحت عنوان: (عقد إنشاء واستثمار حديقة ٧ يوليو وبناء المكتبة العامة بالشحر) والحديقة التي نتحدث عنها في هذه الاتفاقية هي الساحة العامة التي تقع جنوب مركز الشاعر حسين أبو بكر المحضار حتى الموقع المحدد في خرائط إدارة الإسكان، وأن يستقطع (٢٠×٢٣متر) من مساحتها الإجمالية وقدرها (٤٦٠) متراً مربعاً، منحة للطرف الثاني المستثمر الشيخ أحمد سالمين بن ثابت وشركاه، وأن يلتزم بالأعمال الإنشائية من تسوير وأعمال أساسية ومن منشآت الألعاب الترفيهية وما يتبع ذلك، على أن يتم بموجب مواصفات يصادق عليها الطرف الأول.

ويلتزم الطرف الثاني ببناء مكتبة عامة في الموقع والمساحة المحددة بموجب المواصفات التي يقدمها الطرف الأول، واستكمال كافة تشطيباتها من أبواب ونوافذ وأصباغ وتمديدات كهربائية وغيرها بما في ذلك السور الخارجي.

وقد تم الأمر كما دل عليه بموافقة الطرف الأول مدير عام مديرية الشحر الأستاذ حسن محمد بن طالب وتوقيعه بذيل الاتفاقية، وكان رئيس لجنة التراث الشعبي ممثلاً لقطاع المثقفين بالمديرية لم يحضر ولم يوقع على الاتفاقية محتجاً على عبارة وردت في الاتفاقية وهي: (يتم الاستفادة من الدور الأعلى للمكتبة للمستثمر لفترة أربعين سنة ابتداء من تاريخ هذا العقد) في ٢٧ يونيو ١٩٩٧م.

عبد الله عبد الإله السبلاني ومحمد حسين معوضة:

جاء تعيين الأستاذ عبد الله السبلاني مديراً عاماً لمديرية الشحر في ١٨ يناير ٢٠٠١م، بدلاً من المدير العام السابق الأستاذ فيصل عائض الأرضي ـ وهو من أهل الريضة بالقطن، وقد توفي ـ رحمه الله- يوم الجمعة في ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦م، وكان قد خلف الأستاذ حسن محمد بن طالب الذي نقل مديراً عاماً لمديرية حورة ـ ولكننا لم نستطع أن نتعرف على بطاقة هذا المدير الجديد السبلاني، وهو على كل حال من إحدى المناطق الشمالية اليمنية.

ونحن سنركز على نشاطه الثقافي ممثلاً في قضية المكتبة العامة بالشحر، ومحاولته الجادة لإعادة افتتاحها وإحياء دورها المناط بها من جديد، وكان أن جعل الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي مستشاره الثقافي يستطلعه أخبار الثقافة والفن والمثقفين على العموم وكنت أظن أني واحد منهم فقد طلبت منه قطعة أرض أبنيها سكناً لي ولأسرتي فذيل طلبي بالتوجه إلى الأستاذ عبد الرحمن الذي أشار بعدم إبداء رأيه، ولكنه أقنعني بأن رأيه سوف يقدمه مباشرة، فضاع مني الطلب والاستشارة، سامح

الله من كان السبب وسامح من كان قبله ومن جاء بعده وإلى اليوم، فلم أحظى بقطعة أرض سكناً وكأني لست من أهل هذه المدينة، مع أني أشكل عضواً أساسياً في كل لجان الجرد للمكتبة ورئيس لجان التراث الشعبي بالمديرية، فلك الحمد يا رب.

في فبراير ٢٠٠١م كانت التجربة الأولى لتوسيع المشاركة في الحكم المحلي، وتم ترشيح الأستاذ محمد حسين معوضة من قبل المؤتمر الشعبي، وتحصل الأستاذ على ثقة الناخبين، ونال عضوية المجلس المحلي وفاز بمنصب الأمين العام للمجلس.

والأستاذ محمد حسين من مواليد مدينة الشحر عام ١٩٥١م، متزوج وله ستة أولاد وبنت واحدة، درس بمدرسة مكارم الأخلاق بالشحر، ثم سلك سبيل الهجرة، وكانت لبلدة الكويت، وفي عودته رشح من قبل المؤتمر، ويلاحظ أن المدير العام السبلاني والأمين العام معوضة تعاونا على الاهتمام بأمر المكتبة والنشاط الثقافي بعاصمة المديرية، وتمثل ذلك في دعم منتدى الأسعاء الثقافي وحضور كل الفعاليات الثقافية وتنشيط اللجان لمحاولة استعادة نشاط المكتبة العامة.

في ٣ إبريل ٢٠٠١م أصدر مدير عام المديرية الأستاذ عبد الله السبلاني أمراً إدارياً بتاريخ الرسالة، جاء فيه: (نصدر أمرنا الإداري بتشكيل لجنة استلام كتب المكتبة السلطانية سابقاً والموجودة بإدارة الثقافة م/الشحر ونقلها ومتابعة ترتيبها بمبنى المكتبة الجديد، وتشكل اللجنة على النحو التالي:

١ـ أحمد يسلم بايعشوت ٢ـ إبراهيم علي الملاحي
٣ـ عبد الله صالح حداد ٤ـ عمر سعيد كردة
٥ـ محفوظ محمد بن بريك ٦ـ محمد سقاف الهدار
٧ـ ممثل من الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة م/ الشحر، على أن تقوم اللجنة بمباشرة مهامها من تاريخه)ا.هـ.

والملاحظ أنه جعل الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت رئيساً لهذه اللجنة، وإن لم يشر الأمر الإداري بهذا، وقد قامت اللجنة بأعضائها بعملية الجرد والفرز للصالح من الكتب الباقية، وقد أكلت الأرضة والسوسة كل أوراق الكتب متعاونة مع بقية الحشرات والقوارض على ما يربو على ٩٠% من كتب المكتبة، ويشهد الله على قولي من أن هذه الحشرات جميعها لم تستطع أن تنخر كتب دار التقدم السوفييتية ذات الورق الصقيل، وكذلك مجلة العربي الكويتية التي لم تكن منتظمة الأعداد بالمكتبة ولكن هذا هو حال الموجود بالمكتبة.

والأستاذ أحمد يسلم بايعشوت من أهل مدينة الشحر ولد بها في ١٩٥١م، وكان عضواً بالمجلس المحلي للمديرية، وقد تم اختياره ليرأس دائرة التربية والثقافة، وبدأ ممارسة نشاطه الثقافي فيما يخص المكتبة، أن وجه رسالة رسمية إلى رئيس المجلس المحلي الأستاذ عبد الله السبلاني يطالب فيها بتوفير أثاث للمكتبة وذلك بتوقيعه على تلك الرسالة محررة ٢٠٠١/٤/٢٨م.

ولاحقاً لهذا أصدر الأستاذ السبلاني أمراً إدارياً آخراً بتاريخ ٢٠٠١/٩/١٨م شكر فيه أعضاء اللجنة لإنهاء مهمة جرد المكتبة وأضاف إليهم الأستاذ خالد مبارك علي دريقان ممثل الجهاز المركزي للرقابة بالاسم، وأفاد الأمر بما نصه: (نهديكم تحياتنا ويسعدنا أن نسجل هذه الرسالة تقديراً لجهودكم المبذولة الطيبة أثناء تكرمكم بالقيام بجرد مكتبة الشحر والتي أسهمت في الحفاظ على ما تبقى من كتب).

وبدوري أشكر الأستاذ السبلاني على الجهد الذي بذله في سبيل إنقاذ ما تبقى من مكتبة الشحر السلطانية من الانقراض، ولدينا رسالتان منه لغرض نقل الكتب بكراتينها والقيام بجردها في مبنى المكتبة الجديد ورسالة أخرى تضمنت شكره لأعضاء اللجنة لتأدية عملها.

مصاقع ومعوضة:

في ٢٤ يوليو ٢٠٠٣م عيّن الأستاذ محمد فرج مصاقع مديراً عاماً لمديرية الشحر، وهو من مواليد مدينة الديس الشرقية عام ١٩٤٨م، وقد قبل التكليف رغم عمره الحافل بالمناصب الرفيعة قبل ذلك، وقد توفي بالشحر وهو يؤدي صلاة العصر يوم الأربعاء ٣ مايو ٢٠٠٦م.

وقد رافق الأستاذ محمد معوضة المدير العام الجديد محمد فرج مصاقع واستمر على نشاطه السابق خاصة فيما يتعلق بالنشاط الثقافي وأمور المكتبة وإعادتها إلى حياتها الأولى، ونحن هنا سنقتصر على النشاط الثقافي للمدير ومساعده وعلى الخصوص شئون المكتبة، وسنكتفي بالإشارات وذكر ما يستحق الذكر من النشاط، مدعماً بما لدينا من الوثائق وسنركز على النشاط الثقافي عام٢٠٠٤م.

لقد أصدر الأستاذ محمد فرج مصاقع قراراً بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١١م، قضى بموجبه تحويل المكتبة إلى مسئولية السلطة المحلية، وشكّل هيئة مهمتها إعادة فتح المكتبة العامة بمدينة الشحر، بناء على ما خرج به المكلفون المجتمعون بمقر منتدى الأسعاء يوم ٢٠٠٤/١/١٢م، وتم تكليف لجنة ثلاثية لمتابعة المكتبة وتهيئتها بالصيانة والتأثيث وكل ما يتعلق بها حتى افتتاحها رسمياً، وهم:

الأستاذ عبد الله صالح حداد.
الأستاذ محمد سقاف الهدار.

الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت.

وهناك رسالة أخرى من رئيس المجلس المحلي بالشحر الأستاذ محمد فرج مصاقع إلى جميع المثقفين في دعوة رسمية بعد التهنئة بالعيد السعيد عيد الفطر المبارك، طلب منهم الحضور إلى حلقة نقاش كان موضوعها المخطوطات والمعالم والآثار التاريخية والنشر والإعلام في مديرية الشحر، وقد تم اللقاء عصر يوم ٢٠٠٤/١١/٢١م.

إن هذا اللقاء لم يكن الوحيد، ولكننا نستطيع أن نتذكر أنه قد تم دعوة نخبة من المثقفين أكثر من مرة لرصد أنشطة ثقافية أخرى، منها وضع كتاب مختصر عن معالم مدينة الشحر، وآخر عن النشاط التاريخي بالمديرية وكتاب عن النشاط التعليمي، ورابع عن النشاط الفني.

أما بالنسبة للأستاذ محمد حسين معوضة، فقد تولى رئاسة منتدى الأسعاء بعد أن اختلف أعضاء الهيئة وكاد أن ينتهي أمره، وكان ذلك في عام ١٩٩٩م، وعلمنا بموافقته من خلال رسائل تهنئته بالعيد، فكان الأستاذ محمد خير من لحم الشق وعاد للمنتدى نشاطه الثقافي، ومنذ ذلك اليوم والنشاط مستمر في جلسات ومحاضرات وزيارات وإصدارات، مثلاً إصدار كتيب تحت عنوان (وداعاً أبا محضار) ومحاضرة لعبد الله حداد بعنوان (أعز الناس) في تأبين الفنان محمد سعيد، وفعاليات ذكرى المحضار واستضافة شعراء وفنانين كالشاعر محمد محفوظ الكالف وغيره.

والرسالة الأولى دعوة لعدد ممن رأى فيهم الخير لمساعدة الإدارة المحلية بالمشاركة في مناقشة قرار المدير العام بشأن إعادة وإنشاء المكتبة العامة مؤرخة في ١٠ يناير ٢٠٠٤م، وقد حضر منهم ثمانية أشخاص فقط وغاب سبعة، قدم اثنان منهم اعتذاراً والبقية لم تهتم بالأمر، وقدم كل من الأساتذة محمد سعيد باغزال والأستاذ مصطفى العيدروس عذراً مكتوباً، وقد سجل محضر لهذا الاجتماع الذي تم عصر يوم ١٢ يناير ٢٠٠٤م، وزع على الجميع وشارك بالنقاش فيه كل من الأساتذة: عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، وعبد الله صالح حداد، والدكتور محمد عمر باطويح وأحمد يسلم بايعشوت ومحمد سقاف الهدار وخالد فرج باظفاري، وأسفر الاجتماع عن توجيه رسالة إلى تجار البلد تطلب مساعدتهم في تأثيث المكتبة ودعم افتتاحها من جديد، وفعلاً وجهت لهم رسالة بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠٠٤م تحت توقيع الأستاذ محمد حسين معوضة الأمين العام للمجلس المحلي م/الشحر، ولكن لم يتحقق شيء مما أملناه، ربما كان بسبب عدم المتابعة كما نرى.

أمام تلك الجهود التي لم تثمر ولم يتحقق من ورائها أي نجاح تحمس الأستاذ محمد فرج مصاقع المدير العام للمديرية ورئيس المجلس المحلي بإصدار قرار في ٢١ يناير ٢٠٠٤م، وذلك استناداً إلى قرار وتوصيات الاجتماع الخاص الذي دعا إليه والمشاكل والمعوقات التي رافقت سير عمل المحاولات

الجادة لإعادة افتتاح المكتبة، قضى بموجبه أن تؤول المكتبة العامة ـ السلطانية سابقاً ـ إلى مسئولية السلطة المحلية، وتشكيل لجنة تقوم بالتهيئة والصيانة والتأثيث ومتابعة كل ذلك حتى الافتتاح من الإخوة:

الأستاذ عبد الله صالح حداد رئيساً
الأستاذ محمد سقاف الهدار عضواً
الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت عضواً

وقد كلفت اللجنة أحد المقاولين ومن ذوي الثقة لطرح تكاليف افتتاح المكتبة بكامل المعدات، فجاءت كمقترح بمبلغ خمسمائة ألف ريال، ولم يتم للجنة أي أمر للظروف المالية، ورغم محاولة الأمين العام للمجلس المحلي بتوجيه رسالة إلى كل من وجهاء المدينة وتجارها والبعض من المثقفين بخارج الوطن لدعم فكرة إعادة افتتاح المكتبة العامة لتؤدي دورها المناط بها، يطلب فيها المساعدة في تأثيث المكتبة، ورغم فشل هذا المسعى إلا أن نشاطه الثقافي استمر في منتدى الأسعاء الذي يتم بالجزء الشمالي من المبنى الجديد للمكتبة ومن تلك الأنشطة وليس حصرها:

*دعوة لفيف من المثقفين والأساتذة والدكاترة والمختصين لعقد لقاء حول ما وصلت إليه المساعي لإعادة افتتاح المكتبة والحلول للخروج من المأزق وكان ذلك في ٢٠٠٤/١٢/٢١م.

*دعوة للمشاركة من نخب من المثقفين لبلورة الموضوع والخروج بنتائج من مناقشة حلقة موضوعها (المخطوطات والآثار والمعالم التاريخية والنشر والإعلام في م/الشحر) وقد تم هذا اللقاء في ٢٠٠٤/١١/٢٠م.

إضافة إلى مناشط ثقافية أخرى، تحدث فيها من طلب منهم المشاركة في برامج منتدى الأسعاء الثقافي وكان ضمن المتحدثين الأساتذة عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي وعبد الله صالح حداد، في كل الاحتفالات بذكرى فقيد فن الشعر العامي والألحان للأغنية المحلية وبمعدل كل سنة تقريباً، وقد شارك متحدثون من المكلا والغيل والديس الشرقية.

وكان من نتائج تلك الاجتماعات التي تعقد في فترات متقطعة بدعوات من الأخوان مدير عام المديرية ورئيس المجلس المحلي الأستاذ محمد مصاقع والأمين العام للمجلس الأستاذ محمد معوضة رئيس منتدى الأسعاء، أن دعا الأخوين أعلاه للاجتماع بمقر منتدى الأسعاء بالجزء الشمالي من بناية المكتبة العامة مساء يوم الجمعة ٢٠٠٤/١١/٢٦م وكان خاصاً بالمكتبة وما آل إليه أمرها، بعد أن كانت قد افتتحت في الأسبوع الأخير من عام ١٩٤٣م، والتي تعرضت للإهمال في السنوات الأخيرة وتلفت محتوياتها، بعد أن كانت زاخرة بالكتب والرواد، وقد أسفر الاجتماع الذي حضره عدد من مثقفي المدينة

ومدراء المرافق بالمديرية والمحافظة عن تصحيح مسار أمر المكتبة وعودتها إلى الهيئة العامة للكتاب م/حضرموت، وعلى ذلك فقد وجهت رسالة إلى المدير العام للهيئة للكتاب م/حضرموت الأستاذ عبد الحكيم صالح بن قديم بتوقيع الأستاذين محمد مصاقع ومحمد معوضة بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٩م.وتبع ذلك رسالة الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت مدير دائرة التربية والثقافة بالمجلس المحلي إلى محافظ حضرموت حول المطالب الأولية لافتتاح المكتبة، وأخرى للأستاذ المقاول محمد طاهر الأرضي تتعلق بمجال الاستعداد لافتتاح المكتبة مطالبة منه إجراء آخر التجهيزات والصيانة لمبنى المكتبة العامة وهي حالياً مقر لمنتدى الأسعاء.

ولعلنا لاحظنا في الرسالة السابقة من أن المبنى شبه متكامل وكذلك الموظفين الاثنين محمد أحمد باجبع وعبد الله مثنى، وهما يتبعان المؤسسة الهيئة العامة للكتاب م/حضرموت، وبناء على ذلك الحث بضرورة افتتاح المكتبة، وربما دارت هناك نقاشات مع المحافظ ومدير المؤسسة الاقتصادية، وكان من أثر ذلك أن قام مدير المؤسسة الاقتصادية بالزيارة.

مدير المؤسسة الاقتصادية م/حضرموت:

بمعية الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت مدير دائرة الشئون التربوية والتعليم بالمجلس المحلي والأخ محمد أحمد باجبع (رحمه الله) تم استقبال الأستاذ أحمد غرم مدير فرع المؤسسة الاقتصادية بحضرموت مع المهندس نبيل بازرعة يرافقهم الأستاذ عبد الحكيم بن قديم مدير فرع الهيئة العامة للكتاب، ويظهر أن لديهم تكليفاً من الأستاذ عبد القادر هلال محافظ المحافظة حول مكتبة الشحر العامة وكان ذلك في ظهر يوم ١ ديسمبر ٢٠٠٤م، لكننا وبكل أسف لم نتمكن من الدخول للمكتبة، حيث أبدل الأمين العام مفاتيح بناية المكتبة بعد أن تعرضت مفاتيحها للكسر خاصة الباب الخارجي الخلفي.

وقد أجلت معاينة المبنى إلى العصر، وبدلاً من أضيف الوفد قام رئيس الوفد بضيافتي بأحد المطاعم المحترمة، ثم تحرك الوفد إلى إحدى غرف منزلي والانتظار إلى عصر ذلك اليوم، ثم وجدنا الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت في انتظارنا على باب مبنى المكتبة ومعه المفاتيح الجديدة، وبعد الزيارة القصيرة والأسئلة والأجوبة تحرك الوفد عائداً إلى المكلا.

وقد اتفقنا على عقد لقاء مع الأستاذ عبد الحكيم لمعرفة تفاصيل اللقاء والزيارة الخاطفة، والسؤال عما ينوي الوفد تقديمه للمكتبة، ولم يتم شيء مما أملته اللجنة الجديدة، ولم يصلنا ما تم عليه أمر الزيارة لهذا الوفد، وربما دار نقاش ورفع تقرير للمسئولين ونحن في غياب عنه.

زيارة رئيس هيئة الكتاب :

وربما دار نقاش ورفعت مذكرات وأحاديث ونقلت مناقشات حول المكتبة العامة ومحاولة إحيائها من جديد لرئيس الهيئة العامة للكتاب بصنعاء وفرع الهيئة بالمحافظة، ونحن لم يصل إلينا شيء مما حدث، لكننا نظن أن هذا الأمر قد حدث فعلاً وكان من نتائجه زيارة رئيس الهيئة لمبنى المكتبة بالشحر.

فقد تلقينا دعوة بأنه سيتم عصر هذا اليوم الاثنين ١٤ مارس ٢٠٠٥م لقاء بالدكتور فارس السقاف مدير الهيئة العامة للكتاب بمنتدى الأسعاء وقد تم الاستعداد لهذا اللقاء بكتابة موجز عن تاريخ المكتبة أعده الأستاذ حداد والتي تعرف سابقاً بالمكتبة السلطانية منذ نشأتها.

وقبيل العصر اتصل الأستاذ عبد الحكيم يخبرنا بأنه أمام باب المكتبة وهي مغلقة، حينها كنت أتناول غذائي، فرحبت به والوفد إلى بيتي فتوجه الوفد إلى مكان عينته قرب مسجد بن عتيق فاستقبلته والوفد برئاسة الدكتور فارس ويرافقه الأستاذ حكيم عاقل مستشار الهيئة، وهو فنان تشكيلي ونقيب التشكيليين اليمنيين، وبعد أخذ قسط من الراحة باشرنا جلسة شعبية على الطريقة اليمنية، وتحدثنا عن المكتبة والنشاط الثقافي بالمدينة والاطلاع على محاولاتي البحثية فوعد بطباعة كتابي الذي أعده وكان تحت عنوان (إضاءة عن تاريخ الأغنية الحضرمية) وعرفت من الأستاذ حكيم أنه يكتب على الصفحة الثقافية من مجلة (الثقافية) التعزية مقابل خمسة عشر ألف ريال للصفحة الواحدة، ولم آخذ أنا شيئاً مقابل ما كنت أكتبه لهم، وعرفت أنه أقام معارض فنية فردية كثيرة في بلدان عربية وأجنبية، وكان قد درس بموسكو وله مقالات واسعة وكتب، والملفت أن يكون عنده إلمام واسع وكبير بالناحية الموسيقية وقال إنها هواية.

حضر اللقاء الأستاذ محمد فرج مصاقع مدير عام المديرية، وقد لفت نظره ما آل إليه منزلي فوعد بمنحي قطعة أرض وقال إنه آخر وعد، ولم أتوفق في تحقيق هذا الوعد.

ثم تم التحرك إلى مبنى المكتبة، وبعد الاطلاع عقدت جلسة بمقر منتدى الأسعاء الذي حضره جمع من المهتمين ومنهم الأمين العام الأستاذ محمد حسين، وتحدث بعض من الحضور عن المكتبة وضرورة عودتها لما كانت عليه في السابق، وقد شعرنا بارتياح الدكتور بعد أن سمع الأحاديث الصغيرة عن تاريخ المكتبة، ووعد بتقديم ما يمكن تقديمه من الهيئة ولكن ترميم المقر وتهيئته من أمر المديرية، وسوف يمد المكتبة بعد ذلك بالكتب القديمة والحديثة والدوريات.

اختيار مناسبة وطنية للافتتاح:

بدأت الاستعدادات حثيثة لإعادة المكتبة بأكثر من وسيلة، وأمامي عدة رسائل تبين تلك المساعي:

* إحداها بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٦م من الأستاذ محمد فرج مصاقع مدير المديرية، موجهة للمقاول محمد طاهر الأرضي، يطلب منه القيام بأعمال تعديلية مع الصيانة لمبنى المكتبة، وأنه سيتم افتتاحها مع البرنامج المعد للاحتفالات بالعيد الوطني ٢٢ مايو الخالدة والذكرى الخامسة عشر لتحقيق الوحدة اليمنية.

* رسالة أخرى من الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت مدير دائرة التربية والثقافة، موجهة للعميد عبد القادر علي هلال محافظ حضرموت وهي مبنية على تكليف رئيس المجلس المحلي بالمديرية ومدير عام المديرية، تحتوي على متطلبات هامة للمكتبة بغية افتتاحها من جديد وتكلفة ذلك مبلغ لا يزيد عن مائة وثلاثين ألفاً من الريالات اليمنية.

* وكانت آخر رسالة من الأخ مدير عام المديرية الأستاذ محمد فرج مصاقع بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٦م، موجهة منه إلى الأخ عبد الحكيم صالح بن قديم، يعتذر فيها عن عدم قدرة المديرية على الافتتاح في الموعد المضروب سابقاً، وتأجيل ذلك إلى مناسبة أخرى، هي الذكرى الثالثة والأربعين لثورة سبتمبر، بعد أن يعد العدة معاً أي مع هيئة الكتاب، وفيه يبين تقاسم مهمة الافتتاح.

لقد كان الأستاذ محمد حريصاً كل الحرص على أن تتم عملية إعادة افتتاح المكتبة على يده، ولكن شاء الله أن يتوجه إلى دار الخلود - رحمه الله- في ٣ مايو ٢٠٠٦م.

قبيل الافتتاح:

استكملت على وجه التقريب الاستعدادات لإعادة افتتاح المكتبة التي عرفت بالمكتبة العامة بالشحر، وذلك من خلال رسالة موجهة من مدير الهيئة العامة للمكتبات بمحافظة حضرموت إلى الأستاذ سالم أحمد بانخر مدير عام مديرية الشحر، وموضوعها الإعلام باستيعاب الأستاذ أحمد يسلم بايعشوت ضمن قوام الهيئة العامة للكتاب بمحافظة حضرموت، وهو متحمل مسئولية الحفاظ على المكتبة ومحتوياتها، وقد تم تزويده بأثاث وكتب للمكتبة حتى يتسنى للمثقفين والطلاب والرواد الاستفادة منها بشكل أولي وحتى يتم استكمال التجهيزات، مؤرخة ٢٠٠٧/٨/٢٠م، كما طلب التكرم بالتعاون للحفاظ على المكتبة حتى يتمكن الأخ المحافظ ورئيس الهيئة العامة بزيارة مدينة الشحر والاطلاع على وضع المكتبة ومعالجة أمورها بشكل نهائي، وأن يحظى مسئولها بدعمكم ومساندتكم.

الفصل السادس

كيف تضيع المكتبات ؟

عندما تأصلت العلاقة بين الأستاذ المؤرخ عبد القادر محمد بامطرف وتلميذه كاتب هذه المحاولة زادت أواصر العلاقة الأهلية وتمتنت، وكثرت الزيارات وتقاربت الآراء، وفي لقاء شاعري جداً حكى لي الأستاذ وبشيء من التحسر والحرقة والألم، ما حدث ذات ليلة من مداهمة منزله بالمكلا بحثاً عن أي علاقة بدول أجنبية، ولم يجدوا شيئاً، ولم يكن هذا ذكاء مني ولا حدس سياسي ولكن لأنه ليس لي علاقة بأي جهة كانت، ولكن الوافد القائم على المداهمة والتفتيش أغار على بعض المخطوطات من مكتبتي وساعتين (أوميقا) كنت قد اشتريتهما هدايا لاثنين من أولادي بمناسبة نجاحاتهما المدرسية، وفرش أحدهم فوطته وجمعت بها بعض المخطوطات، ومنها كتابان في مجلد واحد (بهجة السمر وزاد الأسفار) والفضل في اطلاعي على هذين السجلين التاريخيين يرجع إلى الشيخ الشاعر عمر عبود حميد الشحري، فهو الذي تكرم وباعني هذين الكتابين بثمن رمزي لأنه قال إنني سوف أحرص على حفظهما أكثر منه، ولكن الأقدار أبت إلا أن يسير الحال على عكس ما أمله وأملته، فقد أخذ الكتابان من مكتبتي مع كتب ووثائق تاريخية وأدبية أخرى (الشهداء السبعة ص١٢) ومخطوطات خاصة بمذكراتي وكانت ثلاثة أو أربعة أجزاء والجزء الرابع والخامس من مخطوط (الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة) لكن البلبلة وكثر الحديث عن هذه الحادثة واتهام الأستاذ بالكذب، جعلني أقول لنفسي أولم تؤمن؟ لكن ليطمئن قلبي.

ودارت الأيام وخرجت لعدن هناك، فكان جزؤه الأول بوزارة الثقافة أيام الوزير النجاشي ومشاركة الأستاذ أحمد بن غودل والصديق الشاعر أحمد رحيم بامهدي الذي عرفني على عدد غير قليل من المهتمين بمسألة التراث الشعبي وعلى الأخص الأغنية، ثم تحولت إلى (المركز اليمني للأبحاث الثقافية..) وكان بقيادة الأستاذ أحمد محيرز، الذي افتتح قسماً جديداً باسم التراث الشعبي جعل مديره الأستاذ حسين محمد الجابري، وكان عضو القيادة العامة للجبهة القومية وعضوية كل من كاتب السطور والصديق محسن أحمد لصور وهو من أهل خورة، بمحافظة شبوة، وقد فارق الحياة بها في ٨ مايو ٢٠١٨م، والأستاذ حسين قضى جزءاً من حياته في السجن ثم كانت له السلامة، فهو رجل معروف ولو أن السجن الانفرادي والمدة الطويلة قد أثرت على حالته النفسية، إن من يجالسه ويعيش معه يشعر بذلك أحياناً، وكان يزوره في مكتبه الذي نشاركه بعض من زملائه القدماء ومنهم الأستاذ الحاج صالح باقيس،

وبعد المؤانسة والتعارف وقبول الصداقة سألته عن ادعاء الأستاذ بامطرف بأخذ الكتب المخطوطة وكتب مطبوعة أخرى وكنت يا أستاذ صالح أحد الذين داهموا منزله، فاعترف بصحة الحدث وأخذ بعض الكتب وقال: (كان ذلك أيام الغشم السياسي) وذكر أسماء أخرى علق بذهني الأستاذ صلاح مرسال، وبعد مدة تحركت إلى عدن مع وفد من الأدباء الشباب لحضور أحد الاجتماعات، وكان ذلك في ١ فبراير ١٩٨٧م.

استغليت الفرصة لأعرض حالتي الصحية على أحد الدكاترة الأخصائيين في الأذن والأنف والحنجرة، فقد لاحظت أن أذني اليسرى ضعف استقطابه للسمع مع من يتحدث، لكن الدكتور الحصيف قال إن بمؤخرة لسانك جراحة وهي مهمة قبل مسألة السمع والأذن اليمنى، ومن فضلك أعرض نفسك على طبيب أخصائي، ومنحني ورقة أظن أنها رأيه في حالتي، حينها كنت أتغنى (في لساني يمن).

ومن صباح اليوم الثاني قررت زيارة الدكتور محمد سالم طيب، الذي حولني فوراً إلى قسم الترقيد لإجراء الفحوصات وإجراء عملية أخذ عينة لزراعتها، لكن قرار إجراء العملية يتطلب الحصول على قربة أو قربتين دم من آخرين، فخرجت أبحث عن أصحابي ولا أعدمهم فهم كثير وبالصدفة وجدت الكابتن عبد القادر سالم بامعلم الذي استضافني على باخرته الصغيرة الواقفة مع أخريات على بحر معلا دكة بعدن وكان برتبة (شيف). ذهبت معه إلى تلك السفن الراسية والملتصقة معاً، حتى وصلت إلى آخرها ثم إلى مقصورتها، فوجدت أن هناك شباب أعرف البعض منهم، ونويت المبيت هناك، لكن في المساء جاء إلينا الأستاذ صلاح مرسال.. ومعه صديق شاب ولحم وشبطين معكرونة وأشياء أخرى، وفي فترة الانبساط ذكرت له حديث الأستاذ صالح باقيس، وأنه ذكر اسمك ضمن من كانوا بمعيته لمداهمة منزل الأستاذ بامطرف، فلم يقف للجواب طويلاً، وإنما قال للتو: (نعم كنت معهم وكنت أنا من افترش رداءه على أرض مكتبة الأستاذ بامطرف، وأراهم يضعون الكتب على ذلك الرداء، وقلت: إيش بغينا بهذه الكتب والدفاتر فلقيت لطمة الحاج صالح على وجهي) وفي الصباح كنت بالمستشفى الجمهوري ومعي طاقم السفينة الإخوة عبد الله صالح باسباع من أهل الشحر وسالم محمد الرامي ـ رحمه الله ـ من أهل غيل باوزير وثالث يكنى أبو شمس وهو سالم أحمد باحسن مهندس مكاين من أهل الحامي ويسكن الآن بالشحر، وكل منهم تبرع بقربة من دمه مشكوراً، لأتمكن من إجراء العملية فلهم الشكر الجزيل.

والمهم من ذكر هذه الحكاية هو أن الإنسان أكبر قوارض الكتب ويعمل أعظم مما تقوم به الأرضة والحشرات الأخرى كالصراصير والجرذان وغيرها، وهذه إحدى الأحداث التي تهمت الجرذان بخراب سد مأرب (انظر مسرحية عبد الكافي، الفار في قفص الاتهام).

وكانت حسرة الأستاذ بامطرف شديدة حول ما انتزع عنوة من كتب مكتبته، وبعضها من إعداده وتأليفه، وقد وصلت إلينا تلك الحسرة على مخطوطة الكتابين في مجلد واحد، وهما (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر لمؤلفه المؤرخ الربان سالم عوض باسباع) ت٩٥٠هـ، و(زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن ومالابار) لمؤلفه الأديب الشاعر الشعبي سعيد علي بن سعد بامعيبد المتوفي ١٣٤٠هـ، وكان استقى معظم حوادث قصة (الشهداء السبعة) ووصف مدينة الشحر وأهلها حين استشهادهم (انظر كتاب الشهداء السبعة).

مكتبة ابن أحمد:

عندما كنت أحاول كتابة تاريخ مساجد مدينة الشحر، مررت على مسجد بطرف السوق الشرقي يعرف بمسجد (بن أحمد) أي ابن أحمد وهو مسجد عبد الرحمن بن أحمد البيض، أحد علماء حضرموت والشحر، ولد بمدينة الشحر ورحل إلى تريم لطلب العلم ولازم بها صوفيها الكبير الشيخ أبا بكر بن سالم، وله فيه عدة قصائد وتوفي بالشحر عام ١٠٠١هـ (٩١-١٥٩٢م) وترجمته في كتاب الجواهر والدرر، وفي كتاب خلاصة الأثر ج٣٤٦/٢، وفي مصادر الفكر الإسلامي ص ٥٠٩ ط٣، وقد ترجمته بتوسع في كتابنا (تاريخ مساجد مدينة الشحر).

وقد جمع هذا العالم مكتبة كبيرة جعلها لهواة القراءة والباحثين والمستعيرين من طلاب العلم والمعرفة، لكننا لا نعلم لمن آلت تلك المكتبة بعد وفاته.

وكان قد جمع شعره في شيخه في ديوان جاء بعنوان (ذكرى حبيب، في مناقب مول الكثيب)، ولم أقف عليه وقد سألت ولم يذكر مكانه أو وجوده أحد، ومن محاسن الصدف أن وجدت أوراقاً مخطوطة من وثائق الراوي عوض سالم عبدن - رحمه الله-، وعلى تلك الأوراق قصائد يختمها صاحبها بشلة تخاميس، بقول: (يا مول الكثيب) وقال لي إنها من أحد شعراء الصوفية الحضارم، وقد نقلت بقلمي كل تلك الأوراق، وهي مدائح في شيخه الشيخ أبي بكر بن سالم ومنها هاتان الرباعيتان:

يـــا صـــاحب العلـــم والـــدين ... عـــين أهـــل اليقـــين

صـــاحب ولايـــة وتمكـــين ... رأس المتقـــــــين

الصالحـــــين المنيبـــين ... تحتـــــك واقفـــين

أهـــل الصـــفا المجاذيـــب ... يـــا مـــول الكثيـــب

* * *

عطـــــاك مـــــولاك تعريـــــف	يـــا الشـــاه المنيـــف
لـــك فـــوق الشـــرف تشـــريف	يـــا كهـــف الضـــعيف
وخصـــــــك الله بتقريـــــــب	يـــا مـــول الكثيـــب

مكتبة بن بريك :

عند تاريخ مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية، يذكر المؤرخ الشيخ خميس كرامة حمدان الشيخ سالم أحمد بن بريك القارئ المطلع على كثير من كتب الحديث النبوي، وذلك عند ذكر مساعد نائب الشحر ناجي سالم بن بريك، وأن هذا الشيخ أحد شيوخه، وقد أحالنا إلى ما كتبه عنه في كتابه المخطوط (أعلام شحرية لها تاريخ) وقد اطلعت عليه، فذكر أنه من آل بريك سكان حي المجرف، وأن هوايته بعد أن استقر من مهاجره إلى بلاد الحبشة، القراءة. وهو يحتفظ بمكتبة كبيرة وأن مدرسة مكارم الأخلاق تستعير منه كتاب (فتح الباري بشرح البخاري) للشيخ العسقلاني لأن المدرسة لا تمتلكه، وقد ذهبت ـ والقول للشيخ خميس ـ أكثر من مرة مع آخرين لجلب بعض أجزائه، وقال إني لا أجده إلا قارئاً في كتب الفقه والحديث، وأنه توفي بالشحر عن عمر ناهز الثمانين عاماً، هكذا.

وقد وجدت أن الشيخ المؤرخ مبارك صالح لرضي قد دون وفاته في كتابه المخطوط المدونة التاريخية اليومية، قائلاً: وتوفي في ٢٥ إبريل ١٩٥٥م، ولم نعد نسمع بأخبار مكتبته هذه.

مكتبة باشميلة :

قال الشيخ حمدان في ترجمته لهذا الرجل في كتابه (مكارم الأخلاق) الشيخ أحمد المصري باشميلة، ولم يزد على ذلك، وأنه قد دخل في اسمه النسب المصري لأنه درس مع أخيه بمصر أو أن أمه من مصر، وأنه كان يعمل بدكان له بمعية أخيه محمود الذي يقع ببيت بن رمضان الذي تقع به المكتبة السلطانية في أول أمرها منذ افتتاحها في ١٩٤٣م، وأنه سكن مع أسر أخرى كلها من آل باشميلة، وهي لا زالت فيها غير البيت الملاصق بالناحية الغربية الذي اشتراه الشيخ محمد سالم المزجاجي، وموقع المنازل الثلاثة المتلاصقة معاً وسط المنزلين الشهيرين في بنائهما المميز في الشرق منزل الشيخ عبد الرزاق محمد باذيب، ومنزل الشيخ سعيد باعيسى القائم بناؤه بكل أجزائه إلى يومنا هذا، والشائع أن الشيخ أحمد يعد نفسه هبة التعليم، وكان يقوم بتدريس من يرغب في درس الحديث على كتاب مسلم، ويقرؤه دائماً ويختمه مع مدرسة مكارم الأخلاق، حيث يتم حفل ختام قراءة الحديث للإمام البخاري بمسجد مدرسة السوق عند تخرج طلاب المدرسة، وذكر أن الشيخ أحمد يحضر الحفل مصطحباً معه

آخر أجزاء صحيح مسلم، ويشارك بتقديم نبذة صغيرة عن نسب الإمام مسلم وكتابه، يقول الشيخ خميس: (وكان فقيهاً ضليعاً وأستاذاً في الحديث ويحتفظ بمكتبة علمية في منزله يوجد بها معظم الكتب الخاصة بالحديث وتفاسير القرآن وكتب أخرى فقهية ودينية مختلفة، ولم تعرف الشحر رجلاً تقياً مستقيماً قانعاً بعيداً عن خضم الحياة السياسية) توفي – رحمه الله- بالشحر عام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م ودفن بها.

ومن المؤسف أن لا نعرف ماذا حدث لهذه المكتبة العلمية ومن خلفه عليها ولا ندري ما خبرها.

مكتبة صالح بكار:

ولما كنت قد تم اختياري ضمن اللجنة المختارة لإعداد كتاب بالذكرى الثمانين لتأسيس مدرسة مكارم الأخلاق التي بدأت أهلية من قبل إدارة المدرسة ومجلس الآباء، فقد كلفت بكتابة نبذة أو كل ما أعرفه عن الشيخ صالح بكار باشراحيل، الذي عليه الأساس والمعول والفاعل والممول لمدرسة مكارم الأخلاق، فبحثت فيما يمكن كتابته عن الرجل، بعد أن اعتذر من كنا نظن أنه أهل للكتابة عن جده، وكان ذلك ما جاء في الصفحتين ٣٩ و ٤٠ من كتاب (مدرسة مكارم الأخلاق، ثمانون عاماً من الجهد والعطاء).وكان منه ما نصه: (وبلغ من احتفائه بالعلم والعلماء أن يقيم الاحتفالات والمآدب بهذا الشأن، كإقامته مأدبة بمناسبة افتتاح مدرسة مكارم الأخلاق، ثم إنه اهتم كثيراً بالكتاب وكون مكتبة كبيرة ضمت كثيراً من المخطوطات وأمهات الكتب وكان أجمل هدية تهدى إليه هي الكتاب) وقد توفي الرجل - رحمه الله- في ٢٥ ربيع ثاني عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٩٦٣م كما جاء في مدونة جاره المؤرخ مبارك صالح لرضي وهو أول من ذكر ذلك.

وأضيف أنه في جلسة مع الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف ذكر أن من الكتب المخطوطة النادرة بهذه المكتبة كتاب (السيفي) وهو كتاب في السحر، وضعه الشيخ سالم أحمد باهرمز وقد آل بعد الشيخ سالم عبد الله بافضل إلى آل باشراحيل وكان الشاعر عوض صالح باشراحيل نجل المترجم له من أصدقاء الأستاذ بامطرف، وربما تطرق الأمر إلى إخباره بمحتويات المكتبة التي انتهى أمرها ولم نعد نعرف عنها شيئاً.

مكتبة القاضي ابن حازب:

تقدمت نبذة عنه في الفصل الأول من هذا الكتاب وهنا نضيف إلى ترجمته : (أنه اهتم باللغة العربية وعلومها وكان ميالاً لدراسة الفقه.. وأسندت إليه شرح الحواشي على المتون، وهذا لا يتعارض مع قول حفيده الأستاذ ماجد محمد محفوظ المعلم بالمدارس الأولية قوله: كنت صغيراً عندما جاء خبر

وفاة جده القاضي ببلدة دمون المجاورة لمدينة تريم، لكني أذكر غرفته المليئة بالكتب وهي اليوم في خبر كان)

مكتبة باحسن :

هو أديب الشحر ومؤرخها الشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن الذي عاش طوال عمره بمسقط رأسه مدينة الشحر إلا من سنوات التعليم برباط الحبشي بسيئون ومحاولة للاستقرار في جزيرة زنجبار بشرق إفريقيا وترجماته موجودة بالجزء الخامس من تاريخ الشعراء الحضرميين، وذكره في أكثر من مكان، وفي ذكرى وفاته الخمسينية أقيم حفل لذكراه وصدر به كتاب ضم مقالات كان من أهمها مقالان للأديب المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف وجاء عنوان الكتاب (الرائد عبد الله محمد باحسن) وكان ميلاده بالشحر عام ١٨٦١م ووفاته بها في ١ أكتوبر ١٩٢٨م.

ولم يذكر أحد شيئاً عن مكتبة الرجل ولكن هناك أكثر من دليل لإثبات مكتبته أو ما قرأه واطلع عليه، فقد كتب الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف مقدمة للمجموعة الثانية من شعر حسين أبي بكر المحضار، ومنها قوله: (نحن قد عرفنا الشاعر باحسن ونعرف مصادر شعره كما نعرف الذين يدورون في فلكه الفني من شعراء وملحنين وموسيقيين، وكان باحسن شاعراً مرموقاً ولا شك في ذلك وشهرته في نظرنا كما قد قلت في الكلمة التي ألقيتها في حفل الذكرى الخمسينية لوفاته ترجع إلى شجاعته وخروجه وتمرده على المتزمتين من أبناء عصره من أهل الشحر، الذين يزدرون الغناء والموسيقى.

كان باحسن أديباً واسع الاطلاع ومؤرخاً وفقيهاً، وإذا أردت أن تعرف سعة اطلاع الرجل فارجع إلى قصيدته التي قالها في السابع من شهر شعبان ١٣١٨هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٠٠م ومطلعها:

عرفنا لما فيك معنى الصحاح بشاهد ما قاله الجوهري

وهو يعني بالجوهري هنا أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري القضاعي (ت٣٩٣هـ) صاحب قاموس (الصحاح) وغيره من المؤلفات، (انظر مقدمة ابتسامات العشاق ص٦) وقد ذكر في تلك القصيدة ما يزيد على عشرة علماء في اللغة وأدباء وشعراء وغير ذلك.

وعلى أي حال فإن الاطلاع على ديوان الشاعر المخطوط إلى اليوم يرى عدد الشعراء والعلماء الذين عرفهم وذكرهم في شعره أو كتب لهم أو عارض قصائدهم أو اتبع طريقتهم، وقل مثل ذلك في كتابه المعروف (النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحمية) وهو في تاريخ مدينة الشحر، وفيه ترى

مصادره ومراجعه التي استقى منها تاريخه. وإذا لم تكن كل هذه الكتب من مكتبته الخاصة فلا بد أن يكون بعضها مما ملكه وأصبح في حوزته، وعلى أي حال فإن زوج ابنته ربما هو الذي آل إليه كل ما تبقى من مكتبته، يفيدنا بيعه لديوان الشاعر للمركز الثقافي للآثار والمتاحف، فرع محافظة حضرموت، المكلا.

مكتبة القاضي بن سرور:

كنت أحد الشباب الذين يحضرون دروس الشيخ القاضي سالمين بن سرور بمسجد أحمد الغالبي الذي يقع في شرق منزله المعروف ولا يفصله إلا شارع يسمح لمرور سيارات الشحن المتوسطة من صنف (البيد فورد) و (الدوش) وهو من الأساتذة الذين تم اختيارهم مع زميله مبارك باراشد وأستاذهم الشيخ سالم مبارك الكلالي للتدريس بمدرسة مكارم الأخلاق فور افتتاحها. وقد استمر الرجل معلماً لفترة ليست بالقصيرة، وقد شارك في وضع المناهج التعليمية للمدرسة خاصة منهج نحو اللغة العربية، ومن المؤسف أن أحصل على غلاف كتاب يفيد بوضع الدروس للصف الرابع الابتدائي لمدرسة مكارم الأخلاق ولا أجد غير تلك الورقة، واستنتجت أنه مبادئ النحو أو أوليات الدروس النحوية، لكن الشيخ أعفى نفسه من الاستمرار وافتتح ببيته مدرسة أهلية/كتاب، ثم رشح لدرس القضاء بالمعهد الذي افتتحته الدولة بغيل باوزير تحت إدارة الفقيه الشيخ محسن جعفر بو نمي، وكان من خريجي الدفعة الثانية عام ١٩٤٦م.

وعند تخرجه عين قاضياً لفترات طويلة بوادي دوعن والشحر وغير هذه المناطق، والملاحظ أنه كان صارماً في أحكامه ولا تأخذه في الحق لومة لائم. وكنت كما أشرت أحضر أحاديثه الجادة فقهاً وحديثاً بمسجد أحمد الغالبي، ولا شك في أن أحاديثه تنطلق من البحث والقراءة في أمهات الكتب من فقه وحديث التي يزكيها دائماً بما يحدث في بلاده ويؤكد على حرصها أو الابتعاد عنها، مقارنة بما قد حدث أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين، ولم يخب حدسي فقد تفرق أولاده عند بناء منازل جديدة لهم وترك المنزل القديم ومكتبته التي تقع على غرفة واسعة، ظهرت وما فيها من كتب ومجلدات عند أمطار عام ٢٠٠٨م وسقوط المنزل، وقد هب بعض الشباب والغوغائيين وأفرغوا رفوف المكتبة وعكوف شبابيكها، وأصبحت كأن لم يكن هناك مكتبة عامرة استقى منها هذا القاضي - رحمه الله- كل علمه وفقهه وتوفي بمدينته الشحر في ١٥ يناير ١٩٧٢م.

ونحن لا نستطيع أن نجري خلف مكتبات العلماء والأدباء عندنا وعند غيرنا، وما آلت إليه تلك المكتبات، لأنه وكما قيل إن كل كتاب يأتي من كتب، لهذا فإن كل من كتب وألف فإنه اطلع وقرأ كتباً ومؤلفات، وربما استطاع أن يجمع لأجل ذلك كتباً تضيع إذا لم يقدمها إلى مكتبات كبيرة أو يودعها

مظانها، ولعل كتاب أحمد علاونة الذي صدر مؤخراً تحت عنوان (مكتبات العلماء العرب ومآل مكتباتهم) أجمل ما قرأت عن كيفية ضياع مكتباتهم.

وهناك محاولة لذكر المكتبات وأصحابها أشار إليها الصديق العزيز أنور حسن السكوتي في كتابه (المختصر في تاريخ الشحر العام) وهو كتاب تحت الطبع.

وإن ذكرنا لهذا الجانب إنما كي نتابع ما نحن بصدده من تاريخ المكتبة السلطانية وما آل إليه أمرها إلى اليوم.

الحفاظ على مكتبة الشحر :

أظن أن هناك أمور أولية لا بد منها كي يتم أمر المحافظة على المكتبة ليستمر عملها والفائدة المرجوة من افتتاحها أصلاً، وهي:

١ـ تعيين مسئول عن المكتبة، يعرف بأمين المكتبة وهناك من يعطي هذا المسئول اسماً آخر، لكن عمله لا يخرج من أمانة المكتبة.

٢ـ ضرورة جرد محتويات المكتبة، واستلام وتسليم الأمين الجديد خلفاً لسابقه.

٣ـ السؤال عن ضياع الكتب ومتابعة المتعهد وتغريمه قيمة الكتاب/ الكتب التي فقدت عليه أو طلب وجود نسخة من أي مكتبة تبيع مثله.

٤ـ وقوف المتعهد عند عدم الانصياع لطلب أمين المكتبة إلى المسئول بالبلد، شرطة أو مأمور أو أي جهة قضائية.

إننا بمتابعتنا لأمر المكتبة منذ الابتداء سنرى ما جرى من أمينها أو المسئول عنها ويعرف عندنا باسم (كاتب المكتبة) فعندما أقر السلطان صالح بن غالب القعيطي إنشاء مكتبة الشحر، كلف الأستاذ الشيخ عبد الله سعيد باعنقود وكان أميناً للمكتبات السلطانية، إعداد العدة لإنشاء هذه المكتبة، المكتبة السلطانية بالشحر، وكان السلطان قد اشترى الكتب بنفسه، وربما ساعده غيره، ومن حينها شرع الأستاذ باعنقود في تهيئة المكتبة بأن قام بوضع كشف بأسماء الكتب العربية وكلف الأستاذ عبد الرحمن خان وهو هندي الجنسية مدير جمارك الشحر بالقيام بكتابة كشف بأسماء الكتب الأجنبية إنجليزية وهندية.

وقد وجدنا رسالة عن استلام كاتب المكتبة الجديد محمد مصطفى المغربي/ الجيلاني، من كاتب المكتبة السابق أبي بكر عبد الله بافضل، وحول عدد الكتب فقد أشير إلى أن عددها (٦٠٤) كتب إلا

ثمانية ذكرت أرقامها فقط، وهي في حكم المفقودة ولم يذكر غير كتاب واحد فقط هو (القاموس المحيط) وعبارة تفيد بضياعه على مستعيره.

واستمر الأمر عند تغيير كاتب المكتبة، فيتم تسليم السابق للاحق بعد الجرد الصحيح وحضور اللجان المشكلة لحضور ذلك الجرد.

وعند شراء الكلالي للمبنى الذي تقع به المكتبة ورغبته للصيانة، طلب نقل كتب المكتبة حتى يتم أمر الصيانة للمبنى، ومن ثم عودتها إلى مكانها.

وأقر أن يعقد اجتماع من:

نائب لواء الشحر.
قاضي لواء الشحر.
كاتب نائب لواء الشحر.
كاتب المكتبة السلطانية بالشحر.
الشيخ مبارك عوض الكلالي، مالك المبنى الجديد.

وأقر المجتمعون أن تنقل المكتبة بكل أدواتها إلى الغرفة الثالثة للحفظ فقط، ويبقى مفتاحها لدى كاتب المكتبة فقط، وأن يقوم المالك بالعمارة والصيانة والترميم، ثم تعود المكتبة إلى مكانها كما كانت وكان هذا بتاريخ ١٩٦٣/٦/١١م.

واستمر الحال مع كل جديد فلابد من الجرد والاستلام والتسليم، وهنا نكتفي بآخر مستلم للمكتبة السلطانية، وهو الأستاذ عبيد سالم براهم، ولدينا رسالة مؤرخة ٣ أغسطس ١٩٦٧م موجهة لناظر المكتبات السلطانية بالمكلا ونصها: (نفيدكم أن اللجنة تكونت من المستلم الأستاذ عبيد سالم براهم والمسئول السابق الأستاذ علي أبي بكر الصبان ومندوبكم الأستاذ سالم حسن بن عثمان ومندوب نائب لواء الشحر، وقد استلم الأستاذ براهم جميع عهد المكتبة من أدوات وكتب وغير ذلك، وقد مر معنا كيف تم الاستيلاء على أدوات المكتبة الجميع في فترة غياب كاتب المكتبة في مهمة عمل، وكورت كل الكتب في كومة واحدة في الصالة الواسعة بحصن ناصر مقر الحكومة آنذاك. وقد تابعنا أمرها وهي بدون كاتب المكتبة المسئول عليها! وابتدأ مسلسل الضياع والتلف والتمزيق للمكتبة وتكرر مثل هذا في عهدنا بأن أعار أحد المأمورين كل كتب مكتبة ثانوية بامطرف لشخص واحد بدلاً من جردها وتحويل كتبها للمكتبة العامة، وهي الماثلة اليوم أمامنا رغم ما مر عليها من صعوبات.

الكتب المفقودة :

ظلت الكتب الثمانية المفقودة واردة في كل جرد حتى كان جرد وتسليم المكتبة من الأستاذ صالح سالم لرضي للأستاذ علي أبو بكر الصبان وقد وردت أسماء الكتب الثمانية وتعليق كشف بالكتب المفقودة من عهد الأستاذ صالح سالم لرضي. لكن كاتب المكتبة الجديد الأستاذ علي أبو بكر الصبان وجه رسالة لسعادة نائب لواء الشحر بأن أربعة من تلك الكتب المفقودة قد وجدها متداخلة مع كتب أخرى وهي موجودة، والرسالة بتاريخ ١٩٦٦/٨/٣٠م.

وهناك رسالة من ناظر المكتبات السلطانية يطلب فيها أسماء الكتب التي تم العثور عليها والإفادة فيما إذا كان هناك بحث جاد خلف مستعيري تلك الكتب التي لم تعد إلى المكتبة.

ونحن نضرب هنا أمثلة لمتابعة هؤلاء المستعيرين ونمسك عن إعلان أسمائهم الكاملة إذ لم يكن قصدنا التشهير ولكن البحث حول الوسائل التي تحافظ على كتب المكتبة ومنها:

* كان الأستاذ (س.م.م.) قد استعار كتاب (القاموس المحيط) أيام الضابط المالي وأمين المكتبة عبد الله صالح بن عثمان وقد وقف هذا المستعير أمام نائب لواء الشحر معترفاً بفقدان الكتاب. وقد ألزمه النائب بإحضار الكتاب من أي مكتبة كانت هنا أو هناك، جاء ذلك في رسالة مؤرخة في ١٩٤٩/١/١م.

* وهناك رسالة أخرى موجهة للأستاذ (س.م.ب) بتاريخ ١٩٧٣/٧/١١م يطلب فيها إعادة الكتب (جميع الكتب الموجودة عندك).

* وهذه رسالة من مجهول (عليها توقيعه دون اسمه) موجهة لكاتب المكتبة محمد مصطفى بتاريخ ١٩٥٢/٨/١٧م ونصها: (وعلى أي حال تروني أرسلها (كتابين) عن طريق نائب لواء الشحر فضلاً استلموها منه وامنحوني بإرسال رصيد بالاستلام، ودمتم) توقيع

* وهذه رسالة رابعة موجهة لمدير مرفق الأستاذ (ع.ع.ع.) يطالب فيها إشعار هذا الموظف بإرجاع الكتاب أو خصم ثمنه من مرتبه الشهري.

وتلك كانت نماذج اخترناها لإثبات متابعة كتّاب المكتبة السلطانية كل مستعير لأي كتاب من كتب المكتبة، ويساعدهم في ذلك نواب الدولة والقضاة والشرطة والمرافق التابعة للدولة.

تجليد الكتب :

ومما ليس منه بد أن المسئولين على الكتب لا يهمهم وجود الكتاب بالمكتبة فقط ولكنهم يرغبون فيه معافى ومصان، ولهذا يطالبون الجهات المسئولة أن تقوم بتجليد ما أصبح ممزقاً أو عرضة للتمزيق. وأمامنا بعض الرسائل بهذا الشأن. وقد تم اختيار البعض منها ونلاحظ أنها توجه لنائب اللواء:

* أولى هذه الرسائل مؤرخة في ١٩٣٨/٥/٢٦م من ناظر المكتبات السلطانية بالمكلا، للإفادة بإرسال مبلغ ١٢ آنة و٧٣ روبية وذلك لغرض تجليد الكتب التي تعرضت للتمزيق. ويلاحظ أن المبلغ بالروبية الهندية العملة التي كانت تستعمل هنا في الجنوب العربي ومنه حضرموت منذ استيلاء السلطان القعيطي على حضرموت، وذلك بإعلان تغيير العملة المحلية، عملة ابن سهل التريمي إلى العملة الهندية الروبية وكسورها وذلك في نحو أوائل عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٧) والعمل مستتباً في السور. وحتى استقلال الهند، فتم استبدالها بعملة شرق إفريقيا الشلن والسنتات. وكان ذلك في يوم الاثنين ٣٠ ذي الحجة ١٣٧٠هـ الموافق ١ أكتوبر ١٩٥١م، حيث أبدلت الحكومة الصرف إلى الشلن بدلاً من الروبية الهندية.

* وهناك رسالة أخرى تفيد باستلام مبلغ ١٢٠ شلن مقابل تجليد الكتب ضاع تاريخها وهي تحت رقم ٦٦ /١٩٥٩/٨/١م.

كانت هذه نماذج فقط، وإن ذكرها يفيد اهتمام الناظر وفرع المكتبة السلطانية بالشحر على حفظ الكتب كاملة وبأفضل شكل.

تسجيل الكتب الجديدة :

يحرص ناظر المكتبات بالسلطنة مع أمناء الفرع، المكتبة بالشحر على تسجيل كل الكتب التي تورد إلى المكتبة بأي شكل كان، كأن تورد من المكتبة الأم أو أي جهة وحتى من الأفراد كهدايا، وعلى ضرورة رفع خبر وصول أي منها باسمه ورقمه في سجل المكتبة، وفي ذلك رسائل تبادلت بين ناظر المكتبات بالمكلا وبين كاتب المكتبة بالشحر، ومن هذه الرسائل نرفع بعض النماذج فقط ولا سبيل إلى رفعها كلها:

* هذه رسالة موجهة إلى نائب الدولة المقدم أحمد عمر باصرة مؤرخة ١٩٤٨/٥/١٤م مفادها إرسال أدوات تخص مكتبة الشحر وعدد من الكتب، لكن هناك رسالة أخرى تبين الأدوات وأسماء الكتب، والمطلوب كما جاء نصاً: (سيدي، أفدنا بصفة خاصة عن عدد الكتب الموجودة بالمكتبة لأجل نقابلها بفهرسة المكتبة بالشحر، والآن سيكون مجموع الكتب بطرفكم مع الكتب المرسلة الآن (٦٠١) مجلد.

سيدي، إذا كان أحد أهدى كتباً للمكتبة الرجاء إفادتنا لأجل نعمل الفحص اللازم مع فهرسة مكتبة الشحر، كما أخبرتك بذلك شفاها) هكذا.

* ورسالة أخرى من ناظر المكتبات إلى نائب اللواء مؤرخة ١٩٤٨/٨/١٣م، بإرسال كتاب (الشعراء الحضرميين) خمسة أجزاء وكتاب (المسلك القريب في ربع المجيب) وكلاهما من تأليف المؤرخ عبد الله محمد السقاف، أرجو أن تحثوا كاتب المكتبة على تسجيلها بفهرسة المكتبة.

* وهذه رسالة من ناظر المكتبات مؤرخة ١٩٤٩/٦/٢٣م تفيد بإرسال أربع نسخ من كتاب (مصادر الأحكام الشرعية) من تأليف السلطان صالح بن غالب، والمطلوب تسجيلها بفهرسة المكتبة.

ونلاحظ من هذه الرسالة أنها توجه إلى كاتب المكتبة وتنسخ لنائب لواء الشحر، وهي مؤرخة ٧ يونيو ١٩٦٤م جاء نصها: (نفيدكم بأننا قد اشترينا كمية من الكتب ونحب أن نواصل المكتبة بها دواماً، على أن تكون دائماً واصلاً للعمل...).

وعن الكتب المفقودة الثمانية، نطلع على رسالة من ناظر المكتبات بالسلطنة موجهة إلى كاتب مكتبة الشحر، تفيد استنكاره لعدم وجود بعض الكتب، فهي لا توجد أسماؤها ولا هي واردة في سجل الإعارة نرجو أن يضمها كشفاً، فإذا كانت مع أحد المستعيرين فأرجو منكم إشعارهم بإعادتها، وهي مؤرخة في ١٩٦٦/٨/١٠م.

ومن أثر الملاحقة للبحث عن تلك المفقودات أن وجدنا رسالة موجهة لكاتب مكتبة الشحر من ناظر المكتبات، ونصها: (أفادنا نائب لواء الشحر بخطاب محرر ١٩٦٦/٨/١٦م أنكم عثرتم على أربعة كتب من الكتب المفقودة، فأرجو الإفادة بأسماء الكتب وأرقامها التي حصلتم عليها مع إفادتنا بالبقية).

وهنا نجد رسالة جوابية من كاتب المكتبة محررة ١٩٦٦/٨/٣٠م تفيد أنه تم العثور على أربعة كتب من الكتب المفقودة الثمانية عند الاستلام، وهي:

١- الأربطة الجراحية.
٢- السندباد البحري.
٣- تاريخ أوروبا في العصر الحديث.
٤- أيديولوجية القومية العربية.

إن كل الرسائل التي مرت معنا في هذا الفصل تحرص على الكتاب والحفاظ عليه من الضياع بأشكال وطرق واضحة وجلية وفي هذا نلتفت إلى مسألة شراء الشيخ مبارك عوض الكلالي العمارة التي

تقع المكتبة في الطابق الثالث منها، فقد رغب الكلالي في صيانة المبنى وطلب من نائب اللواء وناظر المكتبات السلطانية وكاتب مكتبة الشحر إخلاء مكان المكتبة حتى يتمكن من تنفيذ رغبته في الصيانة.

وقد جاء طلبه هذا في رسالة وجهها لنائب اللواء محررة ١٩٥٦/٨/١١م، مفادها طلب زيادة الإيجار أو التفريغ.

وبعد تكرار الرسائل حول صيانة المبنى الذي تقع به المكتبة السلطانية، أقر تكوين لجنة للنظر في المسألة من: نائب لواء الشحر وقاضي لواء الشحر، وكاتب نائب لواء الشحر، وكاتب المكتبة السلطانية، والشيخ مبارك عوض الكلالي مالك العمارة، وقد حضر جميع أعضاء اللجنة إلى المكتبة صباح يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ الموفق١٩٦٣/٩/٧م وأقر عدم نقل المكتبة إلى خارج المبنى، وإنما تحفظ في الغرفة الثالثة ويكون مفتاحها عند المسئول عن المكتبة مدة صيانة العمارة شهرين أو ثلاثة، وتعود المكتبة كما كانت،وقد تم التوقيع على المحضر من قبل الجميع.

أمام هذا الحرص، والحرص الشديد للحفاظ على كتب المكتبة نلاحظ عدم وجود أي مخطوط بين كل الكتب الموجودة تلك الأيام، فهل كانت المكتبة السلطانية بالشحر خالية من أي مخطوط؟

مخطوطات المكتبة السلطانية بالشحر :

عندما أتحفني الأستاذ الراحل عبد القادر محمد الصبان بهدية جزيلة هي نسخة ثمينة من كتابه (مكتبة الأحقاف للمخطوطات) مسحوباً عل آلة النسخ الذي أصدره في مايو ١٩٨٥م. وكان كتاباً إحصائياً لمحتويات المكتبة ومصادر مكوناتها. ولفت نظري عدم وجود أي ذكر للمكتبة السلطانية بالشحر، فهل كانت المكتبة هذه خالية من أي مخطوط؟ ومرت الأيام والليالي، وبمحض الصدفة أن كنت مستمعاً لحديث جرى من قبل الأستاذ صالح سالم محمد لرضي في رحلة ترفيهية بقرية تبالة، وكان الأستاذ صالح أحد مسئولي المكتبة بالشحر للأعوام ما بين ٦٨ ـ ١٩٧٩م (انظر ترجمته هنا).

وعندها تمكنت من طرح سؤالي: ألم يكن بمكتبة الشحر السلطانية أية مخطوطات؟ وكان جوابه للتو: (نعم في المكتبة مخطوطات، ولعلي أذكر كتاب مقدمة ابن خلدون) وقد لاحظت في كتاب الأستاذ الصبان أن أحد مصادر مكتبة الأحقاف للمخطوطات مجموعة السلطان القعيطي عدد ١٠٢ مخطوطة، وظل السؤال يورد علي كلما ذكرت أيام المكتبة ونشاطها المعهود قبل الاستقلال.

وفي العدد الثاني من المجلة الثقافية (حضرموت) الصادر في يناير ٢٠٠٩، مقال كتبه الدكتور محمد عبد النور تحت عنوان (مكتبة الأحقاف للمخطوطات) ضمنه جدولاً باسم المجموعات التي تكونت

منها المكتبة، وكان الجدول خلواً من اسم المكتبة السلطانية بالشحر! من ذلك التاريخ وقبله، كنت أبحث عن تاريخ المكتبة السلطانية بالشحر، وما آلت إليه اليوم. وكانت النية أن أصدر كتاباً بهذا الشأن وفي فصول ذلك الكتاب عنوان (المخطوطات) وقد وجدت الحل في مساعدة الصديق العزيز أحمد يسلم بايعشوت الذي أطلعني على عدد من الرسائل تخص مسألة المخطوطات بالمكتبة.

كانت أولى هذه الرسائل من مشرف فرع المركز اليمني للأبحاث الثقافية بالمكلا الأستاذ أنور عبد الله عبد العزيز مؤرخة أول مارس ١٩٨٠م ونصها: (إن هناك مخطوطات لا تزال تظهر ضمن إحصاء المكتبة خلال عام ١٩٧٩م بمكتبة الجماهير (السلطانية سابقاً) ومع علمي أن كل المخطوطات الموجودة بمكتبة الشحر قد تم سحبها من المكتبة وتحويلها إلى مكتبة المخطوطات بتريم، أرجو شاكراً التكرم بتحديد عدد المخطوطات الموجودة وأسمائها ومصادرها) وهنا نجد إفادة بأن المشرف يعترف بوجود عدد من المخطوطات بمكتبة الشحر دون تحديد عددها ولا ذكر لأسمائها، مع مطالبته بعدد وأسماء الكتب المخطوطة الباقية التي لم تسحب من المكتبة وهي مفارقة عجيبة.

وتلا تلك الرسالة رسالة الأخ المراقب الثقافي بالشحر الأستاذ عمر عبد الرحمن بازرقان، موجهة إلى مدير الثقافة والسياحة م/ حضرموت محررة ٢٦ مارس ١٩٨٠م نصت على القول: (وعليه نرسل لكم عدد (٥) مخطوطات الموجودة لدينا ومن ثم يتم التنسيق في إرسالها من قبلكم إلى الجهات المختصة).

وكان هذا بناء على تقرير كتبه مسئول المكتبة (أمينها) الأستاذ عبد الله فرج بازرقان، أشار فيها إلى وجود (٥) كتب مخطوطة قديمة في العلوم والفقه.

وهكذا ضاع اسم مكتبة الشحر السلطانية، ربما من دون قصد، فقد حملت المخطوطات من الشحر والمكلا واعتبرت كلها من مكتبة السلطنة القعيطية دون تحديد بذكر فرعها المكتبة السلطانية بالشحر، وكأن هناك من يريد متعمداً طمس هوية هذه المكتبة ودورها صغر أم كبر، وكان السبب عدم تحديد المصدر وعدم ذكر أسماء الكتب المخطوطة ومؤلفيها، وكأنها أكياس تمر أو دقيق أو أكياس علف أو قش، إني هنا لا ألوم أصدقائي أنور عبد الله عبد العزيز ولا عبد الله فرج بازرقان وابن عمه عمر عبد الرحمن، ولا أدري ما سبب عدم هذا الاهتمام؟ فهل أتهمهم بالغفلة، أم أقول إنهم تعمدوا هذا؟ ولا أظن، إني أحب هؤلاء الأصدقاء كثيراً وأخص بالذكر الأستاذ المرحوم عبد الله فرج بازرقان، الذي ارتبطت به في الجزء الأخير من حياته في الاهتمام بالموروث الشعبي وخاصة الشعر العامي لكني أحب الشحر بكل ناسها وهم منها وأحب كل أجزائها ومكوناتها والمكتبة من ذلك الحب.

ولم يتدارك الأمر وإلى يومنا هذا وقد أدى ذلك إلى طمس هوية هذه المكتبة التي تعتز مدينة الشحر بها وفوق هذا لم يكن قولي إساءة إلى أحدهم، إذ أن محبتي لهم لا تعلو على محبتي لمسقط رأسي الشحر وما حدث فيها ولها، والله من وراء هذا القصد.

الخلاصة :

لقد سألت نفسي أكثر من مرة، ما الذي جعلك تهتم بأمر المكتبة السلطانية بالشحر، وقد مر بها أعلام من الشحر ومن غير الشحر ولم تؤثر عليهم كثيراً لا وجودها ولا عدمه؟ نعم كنت أرى أنها معلم ثقافي بهذه المدينة، وإن جاءت متأخرة وفي نهاية النصف الأول من القرن الماضي، ولم يدم عمرها طويلاً، فنحن نكتب اليوم في عام ٢٠١٨م ولم يمض عليها منذ افتتاحها إلا سبعة وسبعين سنة وتقطع استمرارها سنوات ربما ربع عمرها ونلاحظ عدم اهتمام القراء وهي قليلة الرواد، فقد كنت وزملائي نذهب إليها في فترات متباعدة ولم أجد من وجّه تلاميذه ولا مريديه إلى الذهاب إليها ولا أهمية الكتاب، وقد حز في نفسي أن تذهب المكتبة إلى ما بقي منها ما يعرف اليوم بالمكتبة العامة وتفتح أبوابها لثلاثة أيام فقط من كل أسبوع وقد اختفت منها كل المخطوطات وأمهات الكتب والمصادر المهمة، لهذا فكرت في كتابة ما وصل إلي من أخبار المكتبة منذ افتتاحها رسمياً وإلى اليوم، ومن شارك ولو بالحضور لهذه المكتبة عند الافتتاح وكتب أو أشار إليها من قريب أو بعيد أملاً في أن تكون المكتبة مهمة في كسب المعارف والتثقيف. وقد مر على هذه المحاولة آيات الله سبحانه وأمره (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وأقول لنفسي ماذا سيفعل بحثك هذا، إذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة لا تقرأ؟ فسيكون جوابي عن أسئلتي هذه قول الله تعالى: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ومن العجيب في الأمر أن هذه الأمة التي بدأ قرآنهم بهذه الآية ويكون الآية الثانية نزولاً في إحدى الروايات قسم الله سبحانه وتعالى : (ن والقلم وما يسطرون) ويكون ذكر الكتاب والكتابة واشتقاقها وما يدور في فلك الكتابة ما يقرب من ألف مرة والناس في غيب من الكتاب والكتابة. ولهذا فنحن على ما نحن عليه اليوم.

وفقنا الله إلى ما حثنا عليه، وجعل مسألة القراءة والتثقيف مسائل ذات أهمية قصوى في حياتنا آمين.

مراجع الكتاب

المخطوطات:

١ـ الأرضي، مبارك صالح (ت١٩٦٤م) مدونة تاريخية يومية بمكتبة حفيده.

٢ـ بامطرف، محمد عبد القادر، الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة، الأجزاء الثلاثة الأولى، انتهى من وضعه في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥م، بمكتبته بالمكلا.

٣ـ بامطرف، محمد عبد القادر، (ت ١٩٨٨م) محاضرة كيف كنا وكيف أصبحنا؟ نشرت على آلة النسخ سلسلة مجلة (الواعدون) عدد (٧) وبالعدد (٣٠٣٧) من صحيفة ١٤ أكتوبر وما بعده.

٤ـ بامطرف، محمد عبد القادر، سور الشحر مسرحية تاريخية، نشرت على آلة النسخ ووزعت على جميع الممثلين.

٥ـ بامطرف، محمد عبد القادر، وثائق ومخطوطات ورسائل، بمكتبته بالمكلا.

٦ـ حمدان، خميس كرامة، أعلام شحرية لها تاريخ، بمكتبته بجدة، انتهى منه في ٣ رجب ١٤٠٢هـ.

٧ـ حمدان، خميس كرامة، رسائل شخصية موجهة للمؤلف.

٨ـ حمدان، خميس كرامة، الوجيه الأديب صالح بكار باشراحيل نشر بالرنيو، انتهى من وضعه في إبريل ١٩٩٩م.

٩ـ الصبان، عبد القادر محمد، مكتبة الأحقاف (إحصاء) نشر على آلة النسخ عام ١٩٩٨م.

١٠ـ الملاحي، أحمد عبد القادر، مذكراته التاريخية، بمكتبة ابنه شيخ أحمد بالغيل.

١١ـ بايعشوت، محمد سعيد، (ت ١٩٩١م) مذكراته، بمكتبة ابنه الصحفي الشهير سند محمد.

١٢ـ عبدن، عوض سالم، (ت١٩٩٠م) وثائق وأوراق مخطوطة، بيد أسرته وأخرى بيد كاتب هذه السطور.

١٣ـ حداد، عبد الله صالح، الخاذ، مذكرات كاتب السطور.

المطبوعات:

١ـ حمدان، خميس كرامة، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات صنعاء ط ٢٠٠٥م.

٢ـ حمدان، خميس كرامة، مكارم الأخلاق منارة الشحر العلمية، مركز عبادي، صنعاء ط (١) ٢٠٠٦م.

٣ـ باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، الناشر المؤلف ط (١) ١٩٦١م.

٤ـ باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، دار الهمداني عدن، ط (١) ١٩٧٧م.

٥ـ باوزير، سالم عوض، محطات على الطريق، مكتب وزارة الثقافة المكلا، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٦ـ مديحج، المدرسة الأم، وسطى الغيل، جامعة عدن، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٧ـ البكري، صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة مصطفى البابي ـ مصر، الطبعة الأولى ١٩٣٦م.

٨ـ البكري، صلاح عبد القادر، في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة مصطفى البابي ـ مصر، الطبعة الأولى ١٩٤٩م.

٩ـ البكري، صلاح عبد القادر، تاريخ الأرشاد في إندونيسيا، نشر مصوراً عن الإدارة المركزية لجمعية الأرشاد بجاكرتا، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٠ـ بامطرف، محمد عبد القادر، الجامع، الهيئة العامة للكتاب ـ صنعاء الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

١١ـ بامطرف، محمد عبد القادر، الإقطاعيون كانوا هنا، دار الهمداني الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٢ـ بامطرف، محمد عبد القادر، الرائد باحسن، دار الهمداني، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٣ـ ابن هاشم، محمد، رحلة إلى الثغرين، مطبعة حجازي ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٩٣١م.

١٤ـ ابن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، ج١ على شرف محمد الجفري، الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

١٥ـ القعيطي، غالب عوض، تأملات في تاريخ حضرموت، كنوز المعرفة ـ جدة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٦ـ القعيطي، غالب عوض، الشيخ علي محمد العماري، دار المنهل الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

١٧ـ القعيطي، عبد العزيز علي صلاح، السلطان علي بن صلاح، جامعة عدن الطبعة الأولى ١٩٩٩م بمعية د. محمد سعيد القدال.

١٨ـ لجنة مختارة، مكارم الأخلاق، ثمانون عاماً من العطاء والجهد.

١٩ـ إتحاد الأدباء، بامطرف الحاضر الغائب، دار الهمداني عدن الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٢٠ـ إدارة الثقافة، قسم المكتبات، المكتبات الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٢١ـ إدارة التربية والتعليم، وفاء وعرفان لتأبين الفقيد التربوي عمر بن سهيلان، كتاب تأبيني الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

٢٢ـ العماري، محمد عمر، دق المسمار، تحقيق محمد فرج باريدي، دار الآثار الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٢٣ـ العماري، مبارك عمرو، محمد بن فارس، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام ـ المنامة، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢٤ـ السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت معجم بلدان حضرموت، تحقيق إبراهيم القحفي وحفيد المؤلف، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٥ـ السقاف، عبد الله، تاريخ الشعراء الحضرميين (خمسة أجزاء) الطبعة الأولى ١٩٣٤م.

٢٦ـ السقاف، جعفر محمد، لمحة من الأغاني والرقصات الشعبية وزارة الثقافة ـ عدن دون تاريخ.

٢٧ـ بافقيه، د. محمد عبد القادر، المستشرقون وآثار اليمن، مركز الدراسات ـ صنعاء الطبعة الأولى ١٩٦١م.

٢٨ـ باكثير، علي أحمد، سحر عدن وفخر اليمن، (ديوان) تحقيق د. محمد حميد الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٢٩ـ السومحي، د. أحمد، علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني، مؤسسة البلاد ـ جدة الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٣٠ـ باحمدان، محمد سالم، عهد السلطان صالح، مطبعة وحدين ـ المكلا الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٣١ـ الناخبي، عبد الله أحمد، ديوان شاعر الدولة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٢ـ أمين محمد سعيد، ملوك المسلمين المعاصرين، مطبعة مصطفى البابي بمصر، الطبعة الأولى دون تاريخ.

٣٣ـ العطاس، هادون أحمد، عاد في التاريخ، مطبعة حسان ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٣٤ـ البطاطي، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت، دار البلاد بجدة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٣٥ـ بن سلم، سالم أحمد، مرافئ الذاكرة، سلسلة مجلة الدراسات التربوية (٢) الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٣٦ـ عماني، جمعان سالم، التوضيحات في الحول والحضرة والزيارات، مطابع وحدين ـ المكلا الطبعة الأولى دون تاريخ.

٣٧ـ ابن سميط، عمر أحمد، النفحة الشدية من الديار الحضرمية، الناشر أحمد بن جبران الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

٣٨ـ الشلّي، محمد أبو بكر، الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم القحفي، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٣٩ـ المحبي، محمد أمين فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكاتب الإسلامي، القاهرة دون تاريخ.

٤٠ـ الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي ـ أبو ظبي، الطبعة الثالثة ١٩٣٤م.

٤١ـ الهبل، الحسن بن علي (ديوان) تحقيق علي بن علي صبرة، وزارة الإعلام، تنفيذ دار المختار ـ دمشق، دون تاريخ.

٤٢ـ المحضار، محمد بن أبي بكر، ابتسامات العشاق (ديوان) المطبعة العصرية ـ الكويت، الطبعة الأولى دون تاريخ.

٤٣ـ الكاف، أنيس علي، الحركات الإصلاحية في حضرموت، دار حضرموت، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

٤٤ـ المشهور، عبد الرحمن حسين، شمس الظهيرة تحقيق ضياء شهاب، عالم المعرفة ـ جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٤٥ـ علاونة، أحمد، مكتبات العلماء العرب ومآل مكتباتهم، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٤٦ـ عبد الكافي، محمد سعيد، الفأر في قفص الاتهام (مسرحية) دار الهمداني ـ عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٤٧ـ باعكيم، عادل حاج، عقود الجمان في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

٤٨ـ باعكيم، عادل حاج، أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين، مطبعة وحدين ـ المكلا، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

الدوريات:

١ـ آفاق التراث الشعبي، مجلة اتحاد الأدباء بالمكلا، العدد(٢) ديسمبر ٢٠٠٩م.

٢ـ حضرموت، مجلة ثقافية، العدد(٢) صادر في يناير ٢٠٠٩م.

٣ـ الشرق الأدنى، مجلة مصرية، العدد (٤٤) صادر في ١٤ ربيع الأول ١٣٤٧هـ.

٤ـ الطليعة المكلاوية، العدد ٣٣٠ والعدد ٣٤٢.

٥ـ فتاة الجزيرة، صحيفة عدنية، العدد (٢٠٢) صادر في يناير ١٩٤٤م.

٦ـ الأيام، صحيفة عدنية، سلسلة شيء من تلك الأيام، الأعداد من (٨٢) وحتى العدد (١٣٤) الصادر ما بين ٩ يونيو ١٩٩٢م إلى ٢٦ يونيو ١٩٩٣م.

٧ـ شبام، صحيفة مكلاوية، العدد (٣٣).

٨ـ شبام ملحق الصحيفة المكلاوية، العدد (٢٣١) والعدد (٣٣٢) ٢٦ يوليو ٢٠٠٣م.

٩ـ شعاع الأمل، صحيفة مكلاوية، العدد (١٥٥) مارس ٢٠١٥م.

١٠ـ الفكر، نشرة فصلية عن منتدى أصدقاء المؤرخ باوزير، العدد (٥) يناير ـ مارس ١٩٩٧م.

١١ـ سعاد، نشرة فصلية من الشحر، العدد (٧) إبريل ـ يونيو ٢٠٠٩م.

١٢ـ الرسالة التربوية، مجلة من التربية بالمكلا، العدد (١٦) الصادر في مايو ١٩٧٧م والعدد (٢١) الصادر في ١٩٨٧م.

١٣ـ الرعاية الصحية، نشرة فصلية، مكتب الصحة بالشحر، العدد (٦) يونيو ٢٠١١م.

الفهرس

المقدمة ٥
تمهيد ٨
في عهد السلطان صالح ٩
المكتبة السلطانية بالمكلا ١٠
مناقشة الخبر ١١
مقر المكتبة الجديد ١٣

الفصل الأول

المكتبة السلطانية بالشحر ١٤
زوار المكتبة أو آراء حول المكتبة أو ما قيل عن المكتبة ١٥
الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف ١٨
الدكتور محمد عبد القادر بافقيه ١٩
الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي ٢١
الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي ٢١
الأستاذ محمد أحمد عمر الشاطري ٢٢
صلاح عبد القادر البكري ٢٣
سعيد عوض باوزير ٢٣
الأستاذ سعيد يسلم الرباكي ٢٤
السلطان غالب الثاني ٢٥
الشيخ عمر أحمد بن سميط ٢٥
حسين عبد الله الجيلاني ٢٦
محمد باحمدان ٢٧
شعراء المنطقة ٢٧
شاعر الدولة الناخبي ٢٨
الشاعر الشاطري ٢٩
الشيخ صالح بكار باشراحيل ٣٠
الشاعران حمدان وحميدان ٣١
الشاعر حمدان ٣٢
الشاعر محمد عوض حميدان عشار ٣٤

الأديب الشاعر محمد عوض بامختار ٣٩
قصيدة بامختار ٤١
شعراء آخرون ٤٢
عبد الله عبد الكريم الملاحي ٤٢
عن المحضار ٤٣

الفصل الثاني

الافتتاح ٤٤
الشيخ عبد الله باعنقود ٤٤
باعنقود ومكتبة الشحر ٤٦
كيفية الحفل ٤٩
حضور السلطان وأهميته ٥١
مسلم بالعلا ٥١
باصديق ٥٢
عبد الله الخريصاني ٥٢
عبد اللطيف ٥٣
أهمية حضور الحفل ٥٥

الفصل الثالث

أبو بكر سالم باذيب ٥٦
أحمد سالم مدي ٥٧
الوزير أحمد محمد العطاس ٥٨
الشيخ حاج كرامة حمود ٦٠
الشيخ حامد يسر اليزيدي ٦٠
حسين أحمد الحامد ٦٢
حسين بن عبد الله العيدروس ٦٣
النائب حسين بن محسن مخارش ٦٤
الشيخ سالم خميس حبليل ٦٦
سالم سعيد قريشن ٦٧
النائب سالم عبد الله مخارش ٦٨
سالم هلال الحبشي ٦٩
القاضي سالمين سالم بن سرور ٧٠
سالمين سعيد شطر ٧١
سعد سعيد بن الشيخ سعد الدين الظفاري ٧٣

صـــالح بكـــار باشـــراحيل ٧٤
المنشـــد صـــالح عمـــر بـــن ســـلم ٧٥
الشـــيخ طـــاهر علـــي الأرضـــي ٧٧
النائـــب عبـــد الخـــالق عبـــد الله البطـــاطي ٧٨
عبـــد الـــرحمن ســـعيد بازرقـــان ٧٩
الشـــيخ عبـــد القـــادر أحمـــد بافقيـــه ٨١
الشـــيخ عبـــد الكـــريم عبـــد القـــادر الملاحـــي ٨٣
عبـــد الله صـــالح بـــن عثمـــان ٨٥
عبـــد الله عبـــد الـــرحمن بـــن الشـــيخ أبـــو بكـــر ٨٦
الطبيـــب عبـــد الله عمـــر الشـــاطري ٨٨
الشـــيخ عبـــد الله عـــوض بكـــران ٩٠
القاضـــي عبـــد الله محفـــوظ الحـــداد ٩١
الشـــيخ عبـــد الله محمـــد بـــن داؤود ٩٢
الشـــيخ عقيـــل ســـعيد إســـحاق ٩٣
الشـــيخ علـــي ســـالم منصـــور ٩٤
الشـــيخ علـــي عبيـــد النـــوبي ٩٧
النائـــب علـــي محفـــوظ بـــن بريـــك ٩٨
علـــي محمـــد ســـواد ٩٩
الشـــيخ عمـــر عبـــود حميـــد ١٠٠
التربـــوي الشـــيخ عمـــر هـــادي مقـــرم ١٠١
عـــوض أحمـــد بـــاحميش ١٠٢
الشـــيخ عـــوض مطـــران قرينـــون ١٠٣
الشـــيخ القـــدال ســـعيد القـــدال ١٠٦
المـــؤرخ مبـــارك صـــالح لرضـــي ١٠٩
مبـــارك عـــوض باراشـــد ١١٠
القاضـــي محفـــوظ عبـــد الله بـــن حـــازب ١١١
محمـــد ســـالم المزجـــاجي ١١١
الشـــيخ محمـــد صـــالح بارجـــاء ١١٢
محمـــد عمـــر العمـــاري ١١٣
النائـــب محمـــد محفـــوظ الكســـادي ١١٤
محمـــد محفـــوظ بـــاخميس ١١٥
نـــاجي ســـالم بـــن بريـــك ١١٧

الشـــيخ ناصـــر عمـــر مخـــارش ١١٨
الأســـتاذ يســـلم علـــي ســـند ١١٩
تكملـة أسمـاء المـدعوين لحضـور حفـل الافتتـاح ١٢٠

الفصـل الرابع

مـا بعـد الاحتفـال بافتتـاح المكتبـة ١٢٧
الشـيخ علـى سـعيد سـرور السـعيدي ١٢٧
الشـيخ عبـد الله صـالح بـن عثمـان ١٢٨
الشيخ أبو بكر عبد الله بافضل ١٢٩
محمد مصطفى ١٢٩
كتـاب آخـرون للمكتبـة ١٣٠
نقاش الخبر ١٣١
الشيخ عمر محمد بن سهيلان ١٣٢
أول مـدير مدرسـة يسـتلم المكتبـة ١٣٢
الشيخ سالم أحمد حسن بن سلم ١٣٣
الشـيخ صـالح سـالم محمـد الأرضـي ١٣٥
علـي أبـو بكـر الصـبان ١٣٧
الأسـتاذ عبيـد سـالم بـراهم ١٣٨

الفصـل الخامس

ما آلت إليه المكتبة السلطانية بالشحر ١٤٠
بيت مكارم ١٤١
بيت السيت درويش ١٤٢
حالة بناية السيت درويش ١٤٣
عودة إلى عملية نقل المكتبة ١٤٤
لجان الجرد ١٤٤
أنمـوذج الجـرد ١٤٤
أنمـوذج آخـر ١٤٥
النقلـة السـيئة ١٤٥
نقلـة السـكرتير ١٤٦
مكتـب إدارة الثقافـة ١٤٧
آخـر أمنـاء المكتبـة ١٤٧
محـاولات لإعـادة المكتبـة ١٤٨
المسـئول الأول بمديريـة الشـحر ١٤٨

جهود مدراء العموم ١٤٩
حسين محمد بن طالب ١٤٩
عبد الله عبد الإله السبلاني ومحمد حسين معوضة ١٥٠
مصاقع ومعوضة ١٥٢
مدير المؤسسة الاقتصادية م / حضرموت ١٥٥
زيارة رئيس هيئة الكتاب ١٥٦
اختيار مناسبة وطنية للافتتاح ١٥٧
قبيل الافتتاح ١٥٧

الفصل السادس

كيف تضيع المكتبات ١٥٨
مكتبة بن بريك ١٦١
مكتبة باشميلة ١٦١
مكتبة صالح بكار ١٦٢
مكتبة القاضي ابن حازب ١٦٢
مكتبة باحسن ١٦٣
مكتبة القاضي بن سرور ١٦٤
الحفاظ على مكتبة الشحر ١٦٥
الكتب المفقودة ١٦٧
تجليد الكتب ١٦٨
تسجيل الكتب الجديدة ١٦٨
مخطوطات المكتبة السلطانية بالشحر ١٧٠
الخلاصة ١٧٣
مراجع الكتب ١٧٤
الفهرس ١٧٩

المكتبة السلطانية بالشحر



عبد الله صالح حداد